



قناعے بالفوجہ

تألیف
" ابراهیم سلام "

"عندما يكون الحق باطل والباطل حق وانت هو الفاصل"

قناع بألف وجه

رواية بوليسية

إبراهيم سلام

(عندما يكون الحق باطل و الباطل حق و انت هو الفاصل)

إهداء

"إلى من وهب حياته إلي يمهد في شقاء و عناء

تلك الحياة القاسية الوعرة لأنعم بطريقي المريح،

إلى والدي الغالي"

"الألم و العذاب فرصة ثمينة لتولد من جديد أو

أن تدفن في قاع المحيط"

هذه الرواية هي عمل من وحي خيال

الكاتب، ولا تمت للواقع بصلة، وأي تشابه بينها

و بين الواقع فهو من محض الصدفة.

الفصل الأول

(المقنع الغامض)

غرفة واسعة نظيفة، تغلب على جدرانها اللون الأبيض الناصع، محدودة الأثاث خالية من النوافذ، تحتوي على شاشة تلفاز و سرائر مرتبة ناعمة كالحرير، إلا سرير واحد استقر عليه صبي صغير نائم ببراعة، لم يطل نومه حتى استفاق بعناء، يتفحص الغرفة العجيبة التي استيقظ بها، سأل بتلقائية عن مكانه و عن والديه، حامت حول رأسه علامات الاستفهام المرتبكة بلا توقف، قفز من سريره يتفحص المكان أكثر، حتى سمع صوتًا غليظًا مخيفًا يأمره ان يلزم مكانه، ليفزع الصبي و ينظر لمصدر الصوت، فإذا به يصدر من مكبرات صوت مرفقة بكاميرات مراقبة، منتشرة في جميع أركان الغرفة، صاح الصبي طالبًا النجدة في خوف، لكن لا ملبى للنداء، و أكد الصوت على ذلك قائلاً:

- أنت البداية فلا تبكي فلن ينجدك أحد، و ستبقى معي لفترة من الزمن، حتى أحصل على ما أريد.

فزع الصبي و ركض في الغرفة صارخًا منادياً والديه، محاولاً فتح باب الغرفة، لكن يبدو أن الصوت محق و لن يخرج الصبي أبداً من مكانه إلا حينما يحصل صاحب الصوت المخيف على مراده.

ليلة شاحبة راکدة، يتيح ستارها الأسود للبعض بالتخفي و حبكة شباكه العنكبوتية لصيد فرائسه في صمت بعيداً عن أنظار العامة، في إحدى الغرف المعتمة جلس شخص بالكاد تُرى ملامح جسده، بجواره طاولة صغيرة عليها قناع غريب التصميم و فنجان قهوة ساخنة، و بعض الأوراق المتكدسة فوق بعضها تحمل صوراً مختلفة لأشخاص عده.

أمامه تلفاز يعرض إحدى البرامج المملة، التي تمتص وقت المشاهد بلا فائدة و تشغل عقله بنفايات الأخبار، لتدر الأموال من التفاهات، يبدأ البرنامج بالمذيعه الموهومة بأنها حسناء فاتنة ذات الخمسين عاماً، تخفي تقدم السن بالمساحيق و الألوان و عمليات التجميل التي تجاهد لتخفي علامات الزمان، تفتتح حديثها عن الجريمة و تأثيرها على المجتمع و وحشية الإنسان

في استغلال عقله لفعل ما عجز الشيطان عن فعله، ثم تتطرق للمدح في الجهود المبذولة من قبل رجال الشرطة الأكفاء، الذين يسعون لتحقيق العدل بكل شجاعة و إخلاص، ثم تخصص الشكر لأحد أشد الضباط شجاعة و دهاء، الضابط (هاشم)، ضابط اتسم بالطول و العرض، بجسد منسق العضلات، شعره قصير لونه قمحي بشارب عريض، عينيه دقيقة لها هيئة النظر، مواصفات تجمعت في ضابط مخضرم استطاع بذكائه حل أصعب القضية المستعصية، و القبض على أخطر المجرمين، تقدمه المذبة بحفاوة ليدخل الأستوديو بفخر و ينضم لها في حوار تقليدي، يفتح بأسئلتها الساذجة المملة إلى أن تتطرق للحياة الشخصية سائلة:

- لماذا تحيا وحيداً؟! ... هل ضريبة الذكاء هي الوحدة؟

- لقد توفيا والداي منذ زمن، و الأقارب لا يبحثون إلا عن الورث و ما يمكن أخذه من المتوفي فقط، و أنا بطبعي لا أحب الاختلاط بالناس لا أشعر بذاتي في المجتمع.

- ألا تفكر في الزواج؟

- كنت لفترة قريبة لا أفكر به لأنني لم أرى فتاة ستتحمل ظروف حياتي القاسية، لكن من قرابة سنة شاءت الصدفة

أن أقابل مخطوبتي، التي كسرت زنزانة الوحدة التي أحيأ بها.

بدأت الأسئلة تصبأ أعمق ولها اهتمام أكثر، فسألته عن تفاصيل أأر جريمة تمت، لتقول بأماس:

- لقد أصبحت الآن أأد أنأ الضباط في التكفل بالقضايا الصعبة، فأنت لم تأتأ قضية لم تستطع حلها إلى الآن.

- القضايا ليست صعبة، كل ما تحتاج شخص شديد الانتباه، فالمجرم دائماً يترك خلفه أثراً، طرف خيط صغير أستطيع من خلاله تتبعه و القبض عليه، فلا وجود لجريمة كاملة.

- من واقع خبرتك لماذا قد يلأ المرء للكذب و الحيل و القتل ولا يتأخذ من القانون طريقاً للحق و البحث عن الحقيقة بأسلوب متأضر؟

- لأن الحقيقة تحتاج للتأحيات، فعليهم أن يتحلوا بالشجاعة و يضحوا لأجل الحقيقة، فالأرم نهايته وخيمة.

تتابع الإعلامية أسئلتها ثم تعلن الخروج لفاصل اعلاني، فيعلق الشخص الغامض التلفاز، و يلتقط الأوراق من جواره، كل ورقة بها صورة شخص و معلومات عنه، يقلب في تلك

الأوراق حتى يخرج ورقة عليها صورة الضابط (هاشم) و مكتوب عليها بالأحمر الهدف المطلوب تم.

يوم مشمس شديد الحرارة، انتهى دوام الموظفين وخروجهم من أعمالهم شاردين هائمين، في أسراب عاندين لبيتهم وسط ازدحام و تكدس مجنون في الشوارع، بين شجارات عنيفة و نعيق السيارات المرتفع، يذهب البعض لاصطحاب أولاده من المدارس كالعادة وكما هي الحياة اليومية بدائرتها التقليدية الرتيبة، و مثلها مثل الجميع تذهب (منى) إلى مدرسة ابنها الراقية في إحدى المناطق الواسعة الهادئة البعيدة عن جنون الزحام المخيف، بسيارتها الأنيقة تنتظر أمام المدرسة، حتى يخرج ابنها لتصحبه كالعادة، وفي لحظة خروج ابنها وهو ينظر لها بابتسامة و سعادة ملوحًا لها بفرحة، وهي تبادله الابتسامة وتلوح له، ظهر اثنان يرتديان ملابس سوداء، وأقنعة لوجه شخص ما، وقاما باختطاف الطفل في وهربا بسياراتهم سريعًا في ثوان لا تعد، صرخت (منى) وانطلقت خلفهم كالمجنونة، تحاول اللحاق بهما، لكنهما سارعا بالهروب من المناطق الواسعة الراقية، واستغلا لحظة الازدحام الشديدة و معرفتهما بالأزقة و الحارات للمنطقة وفرا هاربين بالطفل.

يوم شاق للضابط (حسن) الذي يعمل بجد على قضية شائكة مهمة، كان متوسط الطول قصير الشعر، بوجه حاد التفاصيل، أملس الوجه، غارقاً بين الملفات المتكدسة، بين أصابعه الغليظة السجارية و بجواره فنجان القهوة نصف ممتلئ، دخل عليه صديقه الضابط (هاشم)، يلقي عليه التحية ثم يتابع معه آخر مستجدات تلك القضية، وأثناء حديثهما يرن هاتف (حسن) فينتفده ليجدها زوجته، فلا يجيب تعاود الاتصال به مرة و مرتان بإصرار عنيد، فيجيب (حسن) بغضب يصيح بها و يوبخها على الاتصال به وقت العمل، لكنه فجأة يتوقف عن صياحه في قلق، يسمعا تنفجر بالبكاء بجملة مدوية:

- ابننا قد اختطف.

تكرر تلك الجملة عدت مرات في بكاء شديد وصرخات مجنونة، يثور (حسن) غضباً، يلقي بأسئلة عدة في آن واحد، كيف و متى و أين و من، و ما تلقاه معلومات بسيطة ممزقة بالصرخات و النحيب، يغلق الهاتف بوجهها غاضباً، ينتفض من مكتبه مسرعاً، و(هاشم) في قلق يتساءل عما حدث و هو يلحقه، فيجيبه بأن ابنه قد اختطف من أمام مدرسته.

اندفع (حسن) باهتياج، صائحًا بلسان قذر يقذف أشد السباب و اللعان لجميع من بالمدرسة دون اهتمام لأحد، مهددًا بأنه إن لم يعد ابنه سيحبس جميع من بالمدرسة و سيغلقها نهائيًا، متوجّهًا بصيحاته الرنانة نحو مكتب المدير، يركل الباب بكل قوته، ويخوض شجارًا عنيفًا من طرف واحد مع المدير، يهدده و يتوعده بأمور كثيرة، يحاول المدير في ارتباك و ضعف تهدئته و تبرير أن ما حدث خارج عن سيطرتهم، فقد خرج مع الطفل أحد أفراد الأمن ليوصله لأمه، لكن اثنان يرتديان أقنعة وملابس سوداء مسلحين ضربا رجل الأمن وأخذا الطفل بالقوة إلى سيارتهما، وكل ما فعله المدير هو تقديم بلاغ عن عملية الخطف وما بيده شيء لتقديمه.

أخذ (هاشم) (حسن) خارجًا لتهدئته، ليستطيعا التحقيق في الأمر بالعقل والتحليل، لكن نيران (حسن) المتأججة تستعير بلا حدود، فينتفض بعزم زافرًا، متوعدًا بأنه سيعيد ابنه بطريقته الخاصة ويذهب لحاله تاركًا (هاشم) خلفه، ليباشر بالتحقيق وسؤال المدير عدة أسئلة عن نظام المدرسة ونظامها الأمني وغيره، ثم يسأله عن المجرمان لكن المدير لم يراهما، فيسال (هاشم) رجل الأمن عنهما ليجيبه بأنهما اثنان يرتديان ملابس سوداء وأقنعة غريبة، فيسأله (هاشم) بتعجب:

- ماذا تقصد بأقنعة غريبة؟!

- أفنعة بلاستيكية لها ملامح لوجه شخص ما، مصنوعة بتفاصيل دقيقة، ليبدو وكأنه قناع لسيدة، وكانا مسلحين وهذا كل ما رأيته، و يمكن لك أتأكد من مشاهدة ما سجلته كاميرات المراقبة.

شاهد (هاشم) ما تام تسجيله و لا يرى شيئاً يختلف عن ما قاله الأمن، الأمر يبدو مدبرًا و باحترافية و كأنهما يعلمان بدقة موعد خروج الصبي.

بين المكاتب و عبر ممرات القسم الجميع يلقي التحية (لهاشم) لكنه كان يرد التحية باقتضاب أو لا يجب و بوجه متهم دخل مكتب (حسن) الذي كان في أوج غضبه، يحدث زوجته ويصب كل غضبه عليها، فهي أمامه المتهمة المذنبه في كل هذا، و اختطف ابنها بسبب إهمالها و تقصيرها، ينتهي من لومه و عتابه بسببها ثم اغلاق الهاتف في وجهها، يشعل سيجارة يدخنها بشراهة و حشية، فيحاول (هاشم) محادثته و تهدئته، فالتفكير هو سلاحهم الحالي، فمن من مصلحته خطف ابنه، وأيضا من المؤكد أن المختطفين سيتصلون به ليطلبوا فدية ما، هدأت حدة نيران (حسن) قليلاً بعد أن فكر في كلام (هاشم)، وكل ما يجول في خاطره كيف سيعاقب المجرمين أشد العقاب، ليندموا على اليوم الذي ولدتهم فيه أمهاتهم.

علم جميع رجال الشرطة بما حدث، واخذوا استعداداتهم لمكالمة المختطف، فجأة تدخل مسؤولة الاتصالات لدى الشرطة تخبرهم أن هناك فيديو غامض قد رفع على شبكة الإنترنت، وبه رجل يرتدي قناعاً غريباً يشبه الذي وصفه رجل الأمن بالمحضر، يتحدث عن عملية الخطف فيفتح الجميع الفيديو من هواتفهم وحواسيبهم ليشاهدوه.

رجل يرتدي قناعاً فضياً لوجه سيده، شفاهها سوداء اللون، و حول العينين كحل أسود، ذات شعر مموج أسود اللون ينسدل على كتفيه، يحمل في يده ريشة ناصعة البياض منمقة، جالس في غرفة مظلمة بالكاد تظهر ملامح بسيطة من جسده، المكسو بالملابس السوداء، يبدأ كلامه بصوت غليظ أجش، مستخدماً جهازاً لتغيير الصوت قائلاً:

- اليوم بدأت أول خطوة من خطوات تحقيق العدالة المنسية، وإنهاء ظلم الطاغية، وإعادة حق المظلوم، فاحذروا مني ومن أفعالي، لأنني لست إنساناً، بل أنا كيان تجسد من ظلمكم و بطشكم، لن أرحم أحداً، و سأنفذ خطتي بالكامل أمام الجميع، و ستعرفون الحقائق المدفونة منذ عقود، سأعرض لكم الكثير من الحقائق خلال مجموعة من الفيديوهات، سأعرضها لكم من خلال برنامجي، و سميته كلمة حق، لأنني من خلاله سأطلعكم على الحق الذي بُدّل

بالباطل ليصبح الباطل حق، و سترتون كم من الناس قد ظلموا بفعل الآخرين، و لن يوقفني أحد مهما كان، و لن يكون أحد بأمان أو بعيدًا عن متناول يدي، و سأنتصر أمام أعين الجميع،... إلى اللقاء في حلقة جديدة من برنامج كلمة حق.

انتهى الفيديو تاركًا الدهشة والتعجب على وجوه الجميع، تتضارب الآراء فيما بينهم، البعض يرى أنه فيديو عادي، و البعض الآخر يؤكد أنه للمختطف، لم يفهموا ما يحدث، لم يتصل أحد (بحسن) ليطلب فدية أو أي شيء، سأله (هاشم) إذا كان لديه أعداء يشك بهم، فانفعل (حسن) بصياح حاد، يصف (هاشم) بالغباء، فرجال الشرطة كل يوم يقبضون على المجرمين من كل الأماكن، فبالأكيد هو مكروه و له أعداء كثر، تركه (هاشم) في ضيق منه، يفكر في كلام الرجل ذو القناع متسائلًا، هل حقًا هو المختطف، كلامه مبهم و غير واضح، و ما هو هدفه؟ و كيف سيصل إلى هدفه و أمام أعيننا، لماذا لم يطلب فدية؟!... فكرة كونه مجرد فيديو عادي مستبعدة،... ظل (هاشم) يفكر هكذا في عدة أسباب و أشياء قد تساعد ليصل إلى نتيجة ما لكن دون جدوى.

فقد منزل (حسن) نبض الحياة و حلت عليه صراعات ضارية بينه و بين زوجته، حتى خيم عليهما الليل بجناحه الأسود موقفًا

الصراع قليلاً، فلجأ (حسن) إلى مكتبه الخاص، يجري مكالمات هاتفية و هو يدخل بشراة، يطلب من أحدهم المساعدة، فيتلقى إجابة أطلقت جماعه:

- ماذا تقصد بأن الأمر سيتطلب خدمة خاصة، لطالما خدمتكم و فعلت ما تريدون.

- و نحن لطالما أعطيناك مقابل أعمالك و بوفرة، فلتك و سيارتك و حسابك البنكي ليسوا من عملك كضابط شرطة أليس كذلك، و أيضاً ما نطلبه منك أمر بسيط، مقارنة بما نطلبه أنت.

- لكن ما تطلبونه صعب، ليس بالأمر ال...

قاطعته المتحدث بكلمات باردة:

- افعل ما طلبناه منك حينها يكون بيننا حديث.

ثم أغلق الاتصال، ليقتذف (حسن) هاتفه بغضب و يركل مكتبه بكل قوته صارخاً:

- لولاي لما وصلتكم لما أنتم عليه الآن أيها الأوغاد.

بسبب غموض عملية اختطاف ابن (حسن)، تم توكيل القضية لأفضل الضباط مهارة ومقدرة، فؤكلت إلى الضابط (هاشم)

وأصبح المسؤول عن حل قضية الاختطاف والقبض على
المجرم.

بينما يراجع (هاشم) أحداث القضية و يبحث عن دليل أو ثغرة
في فيديو المختطف، طرق أحدهم الباب، فأذن له (هاشم)
بالدخول، ليندفع للمكتب الضابط (أحمد) بحفاوة و وجه سعيد
بشوش، فقد كان في إجازة و انتهت و ها هو أول يوم له بعد
الإجازة، كان ضابطاً ملتزماً طويل القامة قوي الجسد أملس
الوجه، أبيض اللون له تسريحة شعر رتيبة قديمة، يقابل صديقه
و رفيقه في المهام بالترحاب الحار و المزاح، و بعد أن انتهى
من فقرة المرح و الترحاب، بدأ (هاشم) بجدية يخبره بأن لديهم
قضية اختطاف غامضة، و بتأني اطلع (أحمد) على جميع
التفاصيل، ليقول متعجباً:

- ما هذه القضية؟! قناع غريب، ولا أثر ولا دليل ولا طلبات
من المختطف، و فيديو غامض على الإنترنت، ما كل هذا؟!

- لست متفائلاً يا صديقي، حدسي يخبرني بأن هذه القضية
ستكون شديدة الصعوبة و...

هاتف (هاشم) يرن قاطعاً حديثه بوقاحة، فينظر في ضيق
للمتصل ليتبدل ضيقه لابتسامة صافية أدركها (أحمد) فوراً فقال
بلووم:

- أظن أن هذه المكالمة أهم عندك الآن.

- إنها أجمل مكالمة عندي و أتمنى أن تتم على خير.

يغادر (هاشم) المكتب لينفرد بهاتفه و هو يجيب بصوت هادئ:

- كيف حالك يا حبيبتي؟... اشتقت لك كثيرًا.

مضي أسبوع عصيب على (هاشم) و (حسن)، كلاهما يبحثان عن أي دليل يقودهم للمختطف، لكن لا أثر أو دليل يقود إليه، لم يستطيعا تتبعه عبر الإنترنت، فالخاطف يستخدم نظامًا مشفرًا معقد جدًا، و لم يتصل أحد لطلب فدية أو فرض طلبات مجنونة كالمعتاد في عمليات الاختطاف الشائعة.

يوم صافي منعش يُدخل للقلب الحماس و الحيوية، للرحلة مرحة مع الأسرة، و هذا ما فعله الضابط (مسعود) في يوم إجازته، خرج مع ولديه وابنته وزوجته إلى إحدى الحدائق الكبيرة، لتقضيه يوم ممتع معًا، جلس هو وزوجته في مكان هادئ وسط بساط أخضر نضر، حوله ألحان الطبيعة تترنا بحفيف الأشجار الهادئة، وتغريد العصافير المرحة، و ضحكات السعادة بين لهو و لعب الأولاد أمامهم.

مالت الشمس مرهقة في الأفق بروية، و تلونت السماء بحمرة
وهاجة تعلن انتهاء اليوم الجميل، ينادي (مسعود) على أولاده
للرحيل، ليأتيه الولدان فقط، فيسألهما عن مكان أختهما، لتأتيه
إجابة مفزعة بأنهما لا يعلمان، لقد ظننا أنها معه، ينهض
(مسعود) في قلق للبحث عن ابنته، يبحث هنا و هناك لكن لا
أثر لها، يزداد قلقه أكثر، و يبلغ إدارة الحديقة و رجال الأمن
ليباشروا بالبحث معه، يتفقد الكاميرات ثمانية بثانية، انتفض قلب
الأم مذعورًا بالخوف المرير على ابنتها، و بعد مُضي أكثر
من خمس ساعات تحول قلق (مسعود) إلى رعب، أدرك بلا
شك أن ابنته قد اختطفت مثل ابن (حسن)، استمر البحث
المكثف داخل و خارج الحديقة، لكن لا أثر لها.

الفصل الثاني

(موت خلف القضبان)

بقسم الشرطة وعلى أريكة عريضة جلس (مسعود) مقهورًا واضعًا رأسه بين كفيه، بجواره (هاشم) يسأله عدة أسئلة عن الحادثة، آخر مرة رأى فيها ابنته، وماذا حدث بالتحديد، و غيرها من الأسئلة المهمة، لكن كل الإجابات كانت تقليدية لا تفيد ولا توصل لشيء، فذهب (هاشم) إلى الحديقة ليعاينها ويطرح أسئلته، محاولاً معرفة كيف استطاع المجرم اختطاف الطفلة وسط هذا العدد من الناس دون أن يراه أحد.

كانت الحديقة عبارة عن مساحات واسعة خضراء، تتراص بها الأشجار و النخل بانتظام، أما المباني بها قليلة جدًا، و موقف السيارات خارج الحديقة، أسوارها مرتفعة يصعب القفز من فوقها، و حالة الحديقة في ازدهار شبه دائمة، فكيف للمجرم

حمل طفلة و الخروج بها بكل يسر ، فيباشر (هاشم) بسؤال أحد المسؤولين عن الحديقة:

- ما هي مواعدي عمل الحديقة؟

- طوال الاسبوع من الثانية عشرة ظهرًا إلى الثامنة مساءً، ماعدا الجمعة والسبت تكون المواعيد من العاشرة صباحًا حتى التاسعة مساءً، ولا يسمح لأحد الدخول قبل هذه المواعيد.

- جيد، وما إجراءات الأمن هنا؟

- جميع مداخل الحديقة بها رجال أمن للحراسة، وأيضًا يوجد رجال أمن داخل الحديقة، و كاميرات المراقبة جميعها تعمل، وكما ترى فسور الحديقة مرتفع يصعب تسلقه.

في غرفة الأمن و أمام شاشة عرض صغيرة جلس (هاشم) رفقة رجال الأمن، يشاهدون التسجيل كاملاً لليوم، إلى أن عثروا على ضلتهم، سيارة زرقاء حديثة الطراز تنزل منها فتاة متوسطة الحجم و الطول ترتدي قبعة كبيرة على رأسها تخفي بها وجهها، تحمل معها حقيبة سفر متوسطة الحجم، تدفع ثمن تذكرة الدخول، ثم يتم تفتيش الحقيبة التي معها فإذا بها ملابس مختلفة، ادعت أنها أحضرتها لأولادها، و دخلت الحديقة بكل

يسر، تتحرك في أماكن بعيدة عن الكاميرات مستغلة كثافة الأشجار و النخل لتتخفى خلفهم، و كأنها تعلم بمكان الكاميرات مسبقًا، استكانت خلف إحدى الأشجار، تراقب في هدوء، حتى أتت فريستها أمامها تلعب و تلهو، تخرج المختطفة قطعة حلوى للطفلة الصغيرة، لتتناول الحلوى بترحاب لكن و في لحظة، بدأت تنهاوى الطفلة و تفقد وعيها، فتصنع المختطفة أنها تساعدها و تسندها حتى لا تقع، و في رمشة عين خاطفة فتحت حقيبة السفر التي معها و أخرجت الملابس و وضعت بها الطفلة التي غطت في سبات عميق، تأخذ المختطفة الملابس و تلقي بها في القمامة ثم تخرج من الحديقة بيسر دون أي شبهات أو شك بها.

- أعتقد أن الخطف عشوائي، أم أنه مقصود؟

قالها (أحمد) في تشتت بعد أن اطلع على التفاصيل الكاملة من (هاشم) الذي أجاب باستياء:

- لست متأكدًا الأمر يبدو عشوائيًا و لكن الطفلة ابنة ضابط أيضًا، لذلك أرجح أنه مقصود.

انهال (هاشم) باستنتاجاته الأولية و تحليلاته للأمور رفقة مساعده (أحمد)، المجرم يختطف أطفال ضباط الشرطة، و هو على علم تام بجميع التحركات لهدفه، و يخطط دائماً لخطوته القادمة بحذر و دراسة شاملة لكيفية الخطف، الخاطف ليس فرداً بل عصابة مكونة من عدت أفراد، لا غاية محددة لهم إلى الآن، و كل ما هو متاح بين يدهم فيديو غامض لمقنع غريب، فجأة قطع تفكيرهم المسترسل عدت أصوات تتأجج في المركز تقول:

- رُفِع فيديو جديد على الإنترنت لذلك الشخص نو القناع.

غرفة ابتلعها الظلام الموحش، بالكاد ترى من لمعة ضوء خافتة رجلاً جالساً، يشبك أنامل يده أمامه على طاولة خشبية مهترئة، بقناع فضي لوجه سيده، شفاهها سوداء اللون، حول العينين كحل أسود، ذات شعر مموج أسود اللون ينسدل على كتفيه، يحمل في يده ريشة ناصعة البياض، بجواره صورة لشاب في مقتبل العمر، و بصوت غليظ أجش، نابع من جهاز لتغيير الصوت يقول:

- أهلا بكم في حلقة جديدة من برنامج كلمة حق، حكايتنا اليوم حدثت منذ أحد عشر سنة، بطل حكايتنا شاب يافع كُتِب

على مصيره الكفاح بعسر في هذه الحياة القاسية التي لا ترحم، ليرعى أسرته البسيطة، والده رجل مسكين يعمل حارساً لعمارة فاخرة بحي راقى، ووالدته مريضة تعاني بين الكشوفات و العمليات و التحاليل في رحلات متكررة للمستشفيات، تسعى في مشقة للشفاء، وله ثلاث إخوة صغار.

استرسل المقنع في حكاية قصة بطله الغامض بهدوء وروية مركزاً على التفاصيل، فكان البطل في المرحلة الثانوية يدرس بجد، حتى يحصل على أعلى التقديرات، ليدخل إحدى جامعات القمة التي كان يحلم بها، كان يعمل بعد الدراسة ليكسب المال ويساعد أسرته، فهم جوهر حياته، و نبض قلبه، و بما أنه أكبر إخوته فهو السند لأسرته، و الأب الثاني لهم، لم يشتكي يوماً، يعمل بجد دون كلل، يجتهد بكل قوته في دراسته وعمله معاً، حتى ازدادت مسؤولياته ثقلاً، فمرض أمه كان كالوحش المفترس يحتاج للكثير و الكثير من العلاج و العمليات، و المال هو الوسيلة لإتمام كل هذا، فقرّر بطلنا ترك التعليم ليستطيع الحصول على عمل إضافي.

لم يستسلم للحياة، و أصبح يعمل عدة وظائف بالنهار و الليل، حتى يكسب مالاً و فيراً يساند به أسرته، إلى أن جاء يوم و هو عائد من عمله في وقت متأخر، يوقفه أحد الضباط و يسأله عن

بطاقة إثبات الشخصية، لكن بطلنا قد أضعها بسبب انشغاله الدائم في العمل و توفير المال، فينتهز الضابط الفاسد الفرصة و يأخذه إلى السجن، و عندما يذهب والده ليرى ما في الأمر يخبره الضابط أن ابنه يتعاطى المخدرات و يتاجر فيها، و قد تم القبض عليه متلبسًا و بحوزته المخدرات، و سيتم محاسبته و لا مفر من ذلك، لا يصدق الأب هذا الكلام، يتوسل باكيًا إلى الضابط، يُقبل يده و يترجاه العفو عن ولده فهو لا يمكن أن يفعل ذلك، لكن يرد الضابط بنظرة بارده و غطرسة:

- ابنك مذنب يستحق العقاب فاذهب من هنا و إلا اعتبرتك شريكًا له و حبستك معه.

حُبس بطلنا فالسجن يصرخ و يبكي بدموع تتوسل الرحمة من أحدهم، يضرب قضبان الزنزانة و يصرخ بأعلى صوته أنا برئ، لكن صيحات المظلوم، كنعيق الغراب لبعضهم، تحتاج من يخرسها، كثرة تفكير بطلنا فيما ستفعله أسرته بدونه، وماذا سيحل بوالدته المريضة وبمصاريق علاجها، جعلت صيحاته تعلقو بحدة أكثر و أكثر.

و في يوم ما، حدث شجار كبير في السجن مع بطلنا، و بشكل مقصود، وينتهي هذا الشجار بمقتل بطلنا على يد أحد أفراد العصابات، لينطفئ معه نور الأمل تاركًا الحياة في ظلام

دامس، يصل خبر وفاة بطلنا صدمة مدمرة لأسرته، و بالأخص والدته المريضة المسكينة، التي جلست تحمل صورته تتأملها بنحيب، تتذكره وهو يكافح من أجل بيته، يشتري لها الدواء ويعتني بها، ويضحك في وجهها في أشد لحظاته تعبًا وألمًا، ليشعرها بالأمل في الحياة وأنه سعيد لا يعاني، تعالت صرخات الأم بدموع فياضة، متذكرة كلماته لها ومواساتها حتى تتحمل المرض.

تظل والدته في الذكريات الأليمة و البكاء الشديد حتى توفيت في غضون أسبوع من وفات ابنها، و هي على السرير بوجه منتفخ، مبتل من كثرة النحيب و الصراخ الحاد، و في أحضانها صورة ابنها الغالي، لم تموت والدة بطلنا من المرض، فقد أجمع الأطباء أن صحتها تتحسن و تتماثل للشفاء، لكنها ماتت من شدة الألم على فراقها لابنها، فقد كانت حياته قاسية، و لم ينعم بيوم واحد سعيد، و انتهت حياته كمجرم مذنب في السجن إثر جريمة لم يقترفها.

صمت المقنع قليلاً يزفر في ضيق ثم تابع بنبرة عدائية غليظة:

- الحقيقة خلف هذه القصة أن ما حدث كان بسبب الضابط الفاسد، الذي عمل مع تجار المخدرات، وبسبب إلقاء القبض على بعض من رجال عصابته من قبيل الشرطة، أراد هذا

الضابط أن يُخرج أحد أهم رجال العصابة، فقام بالقبض على بطلنا و لفق له التهمه و أخرج المجرم الحقيقي، و ليس هذا فقط بل عندما حاول بطلنا إثبات الحقيقة كونه بريئاً، قام هذا الضابط بأمر أحد رجال العصابة المسجونين بالقضاء عليه و اخراسه للأبد، فنال الضابط هكذا كل من رضا كبار تجار المخدرات، وكبار رجال الشرطة، في مقابل تدمير شاب مكافح، وتدمير أسرته أيضاً، لذلك على المجرم الحقيقي أن يتلقى العقاب، فالظالم يقتل ويسرق ويعامل كالبطل، ينعم بالحياة السعيدة، والمظلوم يكافح ويجتهد ويعامل كالمجرمين ويقتل بدم بارد،... فأين كلمة الحق؟

صمت و تعجب ملاً مركز الشرطة كاملاً، يلاحظ الجميع ازدياد عدد مشاهدين الفيديو بشكل سريع، وظهور تعليقات ضد ضابط الشرطة وضد الفساد المنتشر.

- أريدك أن تبحث في الأرشيف عن شاب قد تم القبض عليه بتهمة تجارة المخدرات و توفي في سجنه.

قاله (هاشم) بتفكير عميق و نظرة حادة لا تفارق شاشة العرض ليجيبه (أحمد):

- أعتقد حقًا أن ما قاله المقنع حقيقي؟! -

- لست واثقًا بعد لكن نحتاج إلى تفصي الحقيقة و عدم إهمال أي كلمة، فهذا سيثبت إن كان فيديو حقيقي أم مجرد هاوٍ يلعب.

وقف (هاشم) بصوت مرتفع يسمعه الجميع بمركز الشرطة:

- أريد من الجميع الانتباه، المجرم يختطف أبناء رجال الشرطة، لذلك أريد من الجميع توخي الحذر، وانتبهوا إلى أطفالكم جيدًا.

- والمظلوم يكافح ويجتهد ويعامل كالمجرمين ويقتل بدم بارد،... فأين كلمة الحق؟

سحق (حسن) سيارته بعنف في مطفأة السجائر المملوءة بأعقاب السجائر التي استهلكت، وهو يستمع للكلمات الأخيرة التي يلقيها المقنع، و الغضب ينبثق من عينيه، و مع انتهاء الفيديو يصيح (حسن) بالسباب و اللعنات متوعدًا في حقنه:

- سأصل إليك و لن يرحمك أحد من تحت يدي.

ثم يقذف فنجان القهوة بعنف عرض الحائط، تدخل زوجته عليه في قلق تطمئن عليه، فتجد أهوَجًا يقذف بالأشياء، يهيم بالرحيل فتسأله في خوف:

- إلى أين انت ذاهب؟

دفعها بقوة لتسقط أرضًا و هو يقول:

- ابتعدي عن طريقي يا ابنة...

و أطلق سبة قذرة ثم خرج من منزله، نحو وجهته بشرٍ يتدفق من عينيه، يتصل بأحدهم و فور أن تلقى ردًا صاح بغلظة:

- إن ذلك الوغد يعلم بتلك الجريمة و ما حدث بها.

- كيف حدث هذا؟!!

- أنا لم أخبر أحدًا بشيء، ولا دليل على ما فعلت نهائياً، لذلك قد تكونوا أنتم من باح بشيء لأحد.

- أحسن تفكيرك، فلن نبوح بأعمالنا لأي أحد، أمعن النظر حولك جيداً، قد يكون صديق مقرب لك في الشرطة، أو ربما أسرة الضحية من فعلت ذلك.

كلمات توقف لها (حسن) يفكر في منطقتها لوهلة حتى سمع
الأخر يقول له:

- ما الذي فعلته فيما طلبناه منك؟

- سأتصرف لا تقلق.

ثم يغلق الهاتف معه و يتابع طريقه و هو يفكر في تلك الكلمات
جيدًا.

حلل الضابط (هاشم) آخر فيديو للمقنع آلاف المرات، محاولاً
أن يعثر على دليل أو طرف خيط، ينطلق منه في التحقيق،
حواله ملفات و صور مجمعة لأحداث الجريمتين السابقتين،
فجأة يقطع أفكاره شجار حاد خارج مكتبه، فيخرج ليتفقد الأمر
في ضيق، ليجد الضابط (حسن) في قمة غضبه يلقي بالسباب
بكل أشكالها القذرة، متهمًا الضباط بالتقصير في عملهم وعدم
الاهتمام، يتدخل (هاشم) لإيقافه فينظر إليه (حسن) بكل غضب
قائلاً:

- لما لم تعد ابني، وكيف تجلس هكذا بكل هدوء؟!

فيقول أحد الضباط:

- لقد أراد (حسن) الحصول على بعض الملفات المهمة لأحد
أخطر المجرمين ومحوها.

نظر (هاشم) بحدة (لحسن) يسأله عن سبب رغبته في محو تلك
الملفات، ليجيبه (حسن) بتعجرف ووقاحة:

- ليس من شأنك أيها الفاشل عديم المنفعة.

- ما الذي كنت تفعله في الفترة الماضية، لم تأتي لعملك و
كنت تغادر منزلك كثيراً؟

يصيح (حسن) بفضاظة:

- أتحقق مع الضحية و تترك المجرم طليقاً أيها الغبي.

ثم يغادر (حسن) باندفاع، والجميع ينظرون له باستياء و ضيق
من أسلوبه وطريقته الوقحة الغير مجدية.

وقت الظهيرة تتوسط الشمس السماء بحرارة حارقة، و على
أحد المقاهي يرتشف (مسعود) بعض العصير وهو ينظر لهاتفه
كل ثانية و الارتباك بادر عليه، يحمل هاتفه و يتصل على رقم

ما و هو على أمل ان يتلقى ردًا لكن لا جدوى، يظل على هذه الحال لمدة ساعتين، حتى تلقى ردًا، فاندفع بكلماته:

- أعلم يا باشا أننا اتفقنا على عدم التواصل بعد ما حدث، لكن الأمر خطير جدًّا، فأرجوك اسمعني.

- أمر خطير يستحق تواصلك معي!؟

- لقد اختطفت ابنتي، و أحتاج مساعدتك يا باشا.

- و ما شأنني أنا؟...؟

- أحتاج مساعدتك يا باشا.

- لما لا تبلغ رجال الشرطة سيساعدوك.

قالها ذلك الباشا بسخرية واضحة، ثم أطلق فقهات عالية ساخرًا من (مسعود) و حاله، بادر (مسعود) وسط جرحه على فقدان ابنته بضحكة ميّنة ليلتمس رضا الباشا، و هو يقول في حزن:

- حضرتك تمتلك النفوذ و المعارف فأرجوك ساعدني.

وسط ضحكاته ردف الباشا:

- لا أعدك بشيء و لكن سأجعل سكرتيرتي تحدد معك موعدًا
للتقابل.

- شكرًا لك، ولكني كنت أريد...

أغلق الباشا هاتفه و لم يستمع لحديث (مسعود)، الذي عاود
الاتصال و لكن لم يتوصل لشيء و لم يجبه أحد، فما كان منه
إلا ان يزفر في استياء شديد مما حدث.

- بالفعل كان هناك شاب يدعى (صلاح)، لديه والده المسكين
وإخوته ووالدته المريضة، اتهم في تجارة المخدرات وحبس
في السجن لمدة سبعة أشهر، ثم مات إثر عراك بينه وبين
المساجين، و من بعد موته توفيت والدته المريضة بسبب شدة
المرض عليها و الآن يبقى والده وإخوته، وإليك الملف
الخاصة به، وستتفاجأ كثيرًا بمعرفة الضابط الذي قبض
عليه.

أنهى (أحمد) جملته و هو يعطي (هاشم) الملف الخاص
(بصلاح)، فيأخذ الملف بعجلة، ويفتحه بحرارة ولهفة، يتفحص
الملف، ليجد أن الضابط الذي ألقى القبض على (صلاح) كان
الضابط (حسن)، فيتذكر كلمات الرجل المقنع بأن الضابط الذي

قبض على (صلاح) هو من لفق له التهمة وحبسه ظلمًا، وكان السبب الرئيسي في أن يفقد (صلاح) حياته، يظل (هاشم) يتابع تفحص ملف (صلاح)، يقرأ أهم وأدق التفاصيل، ثم يسجل العنوان الذي يسكن به (صلاح)، مقررًا الذهاب إليه، لأن أسرته من أوائل المشتبه بهم، فلدبهم دافع قوي للاختطاف.

حي شعبي بسيط سُكَّانه حيويون، بصخب لا يهدأ، المنازل شاهقة الارتفاع متقاربة كأسوار تحوي شوارع نحيفة هزيلة غير مستوية، بالكاد تتسع لسيارتين، توقفت سيارة (هاشم) و (أحمد) أمام منزل عائلة (صلاح)، وهي عمارة قديمة مهترئة صمدت كثيرًا أمام رياح الزمان العاتية، و فور نزولهما من السيارة سمعا صوت صخب و شجار مرتفع صادر من تلك العمارة، الناس مجتمعون بكثافة لمشاهدة المشاجرة كما لو كانت مباراة مهمة، همّ الضابطان في عجلة يصعدان العمارة وسط تجمع الناس حتى وصلا لشقة عائلة (صلاح)، فيجدان بها الضابط (حسن) يتشاجر بالسباب و اللعنات و الوعيد بأشد الانتقام، و العذاب لمن اختطفوا ولده، و على الجهة الأخرى جلس شيخ عجوز على الأريكة منهك مرهق يدافع عن عائلته قدر استطاعته، و حوله أبناؤه الثلاثة يتشاجرون مع (حسن)

بعنف، بينما كان الناس الفاصل بينهم، يحاولون تهدئة الأمر و
استيعاب الشجار، فيصيح (حسن):

- سأضعكم في السجن أيها الحثالة، على خطفكم ابني، لن
أرحمكم أبدًا.

يرد عليه أحد أفراد الأسرة بحدة:

- أيها الظالم تسجن اخانا ظلمًا و تتسبب في قتله، ثم بعد كل
هذه السنوات تأتي لنا تتهمنا بخطف ابنك، ألم تكفي بما
فعلت.

- أخبرتك أن أخوكم مذنب و بالأدلة، أيها الأوغاد.

اندفع (هاشم) و (أحمد) يصدان (حسن) بقوة و يبعدانه عن
المكان:

- يكفيك هذا لقد أثرت المتاعب، و أحدثت جلبة كبيرة في
الحي، لا طائل منها.

قالها (هاشم) محاولًا السيطرة على الوضع، فتلقى دفعة و
صياحًا فظًا من (حسن):

- ألم ترى فيديو المختطف، الوحيدون المؤمنون بتلك
الخرافات هم هؤلاء الأوغاد، لا بد أنهم اختطفوا ولدي بلا
شك، أو على الأقل يعلمون من قام بذلك.

- (أحمد) بضيق: ما دليلك؟... و لماذا سيختطفونه بعد كل
هذه المدة؟!

صمت (حسن) في حنقه و عينه تنبض بغضب شديد، يطلب
منه (هاشم) الرحيل و ترك أمر التحقيق لهما، يرفض (حسن)
في بادئ الأمر، لكن (هاشم) يقنعه بطريقته، ليرحل تاركًا
تهديدًا و وعيدًا خلفه:

- سأرحل لكن اعلما جيدًا انني لن أتهاون مع أي أحد، و
سأعيد ولدي مهما كان.

رحل (حسن) بنيرانه، و فرق (أحمد) و (هاشم) تجمهر الناس
و هدأت أسرة (صلاح)، مضي بعض الوقت حتى هدأت عكرة
الأجواء و بدأت تصفو قليلاً لتصبح صالحة للحديث ، كان
أمامهما والد (صلاح) الشيخ العجوز (زكريا)، ممتلى الجسد،
حبيب المرض الشديد، بجواره أولاده الثلاثة، (هيثم) و (أيمن)
و (رضا)، لهم هيئة متقاربة، متوسطي الطول قصيري الشعر
لونهم قمحي، يختلفون في الشارب و اللحية و بعض التفاصيل

البيسطة، جميعهم خريجي كليات، و جميعهم يجتمعون في رعاية والدهم المريض.

افتتح (هاشم) حديثه بالاعتذار و التأسف عن ما حدث، ثم بادر بالتعريف عن نفسه و عن معاونه، لم يتلقيا ترحابًا ولا حتى نظرة ود و لو نفاقًا، لكن (هاشم) تابع حديثه قائلاً برزانة:

- أنا أعمل على قضية اختطاف غامضة، ذُكر فيها تفاصيل قضية ابنك (صلاح)، لذلك أريد أن أسألك عدة أسئلة.

اعتلى الحزن الحج زكريا و هو يقول:

- ولدي الذي كان سندي، قُتل لأنه ضعيف بلا ظهر.

- أيمكنك أن تخبرني عن حياة (صلاح) ابنك و ما حدث معه؟

- كان ابني (صلاح) عطوفًا رحيماً، و رغم حياتنا الفقيرة البائسة، لم يستسلم لها و كافح بكل جهده، كان محبًا للناس، و ملتزمًا يشعر بالمسؤولية من صغره، ينهي يومه الدراسي و يعود للمنزل سريعًا، لينهي فروضه و مذاكرته، ثم يذهب إلى العمل، لكي يساعدني في تلبية احتياجات المنزل، لم يكن يرتاح أو يبأس، و دائمًا الابتسامة لا تفارق وجهه، و عندما

أسأله إذا كان يريد شيئاً لنفسه كان ينظر إلي بوجه يشوش
يخبرني أنه يريد سعادتنا فقط.

ذرف الحج (زكريا) الدموع، وهو يحكي ويتذكر ابنه و كيف
عان، فيخفف عنه أبناءه و يهدئون من روعه، فيكمل في مرارة
و حسرة:

- تمر السنين وتصاب زوجتي بالمرض الخبيث، وكان من
الصعب علينا توفير المال لعلاجها، في تلك اللحظة ترك
(صلاح) التعليم وأصبح يعمل طول اليوم بلا كلل، يعود
وقت الفجر منهكاً لا يقوى الحراك، ينام ثلاث ساعات فقط
ويعاود العمل، استطاع توفير المال اللازم لعلاج والدته، و
مع ارهاقه الشديد كان يحافظ على ابتسامته المليئة بالأمل
لوالدته، ليطمئنها أنها ستعيش وانه لا يشعر بتعب،... الجميع
كان يصدق بسماته إلا والدته التي كانت تعلم جيداً كم يعاني
في حياته.

- ولدك كان رجلاً يعتمد عليه.

- لقد رفض و بشدة أن يعمل إخوته، و يتركوا التعليم، أرادهم
أن يدخلوا الجامعات ويعملوا لدى كبرى الشركات.

يسعل فجأة الحج (زكريا)، فيسارع ابنه (هيثم) بجلب كأس الماء له في حين أخبره (أيمن) بالتوقف عن الحديث لأجل صحته لكن الحج (زكريا) أصر و تابع حديثه:

- و في يوم ما و على غير العادة تأخر ابني في المجيء للمنزل، و عندما طال الأمر و لم نعثر عليه توجهنا لمركز الشرطة لنبلغ عن فقدانه، فتفاجأنا بأنه قد تم القبض عليه بتهمة تجارة المخدرات، والتي لم يصدقها أحد من عائلته أو من سكان المنطقة، حاولنا إثبات براءته لكن لم نستطع، فالضابط وقتها أكد أنه قبض على ابني و هو يحمل المخدرات، حاولنا أن نوكل له محامياً، لكن لم نجد محامياً يقبل بقليل المال، و بذلك حبس ابني ظلماً، و انتهت حياته الأليمة في السجن، و بعدها بمدة سمعنا خبر وفاته بسبب شجار بينه و بين أحد أخطر المساجين.

أصبحت الكلمات تخرج من الحج (زكريا) بالألم و اللعثة، متابعاً حديثه في مشقة:

- لقد كان وفاته هو وفاة العائلة بأكملها، ليس مجرد فرد لحاله، بكت والدته و فقدت وعيها أكثر من مرة من كثرة النحيب و البكاء، احتراق قلبها على فراق ابنها الغالي، و بعد خبر وفاته بمدة قصيرة جداً توفيت حزناً و قهراً عليه.

ازداد بكاء الحج (زكريا) و احمرت عيناه، و انهمر دموع ابنه
(رضا) رغبًا عنه، ثم ردف:

- لقد ماتت والدته على الفراش تحتضن صورة ابنها، بوجه
متورم غارق بالدموع و الحزن و الأسى، رغم أنها كانت
تتماثل لشفاء، لكن ألم الفراق أشد فتكًا من أمراض الدنيا، و
قبضة الظالم لا ترحم، تبطش بالبسطاء لمذاتهم فقط.

توقف الحج (زكريا) ولا يستطيع متابعة الحديث، يحاول كل
من (أيمن) و (هيثم) تهدئته، و إعطائه مسكنًا ليتمالك أنفاسه،
فيسأل (رضا) و الضيق في عينيه:

- لماذا يحدث هذا؟... لأننا فقراء؟... لماذا تنتهي حياة أختنا
هكذا، مظلومًا مقتولًا في سجنه، و المجرم الحقيقي يعيش
سعيدًا متمتعًا بالحياة؟

يتابع (أيمن) أسئلة أخيه بحنقه:

- لماذا تموت أمنا محروقة القلب؟... لماذا يدهس الفقير بلا
رحمة،... و ينظر له على أنه نكرة مكانه القبر؟

يشعر (هاشم) بالحزن والأسى، و أيضا بحقد و غضب دفينين،
يحاول تهدئة الحج (زكريا)، و أبناءه و التهوين عنهم، و يعتذر

إليهم لتذكيرهم ألامًا وجروحًا لم تشفى بعد، رغم مرور الزمان عليها، ثم يعتذر منهم مرة أخرى، لأن لديه بعض الأسئلة المهم التي تحتاج إلى إجابات لضرورة التحقيق، و يسأل:

- هل كان الضابط (حسن) هو من قبض على ابنك؟

هدأ الحج (زكريا) مجيبًا بإيجاب، فسأله (هاشم):

- ما الذي يجعلك متأكدًا أن الضابط (حسن) قد لفق التهمة لولدك، ربما يكون أحد ما قد دس المخدرات في أغراض ولدك عمدًا؟

- لا، لا يمكن حدوث ذلك، عندما زرت (صلاح) في السجن، أخبرني أنه علم من بعض المساجين أن هذه ليست المرة الأولى التي يلفق فيها ذلك الضابط التهم للأبرياء ليدخلهم السجن، لينال بذلك رتبة في أعين رؤسائه، و أيضًا ينال رضا من يعمل معهم.

- من يعلم قصة ابنك بكل تفاصيلها تلك؟

- قصة ابني يعرفها تقريبًا سكان الحي جميعًا.

صمت (هاشم) و هو يفكر فبادر (أيمن) بسؤاله:

- لماذا تسأل كل هذا؟! وما علاقته بالقضية التي تحقق بها؟! ... فكل ما حدث كان من إحدى عشر سنة مضت؟!!

- يجيبه (أحمد): يوجد رجل يخطف أولاد الضباط الآن، ويرفع فيديوهات على الأنترنت، و آخر فيديو يحوي صورة (صلاح) و يروي بها قصته، لذلك جننا لنتحرى الأمر، و لأصدقك القول، أنتم جميعًا مشتبه بهم، في عملية الخطف تلك، لأن أحد الأولاد المخطوفين هو ابن الضابط (حسن)، الذي قبض على (صلاح).

يقول (هيثم) في عجله برهبة:

- أرجوكم لا نريد المشاكل، لقد خسرنا، ما لا يحتمل، و الآن والدنا شيخ كبير على الفراش مريض وعاجز، ليس بمقدرته تحمل الضغط والقلق.

يتابع (رضا) بنبرة مرتجفة:

- أقسم لك أننا لم نرتكب أي شيء، ولم و لن نسعى للانتقام الآن، لقد مر إحدى عشر عامًا.

يقول الحج (زكريا) في شقاء:

- أرجوكم دعونا نعيش.

يطمئنهم (هاشم) بأنه لا يوجد أية مشاكل، وأنه فقط يقوم بإجراءات اعتيادية من أجل التحقيق، ثم يستأذن كلا الضابطان وينصرفان.

أثناء عودتهما إلى مركز الشرطة يطلب (هاشم) من (أحمد) تعيين بعض المخبرين لتتبع الإخوة الثلاثة و معرفة تحركاتهم جيداً في الفترة القادمة، فيسأل (أحمد):

- أتشك أنهم الفاعلون؟

- أجل، فمن قام باختطاف ابن (حسن) ثلاثة أشخاص، و هم بالتأكيد الأخوة الثلاثة اما الوالد فهو العقل المدبر، و دافعهم الانتقام لأخيهم، فغيرانهم لم يخمدها الدهر، و مازالت محتدة متشعبة بالغضب، تتبينه في كلامهم، نظرات أعينهم، تطابق بعض الجمل التي قيلت مع ما اتى في فيديو المقنع.

- و لكن لماذا بعد أحد عشرة سنة يسعون للانتقام؟!

- ربما لم يكونوا مجهزين بالإمكانيات و الخطة المناسبة.

- حسناً، لماذا سيخطفون ابنة (مسعود)؟!

- هذا هو السؤال الذي لا أعثر له على إجابة مقنعة.

- هل تعتقد أن (حسن) قد لفق التهمة (اصلاح)؟

- تصرفاته و أسلوبه الغريب، و محاولة حصوله على ملف

مجرم خطير، يدلان على أنه قد فعلها لكن لا دليل يثبت ذلك؟

- سأقوم بتنفيذ ما أمرت به، لن تغفل عنهم عيني.

مطعم فاخر راقي، يطل بإضاءته الخافتة المبهجة على النيل
البيدع، مع نسمة خفيفة دافئة منعشة، ألحان الموسيقى الهادئة
تضفي راحة للحاضرين، تبعث على الاسترخاء و المودة،
طاولات موضوعة بانتظام و تنسيق، و على إحدى هذه
الطاولات ذات الإطلالة الرائعة، كان (هاشم) في أنيقة يراقب
حركة النيل، بابتسامة و سعادة بادرة في عينيه، دقائق وتدخل
المطعم فتاة حسناء، تسير بوقار و هدوء، في ملابسها المحتشمة
الرفيعة، و حقيبتها الصغيرة الأنيقة، بوجه نضر مشرق
وابتسامة عفوية جذابة، عينيها بنيتان لامعتان بالسعادة، و
وجنتاها ورديتين كالطفلة الصغيرة، و اكتمل جمالها بحجابها
اللطيف، تلوح (لهاشم) بفرحة، ليبنتسم لا إرادياً، تجلس أمامه
على الطاولة، مخطوبته الجميلة (ورد)، فتاة مجتهدة تعمل في

إحدى شركات الاستيراد و التصدير، ليس لها اخوه، والدها توفي في حادث، و تعيش الآن مع والدتها، و بعد السلام و التحيات و المزاح و الكلام التقليدي، يقول (هاشم):

- لقد تأخرتِ عن الموعد المحدد.

- اعذرنى العمل قد أخرنى و مع ذلك...

تخرج من حقيبتها الصغيرة قطعة شكولاتة و تقدمها (لهاشم) رادفة:

- هذه منى كاعتذار عن تأخري.

يأخذ (هاشم) الشكولاتة و بابتسامة خبيثة يقول مداعباً:

- لا تكفى أحتاج لقبلة لإرضائي.

ضحكت (ورد) ثم قالت بمرح:

- أضفها على الحساب و بعد الزواج سأسدها لك.

يضحكان معاً بانسجام و مرح، يطلبان الطعام ثم يدور بينهما أحاديث مختلفة و كثيرة بين أطلال الحب و المزاح، إلى أن سألت (ورد) عن القضية التي يعمل عليها (هاشم)، و رغم أنه لا يريد أن يكون حديثه مع مخطوبته عن القضايا و المجرمين،

إلا انه قام بسررد جزء بسيط سطحي من أحداث القضية و ذلك لأن (ورد) تحب سماع تلك القضايا التي بها غموض، تشعر بأنها مشوقة و رائعة و تستمتع بها، كما لو كانت تستمع إلى فيلم، أو تقرأ رواية مشوقة.

تناولا الطعام ثم تابعا حديثهما عن شغفهما المشترك، و هو الشعر الذي كان سبب تقابلهما و ارتباطهما ليفتح هاشم حديثه:

- أتذكر أول يوم قابلتك فيه، و كيف انبهرت بحفظك و حبك لأجمل أبيات الشعر التي أحبها.

تلقي (ورد) بشعرها في حب (هاشم)، بأسلوبها الرقيق و صوتها الناعم، و كلماتها العذبة، سارقة قلب و عقل (هاشم) لعالم آخر غير الذي يعرفه، فالأنثى لها قوة مميزة باستطاعتها قلب كيان أعتى الرجال إن أرادت، يأتي منتصف الليل في لمح البصر، معلناً انتهاء وقتها الجميل، فجلسات العشاق تمضي ومضةً لا تكفي لإشباع ظمأ العشاق.

الفصل الثالث

(عالم لا يصلح للحياة)

يوم زاهي تغنت به الشمس وسط السماء، يتراقص على ألحانها نسيم الهواء، يدعو الجميع لتقضيت اليوم في هناء، فاستغله الضابط (أشرف) ليقضيه مع عائلته، كان رجلاً متوسط البنية، أصلع الرأس، حاد الملامح، ذهب مع أسرته إلى السينما في إحدى المولات الكبيرة، لمشاهدة فيلم عائلي، ثم توجهوا إلى مطعم فاخر لتناول الطعام، و بعد الانتهاء طلبت (شهد) ابنة الضابط (أشرف) البالغة ثماني سنوات الذهاب إلى الحمام، فيوصلها (أشرف) إلى حمام السيدات وينتظر خارجاً حتى تنتهي، وأثناء انتظاره خرجت سيدة من حمام السيدات ترتدي قبة لا تُظهر وجهها ومعها حقيبة سفر متوسطة الحجم تغادر بها سريعاً، لفتت نظر الضابط (أشرف) لسرعة خطواتها و حقيبة السفر الغريبة لكن لم يهتم لها كثيراً، و بعد مرور أكثر من ربع ساعة من الانتظار، ينفذ صبر (أشرف)، و يطلب من

زوجته الدخول لإحضار ابنتهم من الحمام، تدخل الأم و تغيب دقيقتين، و فجأة يُسمع صراخها مدويًا في أرجاء المول، اقتحم (أشرف) حمام السيدات بفرع و الخوف متملك منه، يتمنى ألا يكون ما ورد لخاطره صحيحًا، لكن للأسف وجد زوجته فاقدة للوعي، و حولها النساء يحاولن إيقاظها، تخبره إحداهن أن آخر كلماتها كانت:

ابنتي قد اختطفت كالباقيين.

إنهار (أشرف) على ركبتيه أرضًا متحجر الوجه، جاحظ العينين في صدمة عنيفة مشلول التفكير.

لحظات و اجتمع أمن المول و الشرطة، بقيادة (هاشم) الذي تبدو عليه حالة من الغضب و الاستياء، بسبب عملية الخطف الثالثة و التي لم يستطع إيقافها أو حتى التنبؤ بها.

بدأ (هاشم) بالتحري و التأكد من الحمام و من المداخل و المخارج المتاحة للخاطف، ثم سأل (أشرف) عما حدث بالتفصيل، كان (أشرف) في حالة حزن غير قادر على الكلام أعصابه مشدودة و أفكاره مشوشة و لسانه متخبط بأسئلة لا إجابة لها:

- لماذا ابنتي؟! ... ما الذي فعلته حتى تختطف؟

يهده (هاشم) ويطمئنه بأن هناك كاميرات مراقبة صورت كل شيء، و سرده لتفاصيل ما حدث سيساعد في عودة ابنته، لم يقتنع (أشرف) بكلامه كثيرًا، فمن عاد من الذين خطفوا سابقًا، لكنه هدا وبدأ يروي تفاصيل اليوم العائلي إلى أن قال:

- وخرجت سيدة لفتت انتباهي بعد دخول ابنتي بخمس دقائق تقريبًا، كانت غريبة المظهر، شعرها طويل ترتدي قبعة كبيرة، و ترتدي قناع طبيًا، خطوتها سريعة، و ملابسها سوداء قاتمة، ولفت انتباهي حقيبة السفر التي كانت معها.

في تلك اللحظة توقف (أشرف) عن الحديث، بعد أن تبين الأمر أمامه، لقد خُدرت ابنته، و وضعت داخل حقيبة السفر تلك، وهذا أيضًا ماورد بخاطر (هاشم)، فيذهبان إلى قسم الأمن، ليتحققا من كاميرات المراقبة، و يبدأن بمتابع ما حدث من بداية اليوم.

سيارة زرقاء اللون أرقامها مخفية واقفة أمام المدخل الرئيسي للمول، يقودها رجل يرتدي قناع الخاطف المميز، تنزل من السيارة السيدة التي ترتدي قبعة كبيرة و معها حقيبة سفر متوسطة الحجم، و تدخل المول سريعًا بينما تتحرك السيارة الزرقاء إلى الموقف السفلي تحت الأرض، و ينزل منها المقنع ينزع قناعه دون أن يرى وجهه و يرتدي قبعة هو الآخر و

قناعاً طبيياً يخفي وجهه عن الكاميرات، و يدخل المول ليجلس في منطقة المطاعم بزواية، لا تستطيع منها الكاميرات التقاط وجهه، في تلك الأثناء تتحرك السيدة بحقيبة السفر في المول بدراية تامة لخطواتها، و لا ترفع رأسها أبداً حتى لا ترى الكاميرات واجهها، تذهب لحمام السيدات المجاور لمنطقة المطاعم، و تنتظر قرابة الساعة داخل الحمام، حتى أتى (أشرف) و ابنته أمام الحمام، و بمجرد دخول الطفلة الحمام، و في وقت قصير خرجت السيدة و معها حقيبتها، و تحركت بها و معها المقنع أيضاً إلى موقف السيارات السفلي، و أمام سيارة زرقاء وقفت، و فتحت حقيبة السفر التي معها، تُخرج الطفلة الفاقدة لوعيتها، و تدخلها السيارة و تنطلق بها.

فكر (هاشم) قليلاً ثم أعاد تشغيل ما حدث عدت مرات ثم طلب من رجاله الذهاب للمطعم الذي أكل منه (أشرف) وعائلته، وفحص جميع المعالق والأطباق والأكواب التي تناولت منها العائلة، ليسأل (أشرف) في تعجب عن السبب، ليجيبه (هاشم):

- لماذا دوناً عن جميع حمامات المول اختارت الحمام المجاور لمنطقة المطاعم، ما الذي جعلها متأكدة من أن ابنتك سوف تذهب إلى هذا الحمام؟

فكر (أشرف) في حيرة لا يستطيع اكتشاف الأمر فعقله مشوش غير قادر على التفكير فيردف (هاشم):

- أحد ما في المطعم الذي كنتم به يعمل مع هذه السيدة، و أرجح انه وضع شيئاً في الوجبة المخصصة لابنتك ليجعلها تدخل الحمام، لذلك علينا فحص أدوات طعامكم جيداً، قبل الغسل و تفتيش المطعم و التحقيق مع العاملين به جميعاً.

لم يطل عملية الفحص و التحري، وتم العثور على مادة ما بعلبة العصير الخاصة بالطفلة، و أظهرت نتائج التحليل أنه تم وضع مادة تسبب الرغبة بدخول الحمام، فتم التحقيق مع جميع العاملين بالمطعم إلى أن انتهى الأمر بالمشتبته به الوحيد القادر على وضع هذه المادة، و هو العامل الذي قدم الطعام للأسرة، و الذي أنكر أنه وضع شيئاً في الطعام، لكن جميع الدلائل و تتابع الأحداث تثبت بأنه الوحيد القادر على فعلها، فيقول (هاشم) بصوت غليظ جهور يرهب الشاب:

- أنت أقرب شخص لوضع المادة بعلبة العصير فاعترف بما حدث حالاً.

وقف الشاب متعرقاً يفوح منه الخوف، ترتجف كلماته ولا تخرج من فمه سليمة، يقول بصوته المسكين الضعيف:

- أقسم لك يا حضرت الضابط أنني لم أختطف الطفلة، و لم أتعاون مع أحد.

- إذا كيفه وصلت المادة إلى علبه العصير الخاصة بالطفلة، وأنت المسؤول عن إرسال الطعام من المطبخ إلى الطاولة؟

- لقد ارتطمت برجل مسن أثناء إرسال الطعام للطاولة، وسقط على الأرض، فوضعت الطعام على طاولة مجاورة، وساعدته على الوقوف، فربما يكون أحد استغل تلك الثواني ووضع شيئاً في العصير، ويمكنك التأكد من ذلك من كاميرات المراقبة.

- كيف كان شكله؟

- رجل عجوز يرتدي نظارات سوداء، وله لحية بيضاء وشارب و يرتدي قناعاً طبياً.

يشاهد (هاشم) الفيديو المسجل للمطعم، و يراقب العامل ليتأكد من كلامه، فيتفاجأ عندما يرى أن الرجل الذي أتى مع السيدة ذات القبعة الكبيرة هو ذاته من اصطدم بالعامل، و سقط على الأرض، ليضع العامل الطعام على الطاولة المجاورة، ليساعده على النهوض، و في تلك اللحظة يحجب الرجل الرؤية عن الطعم بجسده و هو يشغل الشاب بشكره، و كانت هذه هي

أفضل فرصة لوضع المادة في علبة العصير، و بذلك اكتملت
الخطة، المقنع وضع المادة في العصير و السيدة اختطف
الطفلة من الحمام.

صمت حَيِّم على (هاشم) و (أشرف) في قسم الشرطة، الضيق
يتملك (هاشم) بشدة، لعجزه عن فعل شيء إيجابي في هذه
القضية، بينما الحزن يقضي على (أشرف)، الذي يفكر في ابنته
(شهد)، متسائلاً عن سلامتها و صحتها و كيف حالها، فيقاطع
(هاشم) تلك التساؤلات قائلاً:

- صدقني سأعيد ابنتك ولكن تعاون معي أرجوك.

- بقلق أنا معك ولكن أترجاك أن تسرع، يكاد الفلق يقتلني.

- هل تشك بأحد؟

صمت (أشرف) لثواني معدودة يفكر ثم أجاب:

- أجل هنالك...

يقطع حديثه الدخول المفاجئ (لحسن) كثور أعمى يصيح
بغضب عارم:

- الطفلة الثالثة تُخطف، وحضرتك جالس تشرب الشاي
وتواسي والد المختطفة.

وقف (هاشم) محاولاً أن يكظم غيظه، قائلاً بصبر على وشك
النفاد:

- كنت مع (أشرف) في موقع الاختطاف نبحت عن دليل
لموس، المختطف ماكر جداً يخطط بعناية تامة لما يفعله،
دون أن يترك أثراً لتتفقيه، بينما انت تزيد القضية تعقيداً،...
ثم لماذا أردت ملف مجرم خطير؟

بنظرات الغيظ قال (حسن) بفضافة:

- أتمنى أن يُختطف لك عزيز، حتى تعرف بما نشعر، و
ستعلم حينها أنك مستعد لفعل أي شيء، حتى لو كان ضد
مبادئك، لإعادة من فقدت، لقد قررت إعادة ابني بنفسى،
فأنتم لا تجيدون عملكم وليس لك دخل في عملي و س...

يدخل (مسعود) المكتب و القلق على وجهه قائلاً:

- لقد حاولت العثور على دليل واحد من بين ملفات من
قبضت عليهم سابقاً ولكنى فشلت، لم يتصل بي المجرم
ليطلب فدية، ولا أعلم ماذا أفعل.

(حسن) بسخرية و سخط:

- و جنئت لتتضم لأختيك لتجلسوا في نحيب و حزن على
عجزكم.

فشل الصبر في السيطرة على (هاشم) ليثور ممسكاً (بحسن)
من قميصه:

- ما الذي ستجنيه بكلامك و أفعالك هذه أيها المغفل؟

يتدخل كل من (مسعود) و(أشرف) لكي يفصلا بينهما، في حين
يقول (حسن) بكل برود في محاولة لإغظة (هاشم) كمن يسكب
البنزين على النار:

- أريدكم أن تعملوا تحت إمرتي و تتبعوا أوامري دون
تعليق، فلدي خطة لنصل للخاطف.

- خطة بأن نسلك طرقاً ملتوية، كأن تعمل مع أحد العصابات
و تمحي ملفات أخطر المجرمين، لا تظن أنني مغفل لا
أعرف أنك لجأت للعصابات ليدلوك على مكان الخاطف.

اضطربت نظرات (حسن) للحظة ثم احتدت قائلاً:

- أنت كاذب بلا دليل واحد على ما قلت...

وسط هذا الشجار وتبادل الاتهامات واللوم بينهم، يدخل أحد رجال الشرطة بخبر صادم، أوقف شجارهم:

- يوجد فيديو قد رفع على شبكة الإنترنت للمختطف المقنع.

فإذا بالجميع يركض لشاشات الكمبيوتر والهواتف المحمولة ليروا ماذا سيقول المختطف.

رجل يرتدي قناعاً فضياً لوجه سيده، شفاها سوداء اللون، حول العينين كحل أسود، ذات شعر مموج أسود ينسدل على كتفيه، يحمل في يده ريشة ناصعة البياض، وبجواره صورة لفتاة شابة في مقتبل العمر، جالس في غرفة مظلمة بالكاد تظهر ملامح بسيطة من جسده، يبدأ كلامه بصوت غليظ أجش، مستخدماً جهازاً لتغيير الصوت قائلاً:

- أهلا بكم في حلقة جديدة من كلمة حق، بطلة الحلقة هي فتاة يافعة في العشرينات من عمرها، انفصل والداها وهي صغيرة، فعاشت مع والدها بقيت حياتها، كانت بطلتنا إنسانة محبة و عطوفة، حنونة تكره الظلم و تساعد من يحتاج العون، والدها كان صاحب إحدى أكبر شركات الأدوية، مما وفر لبطلتنا المال الوفير لفعل ما تريد.

بكلمات منمقة سرد بها المقنع حكايته المثيرة، فكانت أول أحلام بطلتنا، هو أن تبني مؤسسة خيرية لمساعدة الفقراء و المحتاجين، و انطلقت لتحقيق حلمها عندما بلغت اثنين و عشرين عامًا، و بدأت بأعمالها الخيرية، واجهت بعض الصعوبات في أول طريقها فكانت بطلتنا وحيدة، تذهب لحالها للقرى الفقيرة توزع الطعام و الشراب و الملابس، و ظلت على هذه الحال فترة حتى بدأت مؤسستها تكبر، و يتعرف الجميع عليها و على نشاطاتها، فتوافد الشباب للعمل معها في فعل الخير.

كانت بطلتنا محبوبة متواضعة نقية القلب، فرغم توافد الشباب و ذهابهم للقرى بأعداد كبيرة، إلا ان بطلتنا برقتهم دائمًا، تذهب معهم و توزع معهم و تتعامل معهم و كأنها واحدة منهم، كانت تساندهم في مشاكلهم ماديًا و معنويًا، فإذا رأيتها بينهم لن تصدق أن هذه الفتاة هي صاحبة تلك المؤسسة الخيرية، كانت طاقة إيجابية تدفع الجميع إلى الأمام، كنور الأمل في نهاية نفق مظلم، بل رآها البعض كالساحرة الطيبة التي تصنع النهايات السعيدة في قصص الأطفال، أحبها الكل لابتسامتها الدائمة، التي تشع بالحياة و التفاؤل، ملهمة في أقل ما تفعل، تحب الحياة من كلماتها و ابتسامتها، تشع بالدفء في ضحكتها وأفعالها، ترى الجمال برقتها و روعة أحلامها و طموحها، لقد كان

النظر لوجهها كالنظر للملائكة الطاهرة التي تروى في الحكايات.

أحبت بطلتنا شخصاً رافقها و شاركها حلمها بشغف و سعادة، و أصبح حلمه هو نجاح حلمها أكثر و أكثر، و بذلك أصبح الإثنين مخطوبين، ساعدته بطلتنا في بناء نفسه و النهوض بذاته، فهو شاب يكافح في حياته من الصفر، فاشترت منزلاً و كتبته باسم خطيبها، فهو الرجل قبل كل شيء، لكنها لم تهتم بتلك الأمور الساذجة، فالمهم بالنسبة لها، أن يعيشان به بسعادة و حب، ليكبر أولادهما به في رخاء و نعيم، ثم قامت بعمل شركة مقاولات خاصة لخطيبها، كان يساعدها هو الآخر في حلمها، و أصبحت الثنائي الذي سيحدث فرقاً في حياة الفقراء و المجتمع.

أصبحت بطلتنا صاحبة أكبر مؤسسة خيرية، و أحدثت فرقاً في حياة الكثيرين، و صارت رمزاً للأمل و المحبة، تم تحديد موعد زواجها من حبها، كانت الحياة جميلة مثالية، و هذه هي الكذبة التي يصدقها البشر، فلا مثالية في الحياة، فهي ببساطة اختبار صعب الاجتياز، مر التجربة، عميق الأثر.

يوم بدى كأي يوم آخر، إلى أن اتصلت إحدى السيدات بالمؤسسة تخبرهم أن ابنها في حالة خطرة، ويحتاج الذهاب

إلى المستشفى بأقصى سرعة ممكنة، ويصعب الوصول إلى المستشفى لأنها بإحدى القرى الفقيرة البعيدة عن أي وحدة صحية، ولسوء الحظ لم يكن من تخصصات المؤسسة إرسال سيارات للمرضى، وعندما علمت بطلتنا بالأمر رفضت أن تجلس ولا تفعل شيئاً، وقررت الذهاب بسيارتها الخاصة لتلك السيدة وأخذ ابنها إلى المستشفى.

رفض رفقاءها أن تذهب لحالها، فالماكن بعيد و نائي، لكنها أصرت على الذهاب وانطلقت إلى العنوان المحدد، وصلت وأخذت الطفل ووالدته إلى المستشفى، وهناك احتاج الطفل إلى عملية ضرورية، فقامت البطلة بالموافقة ودفع تكاليف العملية وإقامة الطفل في المستشفى، ولم ترحل حتى تأكدت من نجاح العملية، وأن الطفل سيغدو بحالة جيدة، غادرت المستشفى وهي تشعر بالسعادة لأنها كانت سبباً في إنقاذ حياة طفل.

تأخر الوقت و بطلتنا في طريقها للعودة بعد يوم شاق و طويل، و في طريق العودة تعطلت سيارتها بشكل مفاجئ، وقفت بطلتنا تنظر حولها عسى تجد من يساعد، لكن لا ترى أحداً، تعطلت السيارة في منطقة معزولة وسط الطريق، على يسارها و يمينها صحراء جرداء، خالية من آثار البشر، فاتصلت بأحد رفاقها لكي يأتي لمساعدتها، و انتظرت في مكانها في توتر فالأجواء مريية و الليل المعتم لا يريح القلب، يكسر عتمته ضوء سيارة

بطلتنا فقط، فجأة تأتي سيارة فاخرة، و تتوقف أمام سيارة بطلتنا بشكل مريب، تسلل القلق لقلب بطلتنا، انطفأت أضواء تلك السيارة، و خرج منها اثنان واحد منهما يحمل عصا كبيرة، يتحركان باتجاه سيارة بطلتنا بشكل مفرع، و الشر منبثق من عينهما، على وجههما ابتسامة مخيفة نفضح نواياهما، زارعين الرعب في قلب بطلتنا، أحكمت إغلاق نوافذ السيارة و أبوابها في لمح البصر، سارعت في خوف بمحاولة تشغيل سيارتها مرارًا و تكرارًا، لكن لا أمل منها، فجأة يُضرب زجاج سيارة بطلتنا بالعصا، لتلهع صارخةً برعب، واصل الاثنان ضرب زجاج السيارة بشكل وحشي و بكل قوتها، و بطلتنا تنظر لما يفعلان برعب، أنفاسها تتسارع قلبها يخفق بجنون، جسدها يرتجف من الخوف، وسط دموع تترجى السيارة أن تتحمل تلك الضربات ولا تفتح أبدًا، و دعوات أن يصل رفيقها بأسرع وقت ممكن، من شدة خوفها أخرجت هاتفها لتقوم بتصوير ما يفعلان، محاولةً إخافتها، و لكن دون جدوى، إنهما كالكلاب الضالة، لا تفقه شيئاً.

بجسدها المرتجف تحاول بطلتنا تشغيل سيارتها في يأس مرير، و هي تترجاها أن تعمل، و في لحظة خاطفة انكسرت النافذة، و فتح أحدهما من خلالها الباب، و بهمجية حيوانية أمسك بطلتنا بعنف من رأسها، و ألقى بها خارج سيارتها بوحشية، حاول

الاقتراب منها، فركلته بقوة ليبعد عنها، مما أتاح لها الفرصة للهرب و الركض بعيداً، لكن أمسكها الشخص الآخر من شعرها، و ضربها بقوته العاشمة، فسقطت على الأرض مرة أخرى، حاول الاقتراب منها هو الآخر، فركلته أيضاً، و نهضت هاربةً من برائتهما، لكن أمسكها أحدهما و أسقطها أرضاً، ثم ضرب ساقها بالعصا بعنف بالغ، لتتكسر ساقها مطلقاً صراخاً حاداً من شدة الألم، صراخ مدوي تعصر له القلوب وجعاً، إلا قلب هذان الكلبان، فقد ظلّ يضربانها غير مهتمين لصراخاتها من الألم، و توسلاتها البائسة بأن يتركوها لسبيلها، دموعها كالسيل الجارف، جسدها لا يقوى الحراك من كثرة الضرب، تُقبل قدميهما في تذلل تترجاهما بأن يتركانها.

ظلّ يضربانها بقوة على ساقها المكسورة، و صرخات بطلتنا تدوي وسط الصحراء الجافة الواسعة، تصرخ بدموعها ولا مجيب، تصرخ بدمائها ولا منقذ، انهال عليها الاثنان بلكمات عنيفة حتى تصمت، تورم وجهها، و كسته الكدمات، و نزفت الدماء، توقف الصراخ من كثرة الضرب والألم، و بدأت تفقد وعيها تدريجياً، و هي تبكي بدمعٍ من دماء، حتى صارت كالجثة الهامدة، لكلبين مفترسين انقضا عليها بوحشية و بلا رحمة، لإرضاء شهوتهما الحيوانية.

وصل رفيقها بعد مدة، فزع من هول المنظر، بطلتنا على الأرض شبه عارية، تنزف الدماء بغزارة، و الجروح منتشرة بجسدها، قدمها مكسورة، وجهها دامي منتفخ مغطى بالكدمات، يصعب التعرف على تفاصيله، مشهد مرعب صادم لم يعرف رفيقها حتى إذا كانت ما تزال على قيد الحياة أو فارقتها.

استيقظت بطلتنا في غرفة العناية المركزة بالمستشفى، و بجوارها والدها نائم على الكرسي، و لثواني تحاول استيعاب ما حولها، و أين هي، و ماذا حدث لها، و بمجرد أن تذكرت، تعالت صراخاتها بهستيرية و نحيب، تنزع المحاليل التي بها بشكل عنيف جنوني جارحةً يدها، استيقظ والدها فزعاً، وهمّ يحاول تهدئتها و إيقافها، لكن لا يقوى السيطرة عليها، دخلت الممرضات و الطبيب سريعاً يعطونها حقنة مهدئة لتنام.

بعد يوم كامل استيقظت بطلتنا و يداها مكبلتان بطرفي السرير حتى لا تنزع المحاليل، تحاول الحركة لكن لم تستطيع، تتذكر أشكال تلك الحيوانات التي اعتدت عليها، فتزداد حركتها كثيراً في السرير محاولة فك يديها المكبلتين، منفجرة بالصراخ و البكاء الشديد بتألم و أسى، بدموع من نار، كانت كل لحظة في تلك الليلة الملعونة لا تفارقها، يدخل والدها الغرفة و يحتضنها محاولاً تهدئتها، و هو يبكي حزناً على حال ابنته، و هي تصرخ بألم تورم له وجهها، انتفخت عيناها من كثرة البكاء، بدأ صوتها

بالضعف و الانهيار من كثرة الصراخ، كل هذا أمام أعين
المرضات اللواتي ينظرن في أسى لهما في عجز لا تستطعن
التخفيف عنهما، إلا بإعطائها المهدئات، بدموع تملأ أعينهن.

بعد عدت أيام أتت الشرطة لأخذ أقوال بطلتنا، وصفت لهم
المجرمين بدقة متناهية، فكيف تنسى ملامحهما، وأعطتهم
صورة أحدهم، والتي تمكنت من التقاطها أثناء محاولتهما كسر
زجاج السيارة، و خلال يومين تم القبض على الاثنان، ورفعت
بطلتنا عليهما قضية لتأخذ حقها ويتم معاقبة المذنبين.

خرجت بطلتنا من المستشفى و قد شفيت جراحها الخارجية
بشكل جزئي، أما جراحها الداخلية لم تشفى بعد، كانت محطة
بالكامل مما حدث، و ما زاد من ألامها عدم سؤال أحد عنها أو
زيارتها في المستشفى، حتى خطيبها لم يزرها أو يتصل
ليطمئن عليها.

تتفاجأ بطلتنا بتحدث وسائل الإعلام عنها و عن قضيتها، و
بعناوين صادمة تصدرت الصحف، كعنوان صاحبة مؤسسة
خيرية تمارس الرزية وسط الصحراء، و غيرها الكثير، و مع
الاعلام تأتي الشائعات بأشكالها و ألوانها، و التي تم الترويج
لها بشدة، و من أسوء تلك الشائعات التي دمرت ما بنته بطلتنا،
هي أن المؤسسة الخيرية التي أنشأتها تقوم بأعمال مخلة غير

أخلاقية في الخفاء، و نتيجة لذلك قل عدد العاملين بالمؤسسة الخيرية، و رفعت الدعاوي القضائية عليها بتهم عدة، و أصبحت المؤسسة رهن الإغلاق بسبب ما يقال.

ذهبت بطلتنا لأحد المطاعم لتقابل خطيبها، لتعاتبه على عدم زيارته لها في المستشفى للاطمئنان عليها، وعدم السؤال عنها حتى بعد خروجها، فهذا أكثر ما أحزنها و ألمها، فهي في أمس الحاجة إليه في هذه الفترة العصبية، و عندما قابلته، بدأت تلموه وتعاتبه بحدة، لكنها تفاجأت بانفعاله مقاطعًا كلامها قائلاً:

(ماذا أفعل بعد أن اغتصبت خطيبتي و أصبح اسمها على كل لسان، ألم تقرأ أي الصحف و المجلات، اسمك لا يأتي إلا بالسوء، أتعلمين عندما كلمتني هاتفياً شعرت بالاستياء و الضيق، و لم أكن أريد أن أتى لأرى وجهك هذا، لكنني غيرت قراري لأضع حدًا لهذه العلاقة الفاشلة، و عندما وصلت رأيتك تجلسين على الطاولة و من حولك ينظرون إليك باحتقار، يتهامسون بما حدث معك، مصدقين الشائعات التي تدور حولك، لقد أصبحت أشعر بالاشمزاز من النظر إليك، أو حتى من مجرد ذكر اسمك، و هذا سبب عدم مجيئي لزيارتك في المستشفى، الشعور بالاشمزاز منك، لم أعد أحبكي، لا أريد رؤية وجهك الحامل للفضائح و العار، لا

أريد أن أسمع اسمك الذي أصبح على لسان الجميع،
يتهامسون به بأسوأ الكلام، لا أريد معرفتك مرة أخرى)

لم يكفه ما كان بها، لم يهتم لتمسكها الأخير به رغم ما فعل،
غابة الرجولة و النخوة عنه و بقيت كلقب له، رحل خطيبها و
تركها بدموعها تنهمر بلا توقف، تتعذب بنار تأكل قلبها،
جسدها يرتجف رغماً عنها، تحاول أن تنادي عليه، لكن غصة
في حلقها أفقدتها النطق من ثقل ما سمعت، نظرت حولها لترى
نظرات الاحتقار تحيطها من كل جانب، وتسمع همسات
الجالسين من حولها محملة بالاحتقار:

- لقد تركها خطيبها.

- إنها إنسانة قادرة، كيف تتوقع أن يكون لها حبيب.

- لا أعلم كيف لم يتم القبض عليها إلى الآن.

- هيا لنغادر فتلك القدرة تشعرني بالغثيان.

- يجب أن يتم منع الحثالة من دخول الأماكن العامة.

- انظروا إلى دموعها المخادعة تحاول أن تستعطفنا.

تسمع بطلتنا تلك الكلمات القاتلة من حولها، تشعر بالخوف و الوحدة، لا يتذكرها أحد إلا بالسوء، حاولت الوقوف لتلوذ بالفرار من تلك الكلمات، لم يتحمل جسدها كل هذا، فشعرت بألم شديد في قلبها وسقطت على الأرض مغشيًا عليها.

أغلقت المؤسسة الخيرية تمامًا وتركها خطيبها، والإعلام قد شوه سمعتها واسمها، لم يبقى أحد بجوارها، رغم ذلك ظلت بطلتنا واقفة على أمل أن تحصل على حقها، وتكسب قضيتها ويعاقب المجرمان على ما فعلوا، وبعد مرور مدة في المحاكم يأخذ المجرمان براءة، لعدم صحة الأدلة، ووجود ما يثبت أنهما كانا في مكان آخر في تلك الليلة.

سقطت بطلتنا في حفرة مظلمة عميقة، وحيدة بين البكاء والنحيب وصرخات الألم، خسرت نفسها وتضرر جسدها، خسرت حلمها ومؤسستها وخطيبها، وسمعتها وقضيتها وحقها إلى الأبد، دفنت حية تصرخ بالألم عالياً بلا مجيب، لا أحد يمسح دمعها، لا أحد يطمئننها ويشعرها بالأمان في هذا العالم الموحش، بعد أن كان يلتف حولها الجميع، تخلوا عنها و تركوها وحيدة، فالبشر أفتعة و أقذر تلك الأفتعة قناع الصديق الحميم.

احتد صوت المقنع بغلظة و غضب واضح يقول:

- الحقيقة خلف هذه القصة هي أن الضابط المسؤول عن القضية و الذي قبض على المجرمين و سلمهما للعدالة، هو نفسه من تقاضى مبلغًا كبيرًا من المال، ليزيل الأدلة و يخرج الاثنان من القضية بالبراءة، و ذلك لأن أحدهما ابن رجل أعمال كبير، ذو نفوذ و مال و سلطان، لقد أصبح العدل في زماننا سلعة تباع لأعلى سعر، و بسبب ما فعله هذا الضابط، يدخل الأب المسكين بيته ليجد ابنته الوحيدة ملقاة على الأرض، بعد أن تناولت كمية كبيرة من أدوية مختلفة، يركض الأب في فزع يحتضن ابنته، و يحاول ايقظها، لكن... قد فات الأوان،... نعم لقد انتحرت بطلتنا تاركة رسالة كتب فيها.

(عالم النفاق الذي أنتم فيه لا يصلح لقلبي الطاهر النقي، سأرحل عن عالمكم، لأرض السلام الحقيقي، و لتعلموا أي ضحية ماتت تحت أقدامكم، أحرقت جثتها بنيران كلماتكم)

لقد كانت الرسالة مبتلة بدموع تروي أكثر مما كتب، فأخبروني الآن أين العدل؟... أين كلمة الحق؟... من هو المذنب؟... من يستحق العقاب؟...

صمت تام عمَّ أرجاء قسم الشرطة، الجميع في حالة تساؤلات و تخبطات حول ما قيل، انتبه (هاشم) إلى وجه (مسعود) الذي بدى شاحبًا متوترًا، فسأله بتعجب عن حاله، ليجيبه في تلغثم وقلق:

- ل... ل.. لا شيء أنا فقط أشعر بالتعب.

ثم غادر سريعًا، أما كلا الضابطين كانا في حالة مختلفة، فالغضب في عين (حسن) وخوف واضح على (أشرف)، وقف (حسن) ظافرًا بغضب:

- سأجعله يتمنى الموت على أفعاله تلك.

سأله (هاشم) بتفحص:

- لماذا لا تعترف بتلفيقك التهمة (لصلاح) و تسببك في مقتله؟

فنظر له (حسن) بنظرة باردة قائلاً:

- تترك الجاني و تحقق مع المجني عليه، هذا بالتحديد واحد من الأسباب التي جعلتني أعمل بمفردي و لا أعتد عليك.

غادر (حسن) بغضبه مغلقًا الباب بكل قوته خلفه.

اندفع (أحمد) لمكتب (هاشم) يخبره بأخر المستجدات قائلاً:

- لا جديد جميع أفراد الأسرة يمارسون حياتهم الطبيعية بدون أي تصرف غريب.

- توقعت ذلك، فالشخصان اللذان اختطفا شهد، هما امرأة ورجل عجوز... أما الآن أريدكما أن تنصتا جيداً، الفتاة التي تحدث عنها الخاطف هي (نور) جلال المنصوري، صاحبة مؤسسة نور الخيرية، ذاع صيتها في الأعمال الخيرية سابقاً كأكبر مؤسسة وقتها، وبعد تلك الحادثة إنهار كل ما قامت به وانتحرت، هذا كان قبل عشر سنوات، لقد كانت قضيتها حديث المجتمع آن ذاك، فقال (أشرف) في توتر:

- ماذا الآن لا مشتبه بهم ولا دليل يقود للمجرم؟!

- اهدأ و استمع لاستنتاجاتي، أولاً المجرم يقوم بعملية خطف كل أسبوع، ويختطف أولاد الضباط فقط، ثانياً إن المجرم يختطف أطفال ضباط لهم أعمال فاسده، (فحسن) هو من لفق تهمة (صلاح)، و (مسعود) هو الآخر أرجح أنه هو من أخرج الاثنان المذنبان في قضية (نور) بالبراءة.

فيسأله (أشرف) بنتشيك وما دليلك؟

- نظرات الفرع في عينيه بعد آخر فيديو، وكيف هرع مسرعاً، إنه يخفي سرّاً ما (كحسن).

- أستنتج من كلامك أن المجرم خطف ابنتي بسبب فعل خاطئ قمت به على مدار خدمتي؟!!

- أجل المجرم ليس عشوائياً، إنه نكي جداً ويخطط بحرص تام لكل خطوه، وأتوقع حدوث عملية خطف أخرى الأسبوع المقبل، لذلك يجب أن نسرع في التحقيق لنقبض على ذلك المجرم، أو على الأقل معرفة الضحية القادمة و منع حدوث الاختطاف.

(أحمد) متعجباً:

- لكني لا أفهم لماذا يضع فيديوهات على الإنترنت؟!!

- سؤالك هذا يقودنا للنقطة المهمة، أعتقد أنه يريد العامة أن يشهدوا على ما يفعل، و أيضاً ليكسب تأييد الناس بقصصه التي يرويها، فقد نالت فيديواته عدد مشاهدات كبيرة جداً، ولاقت تعاطفاً من المشاهدين بشكل كبير، و حاز على تأييد له، وهذا يشكل خطراً على رجال الشرطة ويسيء لسمعتنا، إن الموضوع كبير ويزداد تضخماً، و قد يسوء الحال و تصل القضية لمسامع الإعلام، و حينها لن نُرحم.

قلق تملك الضباط لوهلة ثم ردف (هاشم):

- أما الآن أريدك يا (أحمد) أن تبحث عن ملف قضية (نور) وعن تفاصيله، وأنت يا (أشرف) أجبني بصدق هل...

- يقاطعه (أشرف) تريد أن تسأل ما الجُرم الذي ارتكبته؟!!

- أجل، فيستحيل أن تختطف ابنتك دون سبب هكذا.

- أنا رجل قوات خاصة، عملي القبض على أخطر المجرمين والاشتباك معهم، لا أتعامل مع العامة مطلقاً، لذلك يصعب أن أظلم شخصاً بريئاً.

فنظر له (هاشم) بعدم اقتناع، طالباً منه أن يبحث عن شخص قد تضرر من أفعاله.

الفصل الرابع

(التهديد)

الإعلام كرجل حلو اللسان يقود مجموعة من الناس مغمض الأعين في مستنقع عفن، يخبرهم أنهم في شاطئ فاخر، و للأسف يصدقه الناس بيقين تام مكذبين ما يشمونهم، رافضين فتح أعينهم ليتأكدوا مما يقال، كانت تلك مقدمة إعلامية تكشف الحقائق بكل شفافية و بصدق تام، و هي الإعلامية الكبيرة والمشهورة (نورهان حمزة)، سيدة غير متزوجة في العقد الثالث من العمر، لها جسد ممشوق العود، شعرها ذهبي متوسط الطول، بشرتها بيضاء نضرة ناعمة نعومة الحرير، وجهها بالكامل مغطى بأجود مستحضرات التجميل ليضاعف جمالها أكثر، تتزين بالمجوهرات الباهظة ذات اللمعان المبهرج، ترتدي ملابس شبه محتشمة تكشف القليل من أنوثتها، حياتها بالكامل مكرسة لعملها بإخلاص تام، لتظهر الحقيقة بصورتها الكاملة عكس الباقيين، و هذا ما جعلها مشهورة في وقت قصير،

فلقاءاتها تصادمية تمتاز بقوة الحوار، و الأسئلة الجريئة المباشرة، واثقة دائماً فيما تقدمه، فأصبحت إحدى أقوى الإعلاميات التي لها صوت مؤثر بالمجتمع.

أرسل (لنورهان) الفيديو الأول للمختطف عن طريق البريد الإلكتروني، لكنها لم تعره أي اهتمام، ظننا أنها أنه أحد يلهو على الإنترنت، لكن عندما رأت الفيديو الثاني انتهت إلى قصته العجيبة التي قد تكون أقرب إلى الحقيقة، و لاحظت ازدياد المتابعين له و تعاطفهم مع قصته، علمت من مصادرها أنه تم اختطاف طفلين لضابطي شرطة، و تبعهم نزول فيديو على الإنترنت، و في المرة الثالثة عندما استمعت إلى قصته عن تلك البطلة، علمت أن الأمر حقيقي، فمن لا يعلم بقضية (نور) تلك، انتهت لازدياد متابعيه و تعاطفهم مع قصته، و علمت أيضاً من مصادرها عن عملية اختطاف طفلة ثالثة لضابط شرطة، و من هنا قررت أنها ستتحدث عن ذلك المختطف و عن قضيته، و خاصةً أن القصة الأخيرة للمختطف هي عن قضية قديمة منذ عشر سنوات، كانت حديث المجتمع حينها، و ذلك شكل موضوعاً قوياً (لنورهان)، فبدأت بالبحث هي و فريق الإعداد الخاص بها في جميع تفاصيل القضية، و ذهب فريقها لأماكن اختطاف الأطفال لأخذ أقوال الشهود و أعدت موضوع حلقتها جيداً.

قارب الوقت على منتصف الليل، ولازال (هاشم) يعمل في مكتبه، يتفقد ملف قضية (نور) و ينتبه لعدت أمور، أولها أنه كُتب أن عدد المعتدين على (نور) شخص واحد، اسمه (عصام)، في حين أن المقنع قال أنهما اثنان، الضابط المسؤول عن تلك القضية حينها هو (مسعود)، لم يتفاجأ (هاشم) لذلك، لكن ما فاجأه وجود تضارب بين كلام المقنع و الملف الذي أمامه، و أيضًا لا يوجد الكثير من المعلومات عن قضية (نور)، و كأن أحدًا قد محا المعلومات المهمة و جعلها مبهمة و غير مكتملة، و بسبب ذلك رجح (هاشم) صدق المقنع، و أصبح شبه متأكدًا بأن (مسعود) قد زور ملف القضية، و لحظة خوفه و ذعره أثناء مشاهدته لفيديو المختطف تؤكد ذلك، حصل (هاشم) على العنوان الذي كانت تقييم به (نور) و قرر الذهاب له في اليوم التالي.

العرق يتصبب من (مسعود) بغزاره، جلس متوترًا في إحدى المقاهي ممسكًا هاتفه محاولًا الاتصال برقم محدد للمرة الخامسة عشر، و هو يتمنى بشدة بأن يتلقى اجابه، يطول

الرينين حتى تلقى إجابة باردة سيئة الإلقاء، لكنه لم يهتم و بادر
بخوف:

- المشكلة الآن أكبر من مجرد عملية خطف، الأمر متعلق
بالقضية التي حدثت منذ عشر سنوات، نحن في ورطة
كب...

تلقى ردًا عنيفًا قاطعًا حديثه:

- نحن؟!... أنت الذي في ورطة ولا علاقة لي بك.

ارتفع خوف (مسعود) و ازداد صوته ارتجافًا قائلاً:

- لقد دبرنا الأمر معًا، و فعلت ما أمرت به و حسب
تعليماتك.

- و قد حصلت على المال المتفق عليه و انتهى الأمر بيني
و بينك، فإن كان هنالك مشكلة فهي تخصك أنت وحدك.

- لكن يا باشا أنت ت...

يثور الباشا قائلاً بحنقه:

- المختطف ولدك و ليس ولدي، لذلك هي مشكلتك أنت
وحدك وليست مشكلتي، و الاتفاق الذي كان بيننا قد تم و

انتهى منذ عشر سنوات، لذا إياك ان تتصل بي مرة أخرى،
و اذهب للبحث عن ولدك أنفهم.

- لكن ما حدث كان بسبب...

يقطع الاتصال فجأة، يحاول (مسعود) الاتصال مرة أخرى فإذا
بالرقم قد تم اغلاقه، يلتفت حوله في قلق و توتر متسائلاً عن
ما يفعله، من غيظه و قلة حيلته و حديثه العقيم مع الباشا، ضاق
به الحال فركل الطاولة التي أمامه، متوعداً بأن يعيد ابنته مهم
كلف الأمر.

حي هادئ راقى، لا ترى به غير الفل و الحدائق، اتجه (هاشم)
في هذا الحي نحو باب فيلة كبيرة مميزة، و طلب من البواب
أن يفتح له، بعد أن عرف عن نفسه و عن (أحمد) وعن سبب
زيارته، تخطى (هاشم) بسيارته أسوار الفيلا العالية، و سار
وسط حديقة خلابة تسر الناظر إليها، منسقة بانتظام، ورودها
مترابطة في أشكال مترابطة ذات ألوان زاهية تضيف جمالاً
أخاداً، ثم الفيلة ذات الطراز الكلاسيكي المميز، تكثر به
التفاصيل حول النوافذ الكبيرة الواسعة، و على حواف السطح،
تمتاز باندماج ألوانها بين البني و السكري، لها مدخل فاخر

ببوابة كبيرة موضوعة بين عمودين مزخرفين، التصميم يجذب
أنظار الوافدين من أول وهلة.

فتحت الخادمة الباب للضابطين، ثم أخبرتهما أن ينتظرا قليلاً
إلى أن يستعد السيد (جلال) لمقابلتهما، جلس الضابطان في
صالة الاستقبال يتأملان جمال التصميم الداخلي للفيلا، لم
يمضي إلا لحظات حتى يسمعان صوت السيد (جلال) وهو
يعتذر لهما على التأخير، فهو ليس معتاداً على الزيارات، نظر
الضابطان في اتجاه الصوت ليريا السيد (جلال) جالساً على
كرسي متحرك و تدفعه الخادمة، ويبدو على وجهه السقم،
يستشعران عدم الرضا بوجودهما من قسماات وجهه الجافة
المتهكمة، عرف (هاشم) عن نفسه وعن الضابط (أحمد)، و
بعد الترحاب و الرسميات المتكلفة قال:

- نحن هنا بخصوص قض... .

- يقاطعه (جلال): أنتما هنا بخصوص قضية الاختطاف
والقصة التي سردها المختطف على الإنترنت.

- يبدو أنك مطلع على القضية.

- غادرا، لا أملك ما أقوله لكما.

قالها (جلال) بجفاء و حدة، تفاجأ الضابطان، من أسلوبه
الغريب فبادر (أحمد) قائلاً:

- أرجوك ساعدنا في التحقيق، حتى نصل للمقنع.

فقال (هاشم):

- كن عوناً لنا في كشف الحقيقة و تحقيق العدالة.

ضحك (جلال) بسخرية و استخفاف قائلاً:

- حقيقة؟! ... عدالة؟! ...

ثم صمت يحدق بالضابطين بعين جاحظة تفشي ما يحمله في
قلبه، اعوج فمه و تقوس حاجبيه و ازدادت تفاصيل وجهه حدة
يقول بغلظة:

- لقد ماتت ابنتي منذ زمن بعيد أمام عيني، و لم يهتم لأمرها
أحد، أخذ منها كل شيء و أصبحت كالعلكة في فم الناس
حينها، لأنها فقط طالبت بحقها و بالعدل، و كان جزاؤها
الإهانة من الجميع و معاملتها كأنها حيوان قذر لا يستحق
الحياة، هاجمها الإعلام و الناس و من معها في مؤسستها،
حتى خطيبها الوغد هاجمها و كسر قلبها و تركها، و رغم

ذلك تمسكت بقضيتها لتتال حقهها، فتتفاجأ بخروج المتهمين بالبراءة لعدم وجود الأدلة.

تحتد نبرة (جلال) رادفًا:

- كيف لا توجد أدلة و صورة أحدهم كانت مقدمة كدليل؟
بصماتهما كانت على ملابس و سيارة ابنتي و العصا التي
اعتدوا بها عليها، بعض أثار دماء ابنتي وجدت بسيارتها،
و رغم ذلك لم يجدوا دليلًا!!

يزداد انفعال (جلال) و تنفر عروق وجهه، ضاربًا كرسيه
بقبضته رادفًا:

- لقد تم دفع رشوة للضابط المسؤول عن القضية، و للقاضي
و غيرهم حتى يخرج الاثنان من السجن، و تنتهي القضية
ضد مجهول، كانت تلك الرصاصة التي قتلت ابنتي، فظلت
في المنزل لا تخرج و لا تتحرك من مكانها، و في بعض
الأوقات كانت تصرخ طول الليل و تبكي، تتألم في وحدة
موحشة، حاولت أن أساعدها بشتى الطرق و لكن دون
جدوى، إلى أن جاء يوم مظلم بانس، وجدت فيه ابنتي الغالية
الوحيدة، ملقة على الأرض في غرفتها لا... ل... لا
تتحرك...

اضطرب (جلال) و تفرقت عينه بالحرقة على ابنته، تلثم
في الحديث:

- ل... ل... لقد قتلت ابنتي (نور) ولم تنتحر،... قتلت على
يد المجتمع الظالم، قتلت على يد أصحاب النفوذ المغتصبين،
قتلت على يد خطيبها عديم الأصل، لقد قتلوا طفلاتي الوحيدة
البريئة بدم بارد،... و في جنازتها لم يحضر أحد من رفاقها
أو زملائها أو حتى خطيبها القذر، لقد دفنت وحيدة بانسة
حزينة.

يثور (جلال) بغضب، ممسكاً ذراعاً كرسية المتحرك، يصيح
بكل قوة في جسده قائلاً:

- و بعد كل هذه السنوات، تأتي يا حضرت الضابط لتسأل
عن قضية ابنتي، و ليس بغرض كشف الحقيقة، بل لحل
قضية أخرى أنتم... أنتم... جميعاً تستح...

يمسك (جلال) صدره بتألم، و تعلق الكلمات بحلقه، و تزداد
ضربات قلبه، صدره يعلو و يهبط في شهيق و زفير متسارع،
فتعتذر الخادمة للضابطين:

- اعذراني إن السيد (جلال) مريض جداً، وحديثكما أثر على
قلبه بشكل مبالغ، و يجب الآن أن يستريح.

وتذهب بالسيد (جلال) إلى غرفته بعد أن فقد وعيه من كثرة البكاء والانفعال الشديدين، يخرج الضابطان في حالة ذهول مما حدث، فيتجه (هاشم) إلى البواب ويسأله عن ما يعرفه عن (جلال)، ليجيبه البواب:

- بعد وفاة ابنته حدث حادث له مما أدى لإصابة ساقه و أصبح عاجزًا عن الحركة ملازمًا للكرسي المتحرك، قام السيد (جلال) بالتنازل عن شركته لأحد أقاربه، و جمع مبلغًا من المال ووضعه في البنك، ليعيش على أرباحه، و بسبب حزنه الشديد على ابنته أصابه المرض، لا يزوره أحد، و هو لا يحدث أحدًا من أصدقائه و أقاربه، يجلس ساعات طويلة ينظر إلى صورة ابنته و يبكي بحسرة، و في بعض الأحيان يمضي اليوم كله في غرفة ابنته الوحيدة، بين صورها و ملابسها و أغراضها، يتأمل الماضي و يبكي على فقدانها، لا يلتزم بالدواء و يريد الموت، نبهه الطبيب أن صحته لن تتحمل و لكن السيد (جلال) أصبح رافضًا للحياة.

- كم عدد الأشخاص هنا؟

- ثلاثة أشخاص أنا وزوجتي وابنتي، فأنا المسؤول عن الحديقة والبوابة، وزوجتي عن نظافة الفيلا والطعام، وابنتي مسؤولة عن خدمة السيد (جلال) ورعايته وإعطائه الدواء.

يرحل الضابطان وهما يشعران بالأسى لحال ذلك العجوز المسكين فيسأل (أحمد) في حيرة و حزن واضح عليه:

- ماذا سنفعل الآن؟... لقد توقعت أن نجد دليلاً هنا، لكن من الواضح أنه لا أمل من هذا العجوز المسكين، لقد خفت أن نسبب له نوبة قلبية ويموت.

- لقد شئت هذا العجوز أفكاري ببيكائه وحزنه على ابنته، لقد قالت دموعه كلاماً مليئاً بالألم والجراح والحزن، أكثر مما قاله لسانه، يصعب الشك بأنه هو الخاطف، فهو عاجز عن الحركة، و مع ذلك ضع مراقبة على الفيلة و جميع تحركاتها.

- لكن يستحيل أن يرتكب تلك الجرائم.

- و ما الذي يجعلك تقول مستحيل؟... ربما هو على علاقة بالمقتنع، أو ربما هو يستطيع السير و يتصنع امامنا العجز و المرض، جميع الاحتمالات واردة لذلك يجب ألا نغفل عن أي شيء.

- معك حق في هذه الجرائم يجب أن نكون متيقظين و أن نفترض كل شيء ممكن.

- أنا الآن أحتاج إلى الوقت لأرتب أفكاري جيدًا، لذلك اذهب أنت فأنا عندي موعد مهم سأذهب إليه.

- بنظرات المكر: أستذهب لتقابل مخطوبتك وسط كل هذه المتاهة والغموض!؟

- سأذهب فقط لأنني وعدتها بذلك، وسأخبرها بأننا لن نتقابل إلا بعد انتهائي من هذه القضية.

يخيم الحزن المرير على منزل (أشرف)، تبكي زوجته في نحيب حولها أسرتها لمؤازرتها في حين مكث (أشرف) في غرفته وحيدًا ممسكًا بصورة لشخص ما و الأسى في عينيه قائلًا:

- يبدو أن شبخ الماضي عاد ليبتقم بقوة، لكن أقسم لك يا صديقي الغالي أنني لم أقصد ما حدث.

ضيق ينتاب (أشرف) و غصة في حلقه تقضي على كلماته،
و دمة ندم تحوم في العين، يفكر ملياً في يأس ثم يخاطب من
بالصورة:

- كم كنت مغفلاً عندما ظننت أنني أستطيع الفرار من
الماضي.

نهض من مكانه و أمسك هاتفه يطلب رقم أحدهم قائلاً:

- يجب أن أبدأ التصرف، واحد فقط من يعلم بما حدث في
الماضي، و طرف الخيط يبدأ من عنده.

زحام شديد الليلة عند المطعم المشهور المطل على النيل و
الذي يفضله (هاشم) و مخطوبته (ورد)، كان (هاشم) على
الطاولة المعتادة له المطلة على نهر النيل، ذي الهواء العليل
المنعش، يستمع إلى الموسيقى الهادئة الصافية، منتظراً
مخطوبته (ورد)، المتأخرة قليلاً بسبب ظروف عملها، يتأمل
من حوله حركة الناس، هنا من يأكلون بهدوء و هناك من
يطلبون الطعام و آخرون يتسامرون و يضحكون بمودة، طعام
ينزل لتلك الطاولة و أخرى تنظف لتستقبل زبائن آخرين، لم
يمضي الكثير على انتظاره حتى رأى (ورد) تطل بطلتها البهية

أمامه، بابتسامتها المشرق المليئة بالأمل، تلوح له بسعادة، يتبادلان السلام، ثم تعتذر عن تأخرها مقدمة الشكولاتة التي يحبها (هاشم) كدليل على الاعتذار، طلبا الطعام، ثم افتتحت (ورد) الحوار بالحديث عن يومها و المواقف التي حدثت معها من طريفة و مزعجة، لكن (هاشم) و على غير العادة كان عقله مشغولاً بالقضية، شاردًا معظم الوقت، و انتبهت (ورد) لذلك فقالت بقلق:

- هل القضية الأخيرة بهذه الصعوبة؟

- نعم، بها غموض غريب، و المجرم لا يترك أي أثر له، يخطط بذكاء قبل كل خطوة، و إلى الآن لم يطلب فدية أو أي مقابل.

- هل هو ذلك المقنع الذي يظهر على الإنترنت كل أسبوع؟

نظر لها (هاشم) في تعجب لما سمع فردفت (ورد):

- لقد أصبح مشهورًا، و بعض الشائعات تقول أنه اختطف مجموعة أطفال من أماكن عامة مختلفة؟

ضيق يمتلك (هاشم)، فهذه المعلومات أصبحت في يد الجميع، تمسك (ورد) يده قائلة بوجه مبتسم وصوت ناعم مطمئن:

- لا تقلق سوف تُحل القضية، أنا أعلم أنك في ضغط كبير، وأعلم أنه من الصعب أن تقابلني في خضم هذه القضية، وأنا أقدر ذلك وأشكرك من عميق قلبي على الاهتمام بموعدنا، رغم عملك على تلك القضية الصعبة.

تلك الكلمات أضفت طمأنينة و شجاعة لقلب (هاشم)، شعر في تلك اللحظة بأن (ورد) هي حقًا زوجة المستقبل المرجوة، لأنه قدرت ما يفعله ولم تقم بالشجار معه على عدم انتباهه لها، عكس معظم الفتيات اللواتي يعتقدنا أنهن مركز الكون، ولولا وجودهن لتوقف العالم و انتهت البشرية، و غزى الفضائيون الأرض، ولا يعلمن أنه لولا مستحضرات التجميل لما خرجن من بيوتهن، أما (ورد) فهي سند و أمل و طمأنينة، جمالها الحقيقي لم يكن في هيأتها و إنما في قلبها النقي، مجرد النظر لوجهها البشوش يسعد القلب و يزين الحياة، و بينما (هاشم) يتأمل وجه (ورد) البشوش بسعادة إذ فجأة بوجهها ينعقد و تختفي ابتسامتها و تعوج شفتاها، و تحدد عيناها و ينقلب حاجبها، فتتلاشى طمأنينة (هاشم) و ينتابه القلق و الريبة مما سيحدث، ينظر لها في حذر، فتقول له بصوت غليظ كالرجال:

- أنهى قضيتك سريعًا يا حضرة الضابط، فعندك قضية أهم من تلك وأصعب بكثير يجب أن تنتبه لها.

في قلق تساءل (هاشم) عن تلك القضية، فبعض الرجال محدود
الذكاء الرومانسي قليلاً، فأجابته (ورد) بنفس حبتها:

- أنسيت قضية زواجنا يا حضرت الضابط، إنها أهم قضية
ويجب حلها.

ضحك (هاشم) من أعماقه بصوت مرتفع جداً، وضحكت
(ورد) أيضاً معه، نسي (هاشم) كل ما حوله و وسط ضحكاته
قال:

- لا تقلقي سأقبض على المتهمه و أحبسها في قلبي بالمؤبد.

ضحكت (ورد) طمأنته بأن كل شيء سيسير على خير ما يرام،
و أنها داعمة له و تقف في صفه دائماً، فيردف (هاشم) في
امتنان:

- شكراً لكي يا عزيزتي الغالية، أنت حقاً إنسانة جميلة من
الداخل والخارج، و أعدك بعد هذه القضية بأنني سأعوضك
خيراً يا أجمل فتاة في هذا العالم.

احمر وجه (ورد) خجلاً، فتزداد ضحكات (هاشم) المرحه،
ويتغير حوارهما إلى المواضيع العامة والطريفة، نسي (هاشم)
أمر القضية وبدأ بالاستمتاع بوقته مع (ورد)، دقائق ووضع

لهم الطعام، وبدأ كلاهما بتناوله، وأثناء ذلك يبدأ برنامج ما خلف السراب على التفاض بالمطعم، فتعبر (ورد) عن إعجابها بالبرنامج، ليعلق (هاشم) متسائلاً عن ماهية البرنامج، فتجيبه (ورد):

- إنه البرنامج الاسبوعي للإعلامية (نورهان)، يتحدث في كل اسبوع عن قضايا ومشاكل البلد، ثم تخصص للحلقة موضوع ما كمشكلة عامة، أو مشكلة شخصية لأحد الفقراء والمحتاجين أو قضية ما، إنه برنامج ناجح.

تبدأ (نورهان) الحلقة بالسلام والتحيات، ثم المقدمة الخاصة بها و يليها موضوع الحلقة فتقول بجديّة و أداء اعلامي مميز:

- اعذروني أيها الجمهور الطيب، لكن حلقة اليوم لن يكون بها جزء الأخبار الخاصة بوطننا الحبيب، لأننا اليوم بصدد قضية تعتبر خطرًا يهدد أمن البلد، إنها سلسلة جرائم خطف للأطفال، و قد تم تأكيد ثلاث عمليات اختطاف حتى الآن، تمت أمام أعين الجميع في وسط النهار، و المصيبة في الأمر أن المختطفين هم أولاد لضباط الشرطة، و السؤال هنا إن لم يستطيعوا حماية أطفالهم فكيف سيجمونا، لم نرى منهم أي رد فعل قوي أمام تلك الجرائم، و الخاطف لا أثر له،

فقط فيديوهات تظهر لشخص يرتدي قناعًا غريبًا لسيدة ما، يُعتقد أنه هو المسؤول عن عمليات الخطف تلك، و إليكم التفاصيل.

استفاضت (نورهان) بالحديث عن عملية الاختطاف الأولى و عن احداثها، ثم عرضت الفيديو الأول الذي عُرض بعد عملية الخطف الأولى، وفعلت نفس الأمر مع عمليتي الخطف الثانية والثالثة، وبعد أن انتهت من شرح تفاصيل القضية بشكل دقيق جدًا، أكدت بأن القمص التي رواها المقنع هي قصص حقيقية، حدثت بالفعل ثم تابعت بقولها:

- نحن الآن أمام خاطف محترف، اتخذ القناع رمزًا له، يرسل رسائل مشفرة عبر قصص حقيقة حدثت بالفعل، لا يعلم أحد ما هو هدفه وماذا يريد، لكنه يسعى إلى أمر خطير، فحذروا يا جمهوري الحبيب على أطفالكم وانتبهوا لهم وأخذ...

تتوقف (نورهان) عن الحديث فجأة، وتضع يديها على أذنها لتسمع لما يقوله فريق الإعداد، ثم تتغير ملامح وجهها، تخبرهم بتوصيل الخط على الهواء، ثم تقول للمشاهدين:

- لدينا اتصال من شخص يدعي أنه الخاطف.

تصمت ثواني حتى يتم توصيل الخط على الهواء مباشرةً
وبنفس الصوت الغليظ من الفيديوهات قال:

- أردت أن أعلن أنني أنا المختطف المقنع والمسؤول عما
حدث، و ما يحدث وما سيحدث، وأقوم بوضع فيديو على
الإنترنت أشرح به سبب الخطف، فأنا لست مجرمًا و إنما
أحقق العدل، وفي نفس الوقت لأشارك الجمهور أفكارى، و
أطلعهم على حقيقة ما يحدث.

- هل من تم اختطاف أولادهم مذنبون؟

- أجل.

- هذه القصص قد حدثت بالفعل أليس كذلك؟

- أجل جميعها حقيقية، و أنا أعاقب المجرمين.

- لماذا هذا الأسلوب ألم يكن من الأجدر بك ابلاغ الشرطة،
و تقديم الأدل...

يقاطعها المقنع بغلظة و فظاظة:

- أظنن أن اتهام يد العدل بالظلم قد يجدي نفعًا، لقد محو أي دليل يدينهم، فلا معنى من التقدم ببلاغ ضدهم، لن أكسب شيئًا، وسيظل المجرم حرًا.

- لقد قلت وما سيحدث، ماذا تقصد بما سيحدث؟... هل ستختطف أطفالاً آخرين.

- الساحر لا يُطلع الناس عن سر خدعته، حتى تظل في أعينهم سحرًا، كل ما أستطيع قوله هو أن يحذر الجميع، و أن يخافوا على أولادهم، فأنا أختطف بسبب الذنوب التي يرتكبها الناس، و جميعنا مذنبون، و بدأت باختطف أولاد الضباط حتى أثبت أنه لن يكون أحد بأمان أو بعيدًا عن متناول يدي، أما بالنسبة لمن قمت بختفهم، فسأطلب من أهلهم طلبًا محددًا، إذا لم يتم تنفيذه، سأضطر لإعادة أولادهم لهم و لكن على أجزاء منفصلة، أرسل الذراعين في مرة و في مرة رأس و هكذا، و يقومون هم بتجميع تلك القطع للحصول على أولادهم...

انقطع الاتصال، تعابير (نورهان) بين الذعر والقلق، هربت الكلمات من على لسانها فزعًا بعد ما سمعته، فقالت في تلثم:

- لقد كانت تلك رسالة من المختطف لنا جميعًا، حتى نحذر ونعلم أنه لا يوجد من يحمينا منه، في ظل ضعف رجال

الشرطة و قلة حيلتهم، و قوة مقنع خاطف لا حدود له، فماذا عسانا أن نفعل في خضم هذه التشابكات المخيفة، أنهي حلقة هذا الأسبوع متمنيةً الخير للجميع، و انتظروني في الأسبوع المقبل، فلدينا معلومات أكثر عن القضية، و سنتعرف بشكل أكبر و مفصل عن عمليات الخطف تلك، و محاولة كشف ملبساتها.

توقف الجميع عن تناول الطعام و الحديث، و مثلهم العاملون في المطعم متوقفون يحدقون جميعًا بالتلفاز في هدوء تام، يسمعون كلمات الخاطف الأخيرة و التي نشرت الرعب و القلق بينهم، لينطلق الجالسون بالهمسات فيما بينهم:

- أين الشرطة و كيف لا يقبضون عليه.

- هذا تقصير و إهمال من رجال الشرطة.

- من يظن نفسه ألا يوجد قانون في البلد؟!

- هذا مخيف أنا قلقة على أولادي؟

- لا أعتقد أنه سيقوم بتنفيذ ما يقوله؟

تشعر (ورد) بالقلق على (هاشم)، فالغضب واضح على ملامح وجهه، أمسكت يده وقالت بصوت هادئ:

- تابع تناول الطعام أرجوك ولا تقلق إنه برنامج عادي لكسب الشهرة والمال، وقد يكون المتحدث أحد فريق الإعداد الخاص بالبرنامج، فأرجوك لا تعرهم اهتمامًا ولا تغضب.

تحاول التخفيف عن (هاشم) لكنه نظر إليها وقال بجفاء:

- ليس لي رغبة في تناول الطعام، وأريدك أن تعلمي لن نتقابل مجددًا حتى أنهي تلك القضية، وأنهى طعامك سريعًا حتى نرحل.

(ورد) في هدوء ووجه عابس و بصوت حزين:

- لقد أنهيت طعامي فلنرحل.

قام (هاشم) بدفع الحساب وتوصيل (ورد) لمنزلها، وقبل أن تخرج من السيارة قال (هاشم) لها:

- (ورد) أرجوك لا تحزني، ولكن كما ترين إن الأمور تسير من سيء إلى أسوء، فأرجوك اعذريني، وعندما أنتهي من تلك القضية سأعوضك عما حدث اليوم.

فتبتسم (ورد) له و تقول بمرح و ود مصطنع:

- ما الذي تقوله لقد استمتعت اليوم بتناول الطعام مع أحد أكبر الضباط حنكة و قوة، أنا أعلم ظروف عملك، وأشكرك لأنك استطعت وسط كل تلك الضغوط أن توفر بعض الوقت لتقابلني، وسأنتظرك إلى أن تنهي قضيتك تلك يا حبيبي.

وتخرج من السيارة وتذهب إلى منزلها، فينظر لها (هاشم) بتعجب وسعادة مما قالتها، فكم من فتاة رفضته بسبب ظروف عمله ولم تتحمله، ولكن (ورد) كانت أول فتاة تجعله يشعر بتلك السعادة لتقديرها له ولعمله، ولرضاها و تفهمها.

السعادة تلمع في عيني (نورهان)، تمشط شعرها أمام المرأة قبل أن تنام، و على وجهها ابتسامة تتطلع لما هو قادم، فجأة يرن هاتفها فتجيب بحماس قائلة:

- مرحباً.

..... -

- أجل لقد كانت الحلقة قوية وازداد عدد المشاهدين لها، وحققت النجاح المرجو منها ولكنك فاجأتني.

-

- لماذا تضحك هكذا؟!!

-

- هل ما قلت أنك ستفعله صحيح؟

-

- لا.

-

- ما الأمر؟

-

- كيف لك أتأكد من أن هذا سيتم؟

-

- حسنًا حسنًا ولكن أخبرني ما هي خطت....

فجأة انقطع الاتصال أثناء سؤال (نورهان)، تشعر بالغضب،
قائلة:

- أتغلق الهاتف في وجهي، وما تلك المعاملة القذرة، لا يستطيع أحد معاملتي هكذا، من يظن نفسه؟...

تصمت قليلاً وتتبدل حالتها للسعادة رادفة:

- ولكنه ذكي وسيرفع اسمي عاليًا.

اتصل (هاشم) (بأحمد) و فور ان أجابه و بعد التحيات و السلام، سأله عن (أشرف) و عن قراره ليجيبه (أحمد):

- لقد بدى غريبًا جدًا، فقد أخبرني أنه لم يجد شيئًا، وأنه سيعمل لوحده على القضية لإعادة ابنته.

- هل رأيت حلقة (نورهان) بالأمس؟... فما قيل فيها يعد رسالة مباشرة له و للاثنتين الآخرين.

- لم أرها وقتها ولكن بسبب الجلبة التي أحدثتها، عدت إلى المنزل وشاهدتها من على الإنترنت،... إنها مشكلة كبيرة، أعتقد أن المتصل حقًا هو المقنع المختطف؟

- هذا ما سأعلمه اليوم، و أريد منك طلبًا مهمًا قد غفلنا عنه.

- ما هو المهم الذي غفلنا عنه؟!

- ابحت في ملف (نور) عن المغتصب الذي سُجّل فيه، واعرّف عنوانه وذهب إليه، واعرّف ما الذي حدث في تلك القضية منه، وتحرى عن كل تفصيله فيها، فهذه القضية بها ثغرات و أشياء مبهمّة قد تساعدنا في الوصول إلى المقنع، أما أنا سأحقّق مع تلك الإعلامية.

الليل المظلم ستار المهربين و حاميه من الأعين الحارسة، في وسط شارع ضعيف الإضاءة كان (حسن) في سيارته يدخّن بشرارة، ينقر بغضب على عجلة القيادة، عينيه جاحظتين متربصتين لأي أحد، و بعد فترة انتظار طويلة و تدخين علبة سجائر كاملة طرق أحدهم نافذة سيارته، ففتح له النافذة في ضيق ليجد رجل مريب الهيئة، يقول في تكتم و صوت منخفض:

- الزعيم يخبرك أن توصل هذه البضاعة للأماكن المحددة.

ثم يعطي ذلك الرجل حقيبة كبيرة (لحسن) و ورقة بها عناوين كثيرة، يفتح (حسن) الحقيبة ليتفقدّها، فإذا بها حمولة كبيرة من المخدرات، فيمسك الرجل بإحكام، و يثور بصياح مدوي في وجهه متناسياً سترت الليل عليهم:

- هل جننتم، أتريدون لرجل شرطة أن يتاجر في المخدرات!؟

يتسلل الخوف لقلب الرجل و يقول بفرع:

- أرجوك ليس لي دخل بذلك إنها أوامر الزعيم.

تركه (حسن) ليرحل على مضد و صب جام غضبه في ركل سيارته و ضربها عدت لكمات متتالية كالمجنون، أخرج علبة السجائر من جيبه ليبدخ فوجدها فارغة، مما زاد من ثورانه و ضرباته للسيارة، و هو يلقي السباب و اللعان على الجميع، و بعد لحظات جلس داخل سيارته في ارهاق شديد، فجأة يرن هاتفه ينظر للمتصل فإذا به غير معروف لا يظهر اسم أو رقم، يجيب في توتر، صوت غليظاً ثقيل به بحة خفيفة يقول:

- ماذا بك يا (حسن) تهاجم أحد رجالي؟

- لقد طلبت مني المجيء هنا لأنك ستطلعني على معلومات مهمة عن أحد المشتبه بهم في خطف ابني، و ليس لأتاجر لكم في المخدرات.

- لا يوجد شيء بالمجان، و أنت لم تمحي الملفات الخاصة بولدي كما طلبت منك، لذلك عطفاً مني أعطيتك فرصة

أخرى لتتال تلك المعلومات، افعل ما يطلب منك بهدوء و
ستنال ما تريد.

- لماذا هذا؟!... فأنا منكم اخلاصي الكامل دائماً لكم.

ضحكات رزينة ثقيلة ثم أجاب:

- و لأنك منا فأنت مثلنا مخلص للمال فقط، فلا اخلاص بين
البشر.

يُقطع الخط، ليصبح (حسن) بغضبه عاليًا، يتوعد المقنع بعذاب
لم يذقه انسان على وجه الأرض.

جميع أفراد فريق إعداد برنامج ما وراء السراب يعملون على
قدم و ساق في التجهيز و الإعداد للحلقة القادمة و التي سنتناول
بشكل كامل قضية المقنع بتفاصيل أكثر، و بينما (نورهان)
منهمكة معهم في العمل يخبرها أحدهم بأن هنالك ضابط شرطة
في مكتبها يريد لقاءها، فتترك (نورهان) عملها و تعود لمكتبها
لتجد (هاشم) جالسًا والضييق واضح في عينيه، لكنها لم تهتم و
رحبت به بحرارة و حفاوة مبالغة مع ألقاب التكريم و التمجيد،
لم يتأثر (هاشم) بكلمات الاعلام الرخيصة، قائلاً بتربص:

- ما الذي فعلتيه بالأمس؟!!

علمت (نورهان) أنه لا مفر من المواجهة، فتبدل وجهها و أصبح جادًا، تقول برزانة:

- أمارس عملي.

- أي عمل هذا الذي يجعلك تتحدثين عن قضية مهمة لم تُحل بعد؟... و تجعلين أحدًا من الإعداد يقوم بالاتصال على البرنامج وكأنه المختطف، وتقومين بنشر الرعب والذعر بين الناس.

- الاعلام حر لا يد عليه، و يحق لي نشر الحقيقة و توعية الناس، و فتح أعينهم على الحقيقة، و أيضًا أنا لم أجعل أحدًا يدعي أنه الخاطف، فالمتصل هو حقًا الخاطف.

- ما الذي يجعلك متأكدة من أن الخاطف هو المتصل؟!!

- لأنه وبعد انتهاء الحلقة اتصل بي، وأخبرني بأنك ستأتي إلي، وطلب مني أن أخبرك أن تظهر معي في حلقة الأسبوع القادم على الهواء أمام الناس، لتتحدث عن تفاصيل القضية بشكل مفصل.

- هذا يثبت أنك لفقتِ الاتصال و تسعين لصنع حلقة مثيرة لأجل شهرتك و مصالحك فقط.

تحتد نبرة (هاشم) و تزداد غلظة يشير بإصبعه مهددًا (نورهان):

- إذا عُرِضت حلقة أخرى عن هذه القضية، سأوقف برنامجك وسأقبض عليك و جميع من معك، بتهمة تعطيل رجال الشرطة ونشر الأكاذيب والفوضى بين الناس وبتعاونك مع الخاطف.

- انتبه لكلامك جيدًا يا حضرت الضابط معي، فأنت تهاجم الإعلام و تقيد حريته، و أيضًا انا لا أهدد، فأنت لا تعلم من يقف خلفي، و ماذا يمكن أن يفعل.

- أتهديني؟! ...

- لا أهددك بل أنت من هددني، في حين أنني أسعى لحل القضية مثلك، اعتبرني وسيلة لاستدراج المقنع و القبض عليه، ولنعمل سويًا و نتعاون للإيقاع به.

- لقد قلت ما لدي، وإذا عُرِضت حلقة أخرى عن هذه القضية ستندمين أشد الندم.

يغادر (هاشم) بنيرانه، في حين تتأمله (نورهان) في ابتسامة ثقة.

منطقة فاخرة هادئة، ترى الفيلات منتشرة على اليسار و على اليمين، في تناسق و رقي التصميم، و أمام إحدى هذه الفيلات وقف (أحمد) متأملاً إحداهما، و التي كانت تخص شخصاً يدعى (عصام) الشخص المغتصب الذي تم تسجيل اسمه في ملف قضية (نور)، يطرق الباب لعدت مرات، لكن دون إجابته، ينتبه بأن الباب غير محكم الغلق، فيدخل الفيلة و يسير بحديقتهما الرائعة والخلاصة، فجأة يلاحظ شيئاً غريباً في إحدى سيارات (عصام) الخاصة، فيقوم بالتقاط صورة لها و لأرقامها، ثم يتقدم ليطرق الباب لكن لا يفتح له أحد أو يجيبه، وقف (أحمد) كثيراً لكن دون استجابة، حاول اقتحام المنزل لكنه موصل بإحكام يصعب كسر الباب أو حتى اقتحام النوافذ، فقرر المغادرة دون الحصول على أي شيء جديد فقط صورة تلك السيارة.

باندفاع دخل (أحمد) مكتب (هاشم)، يخبره عن تحريه عن (عصام) و زيارته لقلته ثم يردف:

- عندما عدت إلى قسم الشرطة وأعدت النظر والتدقيق في فيديو عملية الاختطاف التي تمت في المول، اكتشفت أن السيارة التي استخدمت في عملية الاختطاف هي سيارة (عصام)، وتأكدت من أرقامها جيدًا.

- عظيم ما توصلت إليه، الآن لدينا مشتبه به أول.

يصمت (هاشم) يفكر بعمق، و لا يبدو عليه الرضا رادفًا:

- هنالك أمر غريب، لماذا يقوم (عصام) باختطاف أولاد الضباط؟!.. لماذا يفتح قضية قديمة كان هو الجاني بها؟!.. و لماذا يضع سيارته التي استخدمها في عمليات الخطف في منزله بهذه البساطة؟!!

- لقد قال المقنع في قضية (نور) أن المعتدي عليها كانا اثنان، ربما نشب بين (عصام) و شريكه خلاف بعد كل هذه السنوات و يريد أن يشي به لغرض ما.

- ربما كلامك صحيح لكن لا يجيب جميع الأسئلة المطروحة.

لا يصل (هاشم) بنفكيره إلى شيء فيسأل عن تفاصيل أخرى:

- ماذا عن (جلال)، و أولاد الحج (زكريا)، ما نتائج مراقبتهم؟

- لا شيء، الجميع يحيون حياة تقليدية روتينية، لا يشوبها تصرف واحد مريب.

زفر (هاشم) في ضيق، ثم أخبر (أحمد) بكل تفاصيل ما حدث معه فيندهش (أحمد) مما سمع، متسائلاً:

- هل تصدق حقاً بأن المختطف طلب ظهورك على التلفاز؟

- لا أعلم، كلام تلك الإعلامية وثقتها جعلني أشك بذلك الأمر، لكن إن كان حقاً هذا هو طلبه فما الغرض منه؟!

- حسناً سأذهب مع دورية لأقتحم بيت (عصام) و تفتيشه كاملاً.

- جيد و أنا سأخذ الإجراءات اللازمة لوقف برنامج (نورهان).

يوم عمل طويل ومتعب (لهاشم)، فبسبب تلك القضية يخرج من بيته في الصباح الباكر، ويعود بعد منتصف الليل، أصبح

مهملاً في تناول الطعام، و في صحته، دائم الشرود يفكر في تفاصيل هذه القضية، وصار أجمل وقت له هو عندما يدخل شقته ليستحم ويصفي ذهنه، ويستريح من يومه، وقف (هاشم) أمام باب شقته، وأخرج المفاتيح من جيبه ليفتح الباب و هو في حالة إرهاق شديدة، و إذ به ينتبه لباب شقته مفتوح، في لحظة عملت جميع حواس (هاشم) بأعلى تركيز، و اتخذ الاستعداد التام لمواجهة أي شخص، دخل شقته بهدوء تام، يتفقد الغرف بحذر، لا يلاحظ وجود أي شيء غريب، لكنه يبقى حذرًا، إلى أن قام بتفتيش كل الشقة ما عدا غرفة نومه، وقف أمامها و بداخله يقين بأن هنالك شخصًا بالداخل، يفتح الباب بهدوء فيرى جسدًا على السرير مغطى بالغطاء، يتحرك ببطء تجاهه، و ينزع الغطاء بقوة فإذا هي مجرد وسائد موضوعة على شكل شخص نائم، يهدأ (هاشم) قليلًا محدثًا نفسه:

- أيعقل أنني نسيت باب الشقة مفتوحًا هذا الصباح، ألهذه الدرجة سرقة القضية كل تفكي...

إذ بشخص من خلف (هاشم) يقوم بدفعه بقوة على السرير و يخرج راكضًا، ينهض (هاشم) راكضًا خلفه بلمح البصر، يستخدم ذلك الشخص المصعد للنزول إلى الطابق الأرضي، فيركض (هاشم) مسرعًا على السلالم لكنه لم يصل في الوقت المناسب، يركض خارج المبنى، ليجد ذلك الشخص داخل

سيارة سوداء يرتدي قناع السيدة الغريب و يفر مسرعاً، لم يكن بيد (هاشم) إلا أن يحفظ أرقام السيارة و هو يتحسر على هذه الفرصة التي ضاعت من بين يديه، يعود لشقته و يجلس في غرفته في استياء و غضب يفكر في سبب مجيئ المقنع و كيفية معرفته بسكنه، فإذا به يجد ظرفاً على الطاولة يأخذه و يقرأ الجملة التي احتواها:

"نفذ ما طلب منك"

وسط حي الهادئ و أمام فيلة (عصام) توقفت سيارات الشرطة و نزل منها الرجال بسرعة اقتحموا الفيلة يفتشون كل ركن بها يفاجأ (أحمد) بعدم وجود السيارة الزرقاء، لكن داخل الفيلة كانت المفاجأة الكبرى قناع السيدة الخاص بالمقنع، و معدات للتصوير و تغيير الصوت، و مجموعة صور للأطفال المخطوفين، عدا ذلك لم تجد قوات الشرطة أي شيء آخر، و رغم حرصهم و تيقظهم لكل كبيرة و صغيرة لم يدرك أحدهم الضابط (مسعود) الذي كان واقفاً بعيداً يراقب ما يفعله رجال الشرطة في ضيق و هو يقول:

- لقد كان هو طرف الخيط، لكني وصلت متأخراً.

عاد (أحمد) من عملية تفتيش فيلة (عصام)، ينتبه لحنقه في عيني (هاشم)، فيسأله عن ما به، ليخبره باقتضاب عن ما حدث معه، فيقول (أحمد) في تعجب:

- ما دافعه للقدوم لشقتك؟!

- لقد ترك رسالة لي مفادها أنه يجب أن أظهر مع (نور هان) في الحلقة القادمة التي ستدور عن هذه القضية.

- لماذا يريد ذلك؟!

- هذا سؤال من ضمن أسئلة لا أجد لها إجابة، أولها كيف عرف مكان منزلي؟ ولماذا استخدم وسيلة بدائية كالرسالة ليرسلها إلى ولم يفكر في شيء آخر؟... أنت ماذا فعلت عند (عصام)؟

- عند وصولنا لم نجد شيئاً لا سياراته و لا أحد، وعندما قمنا بعملية التفتيش وجدنا قناع للسيدة الذي يستخدمه في فيديوهات، ووجدنا جهاز تغير الصوت، وأعتقد أن هذا ما يستخدمه في مقاطعه وفيديوهات، و أيضاً صور للأطفال الذين تم اختطافهم.

- لم أتوقع هذا، ما غايته من كل هذا؟ و لماذا يفتح قضية هو
مذنب بها، ألم يفكر أننا قد نصل إليه من خلالها، لا أستطيع
أن أجد أجوبة مقنعة لتساؤلاتي، وفوق كل هذا دوافعه مبهمة
وغير مفهومة.

- ربما (مسعود) قد يساعدنا ببعض المعلومات.

- فكرة جيدة، أين هو الآن؟

- هو و الضابطان الأخران، متغيبون عن العمل ولا يعلم
أحد عنهم شيئاً.

- إنهم مذنبون و هم يعلمون ذلك و يسعون جاهدين لإعادة
أبنائهم دون أن يفتضح أمرهم،... لكن الآن أريدك أن تكشف
عن هذه الأرقام إنها لسيارة الخاطف الذي كان عندي
بالأمس، وأنا سأذهب إلى (نورهان).

- أستظهر معها في الحلقة؟

- أجل لذلك سأذهب لها لأخبرها وأتفق معها على ما سيتم
عرضه، والأسئلة التي ستسأل وكيف ستدير الحلقة، والأهم
من ذلك سأتفق معها على أن يأتي فريق المراقبة الخاص بنا

لمتابعة الاتصالات، حتى إذا اتصل الخاطف تمكنا من تحديد مكانه، وإرسال أقرب وحدة له والقبض عليه.

- حسنا ولكن عندي سؤال، ألم تلاحظ أن الخاطف كان يقوم بعملية خطف كل أسبوع،... لقد مر أسبوع ولم يتم بعملية خطف إلى الآن، ألا يبدو الأمر غريبًا.

- لقد انتهت للأمر، لا أعلم السبب و لكن ربما علم (عصام) بما توصلنا إليه فقرر اتخاذ حذره.

الفصل الخامس

(تضحية بطل)

غرفة هادئة مرتبة بأحد أركانها أريكة و مكتبة و بالركن الآخر تلفاز، يتوسط الغرفة مكتب صغير بإضاءة خافتة و كومبيوتر تعمل عليه (نورهان)، و فجأة يرن هاتفها فتجيب بالترحاب

-

- ما المطلوب؟

-

- حقًا وما الذي أكد لك ذلك؟!

-

- حسنا سأوافق على كل شيء.

-

- حسناً أربعة فقط.

-

- ما هو؟!

-

- حسناً هذا صعب قليلاً، فسيشكون بي أنني على اتصال بك.

-

- هذه فكرة جيدة ستسهل الأمور كثيراً.

-

- لا تقلق سأنفذ ما تريد.

يتقابل الضابطان ليلاً في قسم الشرطة، الإرهاق بادر على وجههما، رغم ذلك بادر (هاشم) بسؤاله إلى ما وصل له (أحمد) ليحييه:

- إن السيارة السوداء مسجلة باسم (عصام) أيضاً.

- جميع الأدلة تشير نحوه.

- ماذا حل معك و مع (نور هان)؟

- وافقت على كل الشروط دون جدال، لكن سنغير الإستوديو المعتاد الخاص بها، لأنها ترغب بوجود جمهور في الحلقة، ليشاركوني أسئلتهم وأطمئنتهم، وسيذهب فريقنا لتجهيز معداته.

- عندي فضول غريب لأعلم سبب رغبة المقنع في ظهورك على الهواء أمام الناس في برنامج (نور هان) بالتحديد.

- لا تقلق سنعلم كل شيء في وقته، فقط نحتاج لأن نراوده حتى نتمكن من القبض على...

فجأة يسمعان أصوات الناس خارج المكتب تعلو، فيخرجان لتفقد الأمر، ليندهش كلاهما عند معرفتهما أن المقنع قام بوضع فيديو جديد على الإنترنت، فيسارع كلاهما لمشاهدته.

رجل يرتدي قناعاً فضياً لوجه سيدة، شفاها سوداء اللون، حول العينين كحل أسود، ذات شعر مموج أسود اللون ينسدل على كتفيه، يحمل في يده ريشة ناصعة البياض، وبجواره صورة لرجل وسيم، يجلس في غرفة مظلمة بالكاد تظهر ملامح بسيطة من جسده، يبدأ كلامه بصوت غليظ أجش، مستخدماً جهازاً لتغيير الصوت قائلاً:

- مرحباً يا مشاهدين، اليوم معاكم مع حلقة جديدة من برنامجكم كلمة حق، سنتحدث فيها عن بطل عظيم جديد، تبدأ حكايته عندما كان طفلاً عمره ثلاثة عشرة عاماً، كان والده ضابطاً كبيراً في قسم الشرطة، له إنجازات كبيرة، اعتقل عدداً كبيراً من المجرمين، وأوقف عمليات تهريب وإرهاب لا تعد ولا تحصى، اسمه يزرع الرعب في قلوب أقوى المجرمين، لذلك كان في نظر بطلنا والده هو رجل العدالة، البطل الخارق كما نراهم في التلفاز، إلى أن جاء يوم مشؤوم كلف به الضابط أن يذهب للقبض على خلية إرهابيه، و أثناء قيامة بواجبه وخدمة وطنه أصيب بعدت طلقات خطيرة، رغم ذلك تنجح العملية ويقبض على الإرهابيين، لكن الضابط رقد ضريح الفراش بالمستشفى يحتضر في عناء، وقد علم أن نهايته قريبة لا محالة، فطلب

رؤية ابنه بالتحديد، رفضت إدارة المستشفى، لكن إصراره جعلهم يخضعون لمطلبه.

و بكلمات عميقة و أداء صارم، سرد المقنع حكاية بطله، فيأتي البطل الذي لم يتجاوز الثالثة عشرة مع والدته، و وقف والدموع تملأ وجهه في نحيب حاد، ناظرًا إلى والده الراقد على فراش الموت يصارع سكراته في ألم، مكبلاً بالمحاليل والأجهزة التي تحاول في يأس تخفيف ألمه، نظر الأب إلى ابنه وهو يبتسم في شقاء قائلاً:

- لا عيب أن تبكي يا بني، لكن العيب أن تضعف و تستسلم،
كن رجلاً مسؤولاً قوياً، وقل كلمة الحق ولو كانت تعني
موتك، فالإنسان يموت ومبادئه وكرامته تبقى حية مدى
الدهر، كن رجلاً تتنزل له الشدائد.

ثم ينظر إلى زوجته المنهارة من الكثرة البكاء، و يردف:

- اعنتي بوالدتك و أختك، و ارعاهما جيداً.

يمسح بطلنا دموعه و يستجمع بعضاً من رباطة جأشه قائلاً:

- أعدك بأنني سأكون بطلاً مثلك، لا أقول غير الحق،
وسأغدو قوياً لا أنكسر ولا أستسلم مهما حدث.

- هذا ما أردت سماعه، و لتعلم جيدًا أنني دائمًا معك هنا.

وأشار إلى قلب بطلنا، دخلت الممرضة مقاطعة لهم، تخبرهم بانتهاء وقت الزيارة، ولكنه كان انتهاء وقت الوداع الأخير.

غادر بطلنا والدموع لا تفارق عينه، و صورة والده على فراش الموت لا تفارق عقله، ووعده لأبيه مترسخ في قلبه الحزين.

توفي والد بطلنا في اليوم التالي، تاركًا خلفه زوجة و ولد في الثالثة عشرة من عمره و بنت في التاسعة، ليخوضوا رحلة شاقة في الحياة قاسية، بصعابها و مشاكلها التي لا ترحم، عملت الزوجة حتى استطاعت تدبير أمور بيتها، بدأ بطلنا بالتعلم و الاجتهاد، حتى يحقق ما أراده والده و يفى بوعده، و أصبح حلمه و هدفه أن يصير ضابط شرطة ليخطو خطى والده البطل، فتدرب على مدار سنوات عديدة، دون كلل أو يأس، مواجهًا جميع الصعاب بالصبر و الإيمان و العمل، حتى نجح بعد طريق كفاح طويلة مريرة أن يصبح واحدًا من أقوى رجال الشرطة، اسمه يلقي الرعب في قلوب أعتى الرجال خطورة، كان صارمًا حازمًا في عمله، صادقًا مخلصًا محبًا مع البسطاء، و طيب القلب حنونًا عطوفًا مرحًا في بيته مع أسرته، كان تاريخه مشرفًا يبعث على الفخر، قبض على عصابات و أفشل عمليات تهريب كبرى، كان بطلًا يهابه كل المجرمين، هدفه

الوحيد في الحياة أن يحافظ على أمن الوطن، و يحمي الأبرياء،
و يكون سيفًا قاطعًا لكل ظالم مغتصب يطمع فيما ليس له.

و في يوم مشؤوم قرر فيه بطلنا أن يقضي الوقت مع عائلته
في نزهة بإحدى الحدائق، و أثناء استعدادهم للمغادرة، قرر
البطل أن يسبق أهل بيته، لينتظرهم في سيارته، برفقة ابنته،
التي لم تتجاوز السادسة من عمرها، سارا معًا يدًا بيد، مرتديان
ملابس متقاربة في التصميم ذات لون أبيض مشترك بينهما،
تقفز الفتاة بنشاط و حماس كالأميرات الأنيقات بروحهن العذبة،
ووالدها يمرح معها و يداعبها بأرق الكلمات، يضحكان و هما
متجهان إلى السيارة.

كانت الحياة في غاية الجمال في تلك اللحظة، فجأة تعبر سيارة
من أمامهما و تفتح نافذتها ببطء، يخرج منها فوهة سلاح ناري،
انتبه له بطلنا، تملكه خوف لم يشعر به قط في حياته، و في
رمشة عين أصبح بطلنا في سباق مع الزمن، انخفض بسرعة
شديدة على الأرض، و احتضن ابنته ليحميها بكامل جسده، و
الدمعة في عينيه تترجى الخالق بالألا تصاب ابنته بأذى، و إذ
بعقله يعمل بشكل لا إرادي، يسترجع ذكريات حياته بشكل
عشوائي، متذكرًا وعده لوالده، و لحظة وداعه الأخيرة، متذكرًا
كيف صارع الحياة بكل قوته ليصل لما هو عليه، متذكرًا
اللحظات الصعبة التي مرت أسرته بها، و كيف عانت والدته

في حياتها من أجل تربيته هو و أخته، متذكراً يوم زواجه و سعادته مع زوجته، و فرحته بابنته يوم مولدها، متذكراً و عوده لابنته بالحياة السعيدة الكريمة، متذكراً ضحكاتها و لعبهما و السعادة التي كان يقضيها مع أسرته، يضم ابنته بقوة شديدة، تشعر الطفلة من قوة الضغط عليها أن عظامها ستتكسر، لا تستطيع رؤية شيء من جسد والدها الذي غطاها بالكامل، تخبره أنها ستختنق لكنها تسمعه يقول لها بحزن:

- أنا أسف...

- لماذا تبكي يا أب...

- أشهد ألا إله إلا ال...

فجأة تسمع الطفلة صوتاً عالياً ومرعباً، تنتشبت بوالدها بقوة، سيطر عليها الرعب من أصوات الفرقعات المرتفعة المتتالية، صرخت بالبكاء ذعراً، تشعر بانتفاض جسد والدها بين يديها بعنف شديد، لا تعلم ماذا يحدث من حولها، الرعب يملأ قلبها و صرخاتها تعلو أكثر و أكثر، تنادي على والدها بذعر:

- أبي... أبي... أبيبيبي.

تلك الثواني المعدودة مرت على الطفلة كساعات لن تنتهي من الرعب، لم تكن تدري ماذا يحدث ولم تستطع رؤية شيء، من جسد والدها الذي يضمها بقوة لأحضانها، تشعر فقط باهتزازه العنيف بين يديها الصغيرتين، توقف الصوت المرعب فجأة كما بدأ، وتوقف جسد والدها عن الاهتزاز، ثم تسمع صوت سيارة مبتعدة من المكان، هدأ كل شيء و عاد الصمت و السكنينة للأجواء، ظنت الطفلة أن الأمر انتهى على خير، ضعف حزن والدها لها تدريجيًا، فاستطاعت الطفلة التي في السادسة التحرك، شعرت بتدفق شيء سائل على يديها، فتنفقد يديها لتكون الصدمة المفجعة لها، تنهمر دموعها و هي ترى يداها مغطاة بالدماء، تسمع صوت والدها يقول بعناء و صوت متحشرج متقطع خافت:

- ه... هل... أنت... بخ... ير يا حبي... بتي؟

يرتجف جسد الطفلة بشدة، ترفع رأسها ببطء، لترى مشهدًا خالداً في ذاكرتها لبقية حياتها، ترى وجه والدها الذي ينزف الدماء بغزارة، وفي عينيه دموع امتزجت بدمائه تنهمر بحزن، على شفثيه بسمة خافتة، ظهرت رغم احتضاره، يقول بعسر شديد:

- الحمد... لله... على سلامتكَ.

عقد لسان الطفلة من هول المشهد، انفجرت عيناها بدموع تتدفق كالسيل الجارف بلا توقف، عقلها لا يستوعب ما يحدث، متمنياً ألا يكون ما يراه حقيقة، بل كابوس عابر ستستفيق منه، وفي لحظة سقط بطلنا على الأرض ميتاً بجوار ابنته، التي أصبح فستانها الأبيض وجسدها مغطاً بدماء والدها، انفك لسان الطفلة، بانفجارٍ صارخ بأعلى صوت لها، جسدها في رعشة وخوف، تصرخ وتصرخ بدموعها، تحرك والدها بكل قوتها تتوسل له النهوض بصرخات يائسة:

- لا تمت لا اااا تمت... لا تتركني وحيدة يا أبي... أنا أحبك... أرجوك يا أبي... أرجوك... لا تمت أرجوك...

صراخات وألام وخوف لطفلة في السادسة من عمرها لا يسمعها أحد، تحولت حياتهما السعيدة في لحظة غادرة إلى فراق ووداع ظالم، لم يكن له ميعاد مسبق، لم يمر إلا بضع دقائق حتى نزلت زوجة بطلنا ووالدته إثر سماعهما لصوت إطلاق النار المدوي في المنطقة، ترى الزوجة ابنتها على الأرض مغطاة بالدماء، تصرخ بشكل جنوني، تحرك زوجها رفيق حياتها الممدد على الأرض مقتولاً برصاص الجبناء، غارقاً في بركة دماؤه، غاب العقل عن الإدراك و انتفضت المشاعر متأججة، تركض كل من زوجة بطلنا ووالدته إليه بصرخات النحيب، و دموع الأوجاع، تحتضن كل من الأم

والزوجة جثة بطلنا، في صرخات لا نهاية لها، لأم ترى ابنها ميتاً على الأرض، و بكاء زوجة في مقتبل عمرها تحتضن جثة حبها و رفيق حياتها، كل تلك الأمور حدثت أمام عيني طفلة لم تبدأ حياتها بعد، لم تعلم معنى الحياة و مدى قسوتها و قسوة دروسها، لتتفاجأ في لحظة بأن حاميتها و أمانها رحل في رمشة عين.

زفر المقنع بضيق و أمسك صورة الرجل التي بجواره نظر لها بتمعن ثم ردف في غلظة:

- الحقيقة خلف هذه القصة يا أعزائي أن من قتل بطلنا هم عصابة قد فُبض على بعضهم، وتم إفشال عدد من عمليات التهريب الخاصة بهم من قبل بطلنا، ولأنهم أرادوا التخلص منه قاموا بعرض مبلغ من المال لأحد رجال الشرطة المتواطئين معهم، في مقابل أن يخبرهم بمكان سكن الضابط و جميع تحركاته، لقد كان ذلك الضابط الخائن سبب موت بطلنا، يعيش الآن سعيداً مع عائلته وأولاده، وهو سبب في انهيار أسرة كاملة، كتب عليها الحياة في أسى و حزن لبقية الدهر، أتعلمون أن أم بطلنا لم تتحمل فراقه، و مرضت ملازمة الفراش، والطفلة الصغيرة أصيبت بصدمة نفسية و عصبية حادة، فأصبحت رافضة للحديث، انطوائية حادة

الطباع، أما الزوجة أصبحت تعمل بجد حتى تستطيع تدبير بيتها وعلاج ابنتها ووالدة بطلنا.

تنهد المقنع و بحزم ردف:

- لذلك ظهرت أنا لأقول كلمة الحق، فأخبروني يا مشاهدين أليس من الأفضل محاسبة الجاني، وتحقيق العدالة في عالم ماتت فيه معاني تلك الكلمة و أصبحت تكتسب ولا تمنح.

عدد مشاهدات الفيديو مرتفعة جدًا و في تزايد ملحوظ، عدد المتعاطفين معه ازداد أيضًا، و بدى ذلك واضحًا من تعليقاتهم على الفيديو، و الأسوأ وجود بعض التعليقات المعارضة لرجال الشرطة، تلومهم و تهاجمهم بصراوة، و بذلك كسب المقنع عددًا لا يستهان به من المؤيدين له من عامة الشعب، و بدأ يتردد اسمه بكثرة على مواقع التواصل الاجتماعي تحت لقب المقنع المنتقم، و رمز له بقناع السيدة الذي يرتديه و بالريشة البيضاء التي يحملها دائمًا.

غيمة سوداء من الضيق و الغضب المكبوت في قسم الشرطة، نظر الجميع لبعضهم البعض بتعجب وقلق، فتلك الحادثة التي رواها المقنع مشهورة والضابط الذي تحدث عنه هو الضابط

(حازم)، ضابط محبوب من قبل الجميع، و يوم اغتياله ظن الكل أنها حادثة إرهاب، لكن لم يشك أحد قط أنها بسبب خيانة ضابط من بينهم، فمن عساه أن يقوم بطعن زميله بهذه القدرة الموحشة، لاحظ (هاشم) حيرة قسم الشرطة وسط غضب مكنون بادر عليهم، و تخطب بادر في أفكارهم تعالت به متماتهم في ما بينهم بضيق، مما أوحى له بسؤال مهم و خطير:

هل يمكن أن يكون المقنع أحد أفراد الشرطة؟!!

منطقة هادئة متواضعة زاهية بالأشجار و الشوارع الواسعة، تطل عليها المباني بتنسيق منظم، لكل مبنى رقم و موقف انتظار خاص، يفصل بين المباني حدائق خلابة، أحد تلك المباني كان به شقة الضابط (حازم)، طرقت الضابطان باب المنزل، فتفتح لهما (نسرين) زوجة الضابط (حازم)، سيدة في أواخر الثلاثين، نال من وجهها التعب و طغى الإرهاق بهومه عليها، ترتدي نظرات رقيقة السمك، خلفها عينا هزيلتين في الحزن غارقتين، بشرتها خمرية، ترتدي الحجاب و الملابس الفضفاضة، بعد السلام و التعريف عن نفسيهما تأذن لهما بالدخول، بترحاب جاف خال من الود، ثم استأذنت منهما ودخلت لتعد بعض الشاي في عجلة، فجلسا مع (سارة) أخت

الضابط (حازم)، لم تختلف مواصفاتها عن مواصفات (نسرين) سوا أنها بدون نظارة و لها علامة الحسن، و عيناها و اسعتان، لم يكن بينهما سوا الضيق و نظرات اللوم و العتاب، و كان ذلك واضحًا في استقبالها المقتضب لهما، تسأل مباشرة بحدة:

- لماذا أتيتما؟

- أردنا فقط أن نسأل بعض...

قالها (أحمد) بهدوء لكن قاطعته (سارة) بقوة:

- جئتما لتحقيق بشأن ما قاله المقنع، حسناً ما قاله صحيح،
و...

تدخل عليهما ابنة الضابط (ندى) مقاطعة حديثهم، فتاة نطق وجهها بالبراءة، رقيقة كبتلات الزهور، بشعرها الأسود الطويل، و عينيها البنيتين، في ربيعها الرابع عشر، فرحب بها الضابطان و حاولا المزاح معها بلطف، لكنها لم تحدثهما، فقد وجهها القدرة على التعبيرات، عيناها متجمدتان خاليتان من المشاعر، لا تفهم إذا كانت حزينة أو سعيدة، انتبه (هاشم) بأن بين يديها ريشة تطابق الريشة التي يمسكها المقنع في فيديوهاتة، ليصيبه لحظة سكينه و تأمل لتلك الريشة، خرجت

(نسرين) من مطبخها تقدم الشاي، ثم تخبرهما بأن يعذرا (ندى)، فتصرفاتها دائماً غريبة و غير متوقعة، ثم تستطرق قائلة:

- أنا أعلم سبب وجودكما، إنه المقنع المنتقم أليس كذلك؟

- أجل، ولدينا بعض الأسئلة، وأولها أتشكين بأحد قد يكون المقنع؟

احتدت (سارة) بعدائية و بادرة بالحديث لكن (نسرين) هدأتها، و تناولت زمام الحوار مجيبة:

- لا.

- هل زاركم أحد، يسأل عن تفاصيل ما حدث في الماضي؟

- من بعد وفات زوجي لم يأتي أحد لزيارتنا، لا أصدقاءه ولا أحبته، أنا لا أريد شيئاً من أحد، ولكن ألا يحق لابنتي أن تشعر بأن هناك من يسأل عنها، و يهتم لشأنها ولو بكلمة، فربما يساعدها ذلك على تحسن حالتها كما أخبرني الأطباء.

قالتها بنظرات عتاب واضحة (لهاشم) فشعر بالحزن والتقصير، وكأن تلك الكلمات كلمات عتاب موجه له، فربما لم

يكن صديق (حازم) لكنه كان زميله، فاعتذر (هاشم) بشدة،
فقال (نسرين) بحنقه:

- أتعلم من أخبر رجال العصابة عن مكان زوجي وسكنه،
بل وساعد في تهريب بعض أفراد تلك العصابة من السجن؟
- (أشرف)؟

- أجل الضابط (أشرف)، وذلك مقابل المال، و هو من
أخبرني بذلك، أتى إلي نادماً بيكي، يخبرني أنه لم يكن يعلم
أن هذا سيحدث، و أن رجال العصابة أخبروه أنهم سيقومون
بتهديد زوجي فقط، أتى إلي يطلب مني مسامحته بتوسل و
تضرع، يترجاني للعفو عنه.

احتد صوت (نسرين) و تعالى بغضب متأجج رادفة:

- يقتل زوجي وتمرض والدته وتلازم الفراش بين الحياة
والموت، وتصاب ابنتي بصدمة نفسية جعلتها عدوانية
منعزلة عن العالم، أصبح لسانها ثقيل ولا تتحدث أغلب
الوقت، قد يمر أسبوع كامل بدون أن تقول كلمة، وتكفي
بالإشارة وإصدار الأصوات فقط، لقد جعل حياتنا جحيمًا، و
فوق كل هذا يريدني مسامحته، حتى ينام مراتح الضمير،

صافي البال، وأنا أنام كل ليلة بقلبي المحترق على ابنتي،
وصورة زوجي الذي قتل غدراً لا تفارق ذهني.

تسارع (سارة) لتهدئة (نسرين)، و مواساتها بالكلمات البالية
المعتادة التي لا تشفي الجراح، حتى هدأت ثم اعتذرت عن
انفعالها المفاجئ، رغم ذلك كان لا بد (لهاشم) من طرح عدت
أسئلة مهمة، لكن الإجابة عليها كانت إجابة شبه واحدة، لا أعلم
أو لم يحدث، حتى فقد الضابطان الأمل في الحصول على أي
معلومة مفيدة، فقال (هاشم) باستياء:

- أوجد من شيء يمكنني المساعدة به؟

فقال له (سارة):

- لا فنحن بأفضل حال، لكن إن كنت تريد المساعدة حقاً،
فتعال لزيارة (ندى)، فهي لا تتحدث لأحد، تحيا على ذكرى
والدها، وفي بعض الأحيان تستيقظ في الليل تصرخ وتبكي
بكوابيس تراها في منامها ليوم مقتل والدها، إن حالتها
حرجة، الأطباء يقولون أنها يجب أن تتعامل مع الناس
وتتحدث، حتى تنفك تلك الصدمة، والأمر صعب فهي
صامته عدوانية، ليس لها أصدقاء بالمدرسة، أو النادي أو
الحي، الأولاد يخافون منها، وأكثر من مرة يتم استدعاءنا

للمدرسة بسبب أفعال عنف تجاه زملائها، أو تخريب
لممتلكات المدرسة.

نظر (هاشم) (لندی) بابتسامة دافئة، يخبرها أن تأتي فتذهب له
ليقول لها:

- ما رأيك أن نخرج معًا ونذهب إلى مدينة الملاهي لنلعب
ونمرح، وسأعرفك بمخطوبتي فهي فتاة جميلة، و استحبان
بعضكما سريعًا.

لا تجيبه (ندی) ولا تتغير قسمات وجهها، حاول (هاشم) مرة
أخرى، نظر للريشة البيضاء التي بيدها و سألها ببشاشة:

- ما سر الريشة التي بيدك؟

بعينين متجمدتين أجابت بكلمات جافة، رتيبة منتظمة:

- تعلمت في المدرسة أن الفراعة كانوا يظنون ان من يموت
يتم محاسبته بإحضار ميزان له كفتين، في كفة توضع ريشة
بيضاء و في الأخرى يوضع قلب المتوفي، فإن كان قلبه نقيًا
صافيًا تنقل كفة الريشة، و يرتقي القلب معلنًا أن صاحبه
شخص صالح، و إن كان القلب ملوثًا، تنقل كفته و ترتقي
الريشة دلالة على أنه شخص طالح.

- يبدو أنكى تحبين التاريخ و الحضارة الفرعونية القديمة.

بعين جافتين من المشاعر و صوت رتيب قالت:

- هل يوجد في هذه الحياة شخص له قلب نقي صافي أخف
من الريشة؟

- أجل بالطبع فكما يوجد شر في هذه الحياة يوجد خي...

تقاطععه (ندى) قبل أن ينهي جملته قائلة بحدة:

- لا يوجد لأن من يمتلكون قلبًا صافيًا يموتون.

تنطفئ ابتسامة (هاشم) محددًا في عيني (ندى) المتجمدتان بقلق
لا يدري ما يقول.

حلّ الصمت ضيقًا غير مرغوب به بين (أحمد) و (هاشم) في
سيارتهم، كلاهما غارق في تفكير عميق فيما يحدث دون
الوصول لنتيجة مرضية، لا معلومات وفيرة لديهم و المشتبه
الوحيد هو (عصام)، وحواله أكثر من سؤال و سؤال لا تفسير
منطقي لهم، زفر (هاشم) في ضيق قائلاً:

- ماذا حدث مع مراقبة أهالي الضحايا السابقين؟

- لا شيء جديد جميعهم يتابعون حياتهم بشكل طبيعي جدًا
لا وجود لأي تصرف غير تقليدي يلفت الأنظار حولهم.

- أعتقد أن متابعتهم الآن لا طائل منها و ان نركز جهودنا
فيما لدينا من معلومات، كثف المراقبة حول منزل (عصام)،
و ابحث في الأماكن التي اعتاد زيارتها و في محل عمله،
و أيضًا يوم حلقة (نورهان) القادمة، احرص على تكثيف
الحراسة جيدًا و تفتيش الحضور من الجمهور و التأكد من
هويتهم.

يؤكد (أحمد) على تنفيذ المطلوب بحزم فيردف (هاشم):

- و ضع (نسرين) و (سارة) تحت ناظرينا أيضًا.

- هل تشك في...

- لديهم غضب متجلجل بداخلهم، لم نرى إلا جزءًا منه فقط،
ضع مراقبة عليهما للاحتياط، ربما تكونان على علاقة
بالمقنع.

وافق (أحمد) بغير رضا ثم سأل في توتر بصوت خافت:

- ه... هل تعتقد ان ما يفعله المقنع خطأ حقاً؟

دهشة تحكمت (بهاشم) و بقسماته، تبعها ضيق من سؤاله دون ان يدل بإجابة، فردف (أحمد) موضحًا:

- هو لم يقتل أحدًا و من اختطفهم هم أولاد أشخاص مذنبين بالفعل، و فارين من العدالة لغياب الدليل و استغلالهم السيء لنفوذهم، و أنت تعلم أنهم مذنبون، و...

قاطعته (هاشم) بغلظة:

- استيقظ ولا تجعله يخدعك، إن تركناه يفعل ما يحلو له فسنرى كل يوم مقنع يخرج لنا بفساده، بحجة أنه يحقق العدالة.

بتشكيك واضح في عينيه قال (أحمد):

- ربما بعض الأمور ليست كما نظن، و ما أماننا ليست الحقيقة التي نريدها نحن، بل الحقيقة التي يريدونها هم، لذلك ظهر المقنع.

تزداد دهشة (هاشم) مما يسمع و تزداد غلظته قائلاً:

- ماذا حدث لك، لا تتخدع بكلماته، نحن رجال الشرطة نسعى للعدل بكل ما لدينا، ولا يعني وجود واحد أو اثنين فاسدين أننا جميعًا فاسدون.

- هل ظلمت مرة في الماضي؟! ... و تمنيت و بشدة وجود
أحد يفهمك و يرفع عنك الظلم، و يحاسب الظالم أشد حس...

قاطعته (هاشم) و قد فاض به غضبه:

- ماذا حدث لك يا (أحمد)؟!... نحن نحاول القبض على
المقنع لا تبرير ما يفعله، و تأكد أنه مذنب، لو كان تحقيق
العدالة غاية سامية، فيجب أن يكون طريقها أسمى، فكيف
للقاتل أن يحاسب قاتلاً أو للسارق أن يحكم على سارق.

قال أحمد بصوت خافت بالكاد يسمع:

- أليس هذا ما حدث.

لم يهتم (هاشم) لتلك الجملة التي لم يرد فهم معناها، في اقتناع
منه أن (أحمد) قد وقع ضحية لشباك المقنع فقال:

- دورنا مهم لنكون الحد الفاصل و اليد التي تحاسب بلا
هوان، كن على يقين أن المقنع مذنب و لا تبرر ما يفعله.

صمت (أحمد) طيلة الطريق في استياء واضح، و عينيه
تحمل الكثير من الأسرار، التي لاحظها (هاشم)، و أثارت
فضوله ليسأل لكن (أحمد) لم يجبه، مبرراً أنها أمور شخصية

فقط لا علاقة لها بالقضية، لم يُرد (هاشم) التطفل أكثر، رغم
تعجبه و لوعته لمعرفة ما يخفيه (أحمد).

الفصل السادس

(التحدي الكبير)

يوم حافل في إحدى استوديوهات القنوات المشهورة، كل شيء معد بإتقان، الجمهور حاضر في الاستوديو، و الكاميرات معدة و جاهزة، لم يبقى على بث حلقة ما وراء السراب إلا دقائق معدودة، جلس (هاشم) في غرفة الانتظار الخاصة به، يستعد للظهور على التلفاز أمام الناس في توتر محاولاً إخفاء آثاره عن وجهه، فهو يتوقع مكالمة المقنع له على الهواء، و هذا ما يزيد من توتره فماذا سيفعل المقنع و ما سر رغبته في إقامة هذه الحلقة، يفكر و يفكر حتى يدق باب غرفته قاطعاً أفكاره المسترسلة، فتح الباب ليتفاجأ برؤية (ورد) أمامه فيسأل في دهشة:

- ماذا أتى بك هنا؟!!

- اتصلت بي (نورهان)، و أخبرتني بأنك ستظهر معها في حوار حول قضية المقنع، في حلقة خاصة يحضرها الجمهور، ودعتني أن آتي لأرى خطيبي مباشرة.

بضيق و استياء مكبوح:

- تلك الإعلامية الأعيها كثيرة و غير مريحة، كيف علمت رقم هاتف...

قاطعت (ورد) سؤاله بصياحها في فزع:

- أيعقل أنك ستظهر على الهواء هكذا؟!!

فينظر (هاشم) في المرأة بقلق ينفقد نفسه و ملابسه فزعًا:

- ماذا؟!... ما المشكلة ما الذي يحتاج إلى ترتيب؟

- حبيبي أنظر إلي فأنا مرأتك.

نظر لها بهدوء، وبدأت (ورد) بترتيب قميص (هاشم) بحرص، اعتلي وجه (هاشم) ابتسامة جميلة، لاهتمام (ورد) بهيأته أمام الناس، وقدمها لتشجيعه ورؤيته على الهواء، و روحها المرحة السعيدة، أدخلت الطمأنينة لقلبه، ظل محدقًا لوجهها المضيء بالأمل، حتى أخبرته (ورد) أنها انتهت، لكنه لم يجبهها

ظل محدقًا لها بعمق والبسمة لم تفارق وجهه، فضحكت (ورد)
بخجل قائلة:

- يجب أن تنتبه جيدًا، عندك حوار على الهواء بعد بضع دقائق.

انتبه لها (هاشم) ضاحكًا:

- اعذريني لقد خطف جمالك عقلي.

ابتسمت (ورد) بمشاعر الخجل، تخبره أنها انتهت من ترتيب
ملابسه فقال لها:

- سلمت يدك الرقيقتين.

- كف عن المجاملة وانظر في المرأة وقول ما رأيك.

- أنتِ مرآتي، لقد رتبتي ملابسك بشكل الذي تريه مناسبًا، إذا
فهي مناسبة.

يأبى الخجل أن يترك (ورد) التي احمرت وجنتاها قائلة:

- ابدل جهدك، وأنا سأجلس مع فريق الإعداد والضباط
أشاهدك.

- لماذا لا تجلسين مع الجمهور؟!!

- بضحك حتى لا يخطفك جمالي، فلا تستطيع التحدث، ويصبح مظهرك أمام الجميع سيئاً.

ضحك الاثنان، ثم خرج (هاشم) لبدأ الحلقة، محملاً بدعم (ورد) وكلماتها التي أزال القلق من قلبه.

تعلو الموسيقى و يظهر على شاشات التلفاز اسم البرنامج بالخط العريض ما وراء السراب، تبدأ الحلقة (بنور هان) جالسة متأقفة كالعادة في زيتها الباهظ المُبهرج، و جمالها الأخاذ بمساعدة مستحضرات التجميع مع بعض الحلي البراقة، حيت الجمهور بحفاوة، ثم مهدت للحلقة بمقدمة خاصة تصيدت كلماتها بعناية، بعدها قالت بنظرات حادة و صوت واثق:

- كما تلاحظون يا أعزائي حلقة اليوم مميزة، وسيتكشف فيها بعض الحقائق المهمة عن قضية الخاطف الذي لُقّب بالمقنع المنتقم، وسيكون معنا اليوم الضابط المسؤول عن القضية، الضابط (هاشم).

دخل الضابط (هاشم) وسط تصفيق حار من الجمهور، يلقي التحية ويجلس أمام (نور هان)، لتبدأ حوارها مع (هاشم) بشكل جيد ومنظم، تسأله الأسئلة التي اتفقا عليها، وهو يجيب بثبات

وثقة، فيلم معد باتقان، الجميع يعلم دوره و يتقن أداءه جيداً، لكن (نورهان) ليست من هذا النوع من الإعلاميين، فتخرج عن سياق الفيلم المعد بسؤال غادر لم يتوقعه (هاشم):

- ما رأيك في عملية الخطف الأولى؟... وهل حدثت للانتقام من ضابط الشرطة الذي ذكر في حكاية المقنع على الإنترنت؟

اندهش (هاشم) من هذا السؤال، يرى ابتسامة (نورهان) الخبيثة تلك، ليدرك أنها قررت الخروج عما اتفقا عليه، يتمالك نفسه سريعاً حتى لا يلاحظ أحد دهشته مجيباً:

- لا أعتقد أن المقنع يخطف لسبب واضح، و ما يفعله هو وضع مبرر لعملية خطفة، فكما ترين لقد حكى ثلاثة قصص مختلفة، فما علاقته بهم، ثم من أين له بالدليل القاطع على ادعاءاته، هو فقط يبرر عمليات خطفه تلك ليشغلنا عن هدفه الرئيسي.

تضع (نورهان) إصبعها على السماعات فجأة وتقول:

- لدينا مكالمة مهمة الآن، من شخص رفض قول اسمه، و اكتفى بقول أنه سيتحدث بخصوص القضية.

ثم ترحب بالمتصل، لكن الصمت ساد لوهلة، تلاه أصوات حركة بسيطة، ثم شخص بدأ بالتحدث قائلاً:

- مرحباً معكم (صلاح)، أريد أن أحكي ما حدث لي، وبدون مقاطعة إذا سمحتم.

ثم بدأ بسرده نفس الحكاية التي حكاها المقنع بالحرف و الكلمة مع اختلاف الأسلوب قليلاً، و اختتم كلامه قائلاً:

- أريدكم أن تعلموا أن من كان سبب موتي هو الضابط (حسن)، وهو الضابط الفاسد الذي خُطف ابنه.

انتهت المكالمة وسط نظرات الاندهاش بادرة على الجميع، يستمع (هاشم) إلى فريق الشرطة الذين تتبعوا المكالمة، وحددوا المكان الذي بنى منه وهو الإسكندرية، تم الإبلاغ عن موقعها وإرسال أقرب وحدة لها، تابعت (نورهان) حلقتها بسؤال (هاشم) عن تعليقه على هذه المكالمة المفاجئة، ليجيبها بأنها مكالمة تضليلية من المقنع، لتباغته (نورهان):

- لقد أخبرنا أن الضابط (حسن) هو الضابط الفاسد الذي كان سبب موته، و خطف طفله الآن كانتقام منه.

- كما قلت إنه تضليل من المقنع، لا دليل لديه على ادعاءاته
تلك، فلا يجب أن ننخدع بسهولة.

تصمت (نورهان) لوهلة ثم تقول:

- معنا مكالمة أخرى من مجهول...

تسمع صوت حركات خفيفة ثم يجيب المتصل:

- مرحباً أنا (نور)، أريد أن أحكي حكايتي بدون مقاطعة إذا
سمحتم.

بدأت (نور) بحكاية حكايتها التي حكها المقنع بنفس الشكل و
الكلمة ثم اختتمت بقولها:

- الضابط المسؤول عن خروج المتهمين وتزوير المحضر
ومحو الأدلة هو الضابط (مسعود)، الذي خُطفت طفلة.

انتهى الاتصال بذلك، توتر (هاشم) قليلاً، لا يفهم على ما ينوي
المقنع بما يفعله هكذا، يسمع من سماعته أنهم حددوا مكان
الاتصال الثاني في مدينة السادس من أكتوبر، تابعت (نورهان)
بسؤالها عن رأي (هاشم) في هذا الاتصال، و(هاشم) متمسك
بإجابته بأنه تضليل وليس حقيقة، و ينفي وينكر صحة
المكالمات، إلى أن تقول (نورهان):

- ومعنا اتصال أخرى...

تسمع صوت حركات خفيفة ثم يجيب المتصل:

- أنا الضابط (حازم) وسأحكي لكم حكايتي ولا أريد مقاطعة.

ثم بدأ برواية نفس حكاية المقنع وينهي كلامه بقول:

- إن صديقي الذي قام بتبليغ رجال العصابة عني وكان سبب موتي هو الضابط (أشرف)، الذي خُطف ابنته.

انتهى الاتصال بذلك، زاد قلق (هاشم)، فقد تأكد أن المقنع يحاول اللعب على الرأي العام، يستمع إلى رجاله في السماعه لقد حددوا مكان المكالمة في منطقة المعادي، فتسأل (نورهان):

- أعتقد أنه مما سمعنا إلى الآن فالضباط الذين ذُكر أسماءهم قد ارتكبوا جرائم شنيعة، وخُطف أولادهم لهذا السبب، فما الإجراءات التي ستتخذ الآن من قبل مركز الشرطة؟

- لا يوجد دليل على قول المقنع، إنها طريقة لتضليل التحقيقات، ولن ينجح المجرم في ذلك، و لتعلموا أن هنالك مشتبهًا بهم، ولدينا الأدلة القاطعة التي تثبت أن أحدهم هو المقنع، وسيتم القبض عليه، وما يفعله الآن ليس إلا بضع محاولات فاشلة لعرقلتنا.

لا تهدأ (نورهان)، وتظل تسأل أسئلة قاتلة شائكة حرجة،
تصيب (هاشم) بالتوتر والقلق أكثر و أكثر، ليجيبها بإجابات
غير محددة تعكس ضعف موقفه، ليتوعد لها في خبايا نفسه
بحساب عسير فور نهاية الحلقة، فجأة ينقطع سيل أسئلة
(نورهان) و هي تقول:

- ومعنا اتصال آخر...

صوت غليظ مليء بالشر مألوف لدى الجميع، إنه المقنع نفسه
هذه المرة يقول بحدة:

- أنا هو المسؤول عن عمليات خطف الأطفال، و غرضي
تحقيق العدالة لمن مات مظلومًا بغدر الآخرين، و محاسبة
الظالم الفار بلا أدلة تدينه، فقد سئمت هذا العالم العفن، بما
يحملة من ظلم، و غدر و قلوب سوداء جفت منها الرحمة.

صمت المقنع قليلاً ثم ضحك ضحكات عالية، رادقاً:

- ماذا بك يا حضرت الضابط (هاشم) لما كل هذا التوتر؟

فيجيبه (هاشم) بثقة و تحدي:

- لن يطول فرارك، وسأقبض عليك.

- أحسنت يا حضرت الضابط (هاشم)، أرني إذا ما تستطيع فعله، و كن متأكدًا أنني سأصل إلى هدفي وأمام عينيك، ولن تستطيع فعل شيء، بل وسأجعلك تساعدني في الوصول إلى هدفي بإرادتك، وأي شيء علمته أو ستعلمه تأكد انه بإرادتي، حتى أفعالك هي أيضًا بإرادتي أنا فقط.

- ثقتك هذه ستكون سبب هزيمتك، فأنا من المستحيل أن أساعدك في شيء، وسأقبض عليك مهما كلف الأمر.

يضحك المقنع بأعلى صوته، ثم يقول بغلظة مججلة:

- حسناً ليثبت كل منا نفسه وأمام الجميع، هذا تحد بيننا واعلم جيدًا أنني لن أخسر أبدًا... الآن استمع إلي جيدًا فلن أعيد كلامي هذا... في يوم الأربعاء القادم سأختطف حفيد رجل الأعمال الكبير (سعد إسماعيل) من منزله، ولن تستطيع القبض علي، وإذا فشلت في عملية الخطف تلك سأقوم بتسليم نفسي والأطفال المخطوفين، ما رأيك بهذا التحدي الآن؟

انقطع الاتصال على ذلك، بينما يجيب (هاشم) بغضب واضح:

- قبلت تحديك، و سأقبض عليك مهما كل...

فجأة يستمع (هاشم) إلى رجاله في السماعة يصيحون:

- حاصروا الأستوديو و أغلقوا المداخل و المخارج، المكاملة الأخيرة صدرت من هنا، من الاستوديو.

جُن جنون (هاشم) و انتفض من مقعده، يقلب أنظاره في الجمهور بغضب، يأمر (نورهان) أن توقف البث، حركات رجال الشرطة المكثفة في تطويق المكان و أصوات و صياحات حادة:

- لا أحد يتحرك من مكانه المكان محاصر، سيتم تفتيش الجميع إياكم وال...

فجأة انقطعت الكهرباء، و أصبح المكان شديد الظلام، ارتفعت أصوات الفوضى و انتشرت حركات عشوائية يصعب تحديد مصدرها، تخبطات و أشياء تتكسر و تتحطم، و فجأة و في لحظة عمّ الصمت المكان، لا يُسمع أي صوت، و في غضون بضعة دقائق تعود الكهرباء، و تضاء الأنوار ببطء تتابعًا، حتى أصبحت الرؤية واضحة، لتحل صدمة مفاجئة على وجوه رجال الشرطة، و (هاشم) أشدهم صدمة، فمه مفتوح رغمًا عنه، عيناها منفرجتان على مصرعيها تكاد تسقطان من مكانهما، وقف عقله عن العمل، عُقد لسانه عاجزًا عن الكلام، ولأول مرة في حياته لا يعلم ما يجب فعله، و كيف يتصرف.

كل الجمهور الحاضر في الأستوديو يرتدي قناعًا للسيدة ذاته الخاص بالمقنع، و جميعه يحدقون (بهاشم) بثبات دون حركة، ينظر إلى (نورهان) فيرى نظرات الفلق عليها، وهي تقسم بأنها ضحية، و ليس لها علاقة بذلك، ينتبه إلى بطاقة عليها رمز المقنع المنتقم، موضوعة على الطاولة فيتفحصها (هاشم) بارتباك يقرأ ما كتب فيها.

- أنا أمامك الآن فلتقبض علي.

يسمع (هاشم) ضحكاته الشريرة الغليظة تتردد في أذناه، يقلب نظره في الجمهور في صدمة لم يتذوق لها مثل في حياته.

في أطراف الليل و بالقرب من فيلة راقية داخل سيارة فارهة و قبل أن تنزل (نورهان) من سيارتها، يرن هاتفها لتجيب بحفاوة و ابتسامة عريضة:

- مرحبًا.

-

- أجل لقد ازداد عدد المشاهدين بشكل لا يصدق، ومعدل الإعلانات ازداد أيضًا، لكنك فاجأتني بوجودك.

-

- ما المطلوب لكي أنفذه؟

-

- لكنك هكذا لن تنفذ ما قلتها؟

-

- كم أنت ماكر جدًا.

-

- حسنًا لا تقلق سأفعل كل ما تريد وسأوافيك بالجديد.

أغلقت (نورهان) الهاتف، تقول بأعين لامعة:

- لقد أصبحت شهرتي أعلى مما توقعت، ومتابعي برنامجي في ازدياد غير طبيعي، وأصبح ينتظره الجميع بفارغ الصبر كل أسبوع، لما يعد هناك إعلامي في شهرتي الآن.

تغرق (نورهان) في أحلامها وجنون العظمة والشهرة.

- لماذا لم تقبض على الجمهور بتهمة مساعدة المقنع والتستر عليه، وعلى تلك الإعلامية التي ساعدت في ذلك أيضاً، لا أجد سبباً لتركهم هكذا.

صاح بها (أحمد) في غضب ليجيبه (هاشم) في استياء:

- و هذا بالضبط ما يريده المقنع، حتى نصبح حديث الناس، إذا قمنا بحبس أكثر من خمسين شخص فقط لأنهم يرتدون قناعاً سنكون وقعنا في فخه، لنكون ضحية يمزقها الإعلام والصحافة بكل الوسائل الممكنة، و فوق كل هذا سيظل المقنع حرّاً طليقاً، وسيعتبره الناس حينها محقاً فيما يفعل، سيحرض الناس ضدنا أكثر، فقد أصبح له الآن بعض المؤيدين، والبعض يراه رمزاً للعدالة بالفعل.

يضرب (هاشم) كفّاً بكف متعجباً في استياء رادفاً:

- هذه حقاً أول مرة أرى شعباً يؤيد مجرمًا ويقف في صفه، ألم ترى التعليقات على الإنترنت وما يقوله الناس، لقد أصبح الآن وجه السيدة تلك و الريشة رمزاً للعدالة يا السخرية.

- حسنًا و لماذا لم تقبض على تلك الإعلامية؟

- عندما اتهمت (نورهان) بأنها تعمل لصالحه و قررت القبض عليها، دافعت عن نفسها بحدة، تقول بأن المقنع هدهما، أرسل لمنزلها صندوقًا يحوي الأفتنة و رسالة يأمرها بها أن تعطي الأفتنة للجمهور، وإفهامهم أن هذا مجرد عرض ليس إلا، و إن لم تفعل فسوف يقضي عليها، و أرتني رسالة التهديد التي أرسلها لها، ذلك القدر يتلاعب بالناس، والمشكلة الآن أنه يتحدثنا بأنه سيختطف حفيد أحد أكبر رجال الأعمال، وقد حدد اليوم والمكان يا له من جريء.

- أعلمت ماذا وجد رجال الشرطة في أماكن الاتصالات الثلاثة؟

- لا كنت منشغلًا بالتحقيق مع (نورهان) ماذا وجدوا؟

- في كل مكان وجد ثلاثة أشياء، جهاز تسجيل صغير به الحكاية ملصق بهاتف وريشة وبطاقة عليها رمز المقنع المنتقم تحتوي رسالة.

في المكان الأول والذي تحدث منه (صلاح) كانت الرسالة تقول:

(اقبض على المجرم واعترف)

وفي المكان الثاني حيث تحدثت (نور) كانت رسالتها تقول:

(أظهر الأدلة والأوراق الحقيقية واعترف)

وفي المكان الثالث حيث تحدثت (حازم) كانت رسالته تقول:

(اقبض عليهم واعترف)

- إن هذه طلبات المجرم لضباط الثلاثة، حتى يعيد أولادهم.

يخرج (هاشم) هاتفه محاولاً الاتصال بهم، لكنهم لا يجيبون فيقول (لأحمد):

- استمع جيداً ستذهب إلى بيوتهم و تخبرهم بما طلبه القاتل منهم، و في ذات الوقت تحقق في ما كانوا يفعلون، و أين اختفوا المدة الماضية، و أنا سأذهب (لسعد إسماعيل) لأقوم بالترتيبات الأمنية و الإجراءات اللازمة لتأمين فيلته و حفيده.

- لا بد أن تجمع معلومات عن (سعد إسماعيل) قبل التعامل معه، فهو ليس بالرجل الهين كما تعلم.

- لقد تحريت عنه جيداً، رجل أعمال كبير له إحدى أكبر شركات إنتاج الحديد، لديه مؤسسة خيرية و عدة مشاريع

أخرى صغيرة نسبياً، لديه ابن واحد و قد توفي في حادثة منذ عدت سنوات، و ما بقي له هو حفيده، عمره سبع سنوات يعيش هو و والدته في فيلة جده، هذه أهم المعلومات التي وجدتها، أما الباقي تفاصيل تقليديه، فلم أجد ضمن هذا كله سبباً ليقوم المقتع باختطاف حفيده.

يزفر (أحمد) في استياء محدقاً بالأرض ثم يقول متسائلاً:

- جميع الأطفال الذين اختطفهم المقتع أهلهم مذنبون، فما الذنب الذي ارتكبه (سعد) ليكون الهدف التالي؟

- ما أهمية هذا السؤال الآن؟

- إذا استطعنا معرفة الجرم الذي ارتكبه (سعد) في الماضي و قمنا بمحاسنته و القبض عليه، و بالتالي سنكون أمام العامة حققتنا العدالة و سنبطل مخططات المقتع و أيضاً سن...

باستياء و نظرات تعجب قاطعه (هاشم):

- خيالك واسع الأفق، إليك معلومة مهمة يا صديقي، العدالة في عالمنا عدالة ورقية، إن كنت لا تملك الدليل، فلا تستطيع القبض على أحد أو حتى اتهمه، و تذكر دائماً أن أصحاب

المناصب لهم نفوذ واسعة، يكاد يكون من المستحيل الإيقاع بهم.

- أنت بذلك تثبت نظرية المقنع...

يصيح (هاشم) بضيق:

- توقف عن تبرير ما يفعله ذلك المجرم.

- لا أبرر أفعاله، لكنه بما يصنع جعلني أفكر ملياً في سؤال مهم، ما هي العدالة؟

يدور جدال بين الاثنان لا يثمر بشيء نافع، يغادر كل منهما لهدفه، بعقلية مشتتة التفكير في قناعاتهما.

أوراق و ملفات متكدسة كالجبال على مكتب (هاشم)، الجالس بينها في شقاء يتفحصها و يراجع كل تفصيلاً و كلمة حدثت في قضية المقنع، فجأة يرن هاتفه، لم يكن (هاشم) في مزاج جيد ليخاطب أحد، لكن عندما وجد أنها (ورد) تردد قليلاً في أن يجيب، و بعد نزاع مرير يجيب باستياء، وبعد الترحاب و التحيات تقول (ورد) ببراءة:

- كم انا فخورة بك يا عزيزي.

(هاشم) بحزن:

- فخورة بماذا ألم تري ما حدث؟!!

- بلى رأيت خطيبي على التلفاز، يحاور و يتحدث بصرامة،
رأيته كيف يتحدى المقنع بصلافة و عزم على النصر.

- ألم تري أيضاً كيف استطاع المقنع التلاعب و الإفلات من
بين يدي؟

- لا تهتم، ربما فاز بجولة لكن الكلمة الأخيرة ستكون لك.

تفاعل (هاشم) قليلاً يشعر ببعض الطاقة بداخله من كلمات
(ورد) و حماسها، فيشكرها بامتنان لتقول له:

- أعلم اننا اتفقنا على أن لا نتحدث، لكني أريدك أن تتأكد
أنني أدعمك يا عزيزي بكل جوارحي، و سأكون دائماً معك
بدعائي.

- شكراً لكي يا (ورد).

يدور بينهما حديث خفيف على القلب، يهون عن النفس، يسعد
(هاشم) كثيراً، و يزيل بعضاً من همومه المتشابكة.

سور طويل الامتداد شاهق الارتفاع، بإحدى جوانبه بوابة فتحت على مصرعيها لسيارة (هاشم) ليدخل ببطء لأرض رجل الأعمال المغمور (سعد إسماعيل) باشا، أرض واسعة خضراء، تزينت بالأشجار المتفرعة و النخل المرتفع، و الزهور الخلابية، يتوسط تلك الأرض حمام سباحة واسع، و بإحدى أركان الحديقة صممت جلسة مخصصة لحفلات الشواء الفارهة، أما أماكن انتظار السيارات فكانت مزدحمة بسبع سيارات تخص (سعد) باشا فقط، نزل (هاشم) من سيارته المتواضعة أمام فيلة عالية ضخمة فاخرة، تزينت بالأبيض و الذهبي، صممت على أحدث طراز معماري، البهرجة تنطح من تفاصيلها الدقيقة، تتحاكى بثروة من يسكنها أحياناً و أشعاراً، انتبه (هاشم) وسط كل هذا بكاميرات المراقبة الكثيفة الموضوعية في كل مكان، و الحرس الخاص المكون من وحوش تهيأت بهيات البشر في بدل سوداء بالكاد تغطي أجسادهم العملاقة، منتشرين في جميع أركان الفيلة مداخلها و مخارجها، هذا كله غير العاملين في الفيلة من خدم و حشم، فهذه المساحة الشاسعة تحتاج لعدد كبير للخدمة و التنظيف و الاهتمام.

دخل (هاشم) القبلة الواسعة، أول ما يشد انتباهه تلك الرائحة الزكية، التي استنشقتها بعمق لروعتها، جلس على أثاث رفيع المستوى صمم بعناية خصيصاً لهذه القبلة فقط، تأمل سقفاً شديد الارتفاع تتدلى منه الثريات النفيسة، المكونة من الذهب الخالص و الكريستال النقي، حوائط من الرخام، عليها لوحات أشهر الرسامين العالميين، أرضيات لامعة براقه أشبه بالمرايا، ترى أعمالاً ديكورية على أرقى مستوى في كل جزء و زاوية، غاب (سعد) قليلاً لكن (هاشم) لم يشعر بغيابه، فقط كان يتأمل روعة الإبداع المعماري دون ملل، إلى أن جاء (سعد) باشا يستقبل (هاشم) بحرارة، رجل طويل عريض، خمري اللون أصلع الرأس، لا شارب أو لحية له، أفتس الأنف، عيناه جاحظتان بارزتان قليلاً، يرتدي في يده ساعة من الذهب و خاتمان يزينان أصابعه من الذهب أيضاً، يدخن سيجاراً من نوع باهظ مستورد لم يرى له (هاشم) مثيلاً.

بعد السلام والتحية والمقدمة الاعتيادية بين الناس، بدأ (هاشم) بقوله انهم مستعدون لمواجهة المقنع وسيتم تأمين المنزل بالكامل، فقاطعه (سعد) بنفخ دخان سيجاره قائلاً:

- إن حرسى الخاص على أتم استعداد لأي شيء مهما كان، و سور القبلة مرتفع جداً يصعب تسلقه، و أيضاً تم وضع جهاز تتبع في ملابس حفيدي، حتى نتابع جميع تحركاته

خطوة بخطوة، و سيرافقه على الدوام أربعة حراس مجهزين و مدربين على أعلى مستوى، وسيمنعون أي أحد من الاقتراب من حفيدي، حتى ولو للسلام فقط، نهيك عن عدد كاميرات المراقبة الكبير التي ترصد كل جزء و زاوية في فلتني البسيطة.

تتغير نبرة صوت (سعد) فجأة و انبعج وجهه، ليصبح أكثر قساوة رادفًا:

- رغم كل هذه أحتاج إلى تأمين شديد، أنا لن أسمح لأي أحد مهما كان أن يختطف حفيدي الوحيد، ولن أتساهل مع أي تقصير منكم في حمايته أتفهم.

غضب (هاشم) و احتد من التحول المفاجئ قائلاً:

- هل أعتبر هذا تهديدا؟!!!

- بغضب اعتبره ما تريد فمن بعد وفاة ابني ليس لي في هذه الحياة غير حفيدي ولن يختطفه أحد مهما حدث، سأقلب الدنيا رأسًا على عقب ولن أرحم أحدًا مهما كان أتفهم.

- نحن نقوم بعملنا على أكمل وجه، و يجب أن تتعاون معنا حتى نقبض على الخاطف ونحمي حفيديك، سأقوم بنشر

رجالي حول الفيلة وداخل الحديقة، وسيتم مراقبة كل المارة
والفيلات المجاورة، وسيتم عمل لجنة لتحقيق من السيارات
التي تعبر من أمام الفيلة، وسأشرف بنفسى على عملية حماية
حفيدك فلا تقلق، و تعاون معنا.

علامات الرضا تهل على وجه (سعد) باشا لينفك قليلاً، ويبدأ
كلاهما بعمل إجراءات التأمين وحماية الفيلة من كافة
الاتجاهات وحماية الحفيد بشكل خاص.

اجتمع الضابطان ليلاً، و فتح (أحمد) الحديث:

- لقد ذهبت إلى منزل الضباط الثلاث، وجميعهم متغيبون عن
المنزل والعمل من مدة.

بدأ (أحمد) بسرد تفاصيل زيارته بشكل مفصل، حيث كان
منزل (أشرف) أول محطة في طريقه، قابل زوجته، التي كانت
حزينة تبكي في أسى، وعندما سألتها عن زوجها أجابته بأنه
متغيب منذ مدة، يعود فقط في أوقات متأخرة لينام، ويستيقظ
باكراً ليخرج من البيت، لا يجيب على هاتفه ومغلق معظم
الوقت، لقد أصبح في حالة عصبية حادة، التوتر و القلق في
عينيه دائماً، لا يتحدث لأحد، ثم تخبره بتعجب أنها ذات مرة

سمعتة يبكي بتوسل و اعتذارات كثيرة في غرفته، ولا تعرف لمن كان يعتذر، لم يكن امام (أحمد) سوا أن يهون عنها ويعطيها بطاقة المقنع المنتقم لإيصالها (لأشرف) فور ملاقاته.

بعدها يتوجه (أحمد) إلى منزل (حسن)، لكنه لم يعثر على أحد مطلقاً، فتابع مسيرته إلى منزل (مسعود)، استقبلته زوجته، لم تختلف حالاً عن زوجة (أشرف)، يسألها (أحمد) عن حال زوجها فتجيبه، بأن زوجها يخرج كثيرًا، وأصبح غير مدرك لما حوله مشتت التفكير، ثم تخبره بأنه ذات مرة كان يبكي بشدة، فاحتضنها حينها قائلاً قد أموت في يوم ما، ثم وصاها بالاهتمام بنفسها و ابنتهما، خفف عنها (أحمد) ببعض الكلمات الرطبة ثم أعطاها بطاقة المقنع لتوصلها لزوجها، وقبل أن يغادر سألها عن عائلة (حسن)، فربما تعلم شيئاً، فهي وزوجة الضابط (حسن) كانتا على اتصال دائم، فأخبرته بأن (حسن) وزوجته قد انفصلا عن بعضهما، و أصبحت زوجة (حسن) تقيم في منزل أبيها، و(حسن) لا يعود لمنزله إلا فترات محدودة، وأعطته عنوان المنزل.

ذهب (أحمد) إلى المنزل المحدد بالعنوان، و قابل زوجة (حسن) السابقة، كانت في قمة الحزن والانهيار، فاقدة الأمل في عودة ابنها في نحيب عليه و على حال زوجها، حاول التحدث معها لكنها كانت رافضة للحديث، إلى أن قام والدها

بإقناعها، فبدأت كلامها بخلافاتها مع (حسن) من وقت عملية الاختطاف، دائماً ما يلومها ويتهمها بالتقصير وعدم المسؤولية، ثم قالت في حسرة:

- في يوم عاد إلى المنزل متأخراً ومعه حقيبة كبيرة، انتهزت فرصة عدم انتباهه ونظرت فيها لأجدها مخدرات، ووجدت على هاتفه رسالة كتب فيها مكان وميعاد تسليم تلك المخدرات، صدمت لما رأيت، وعندما واجهته بالحقيقة انهال علي بالضرب والسب والإهانة بأفظع الألفاظ قائلاً:

(من أين تظنين أننا نعيش أهو من مرتبي فقط يخطف ابني بسببك وتتدخلين في عملي الآن أنت حقا لا تستحقي الحياة التي وفرتها لكي يا قدرة)

- وقام بطردي من المنزل وبعد ذلك بمدة قصيرة انفصلنا، هو لا يعمل على استرجاع ابننا وأصبح حياته سوداء، وأعتقد أنه بدأ يتعاطى تلك المخدرات، فقد كانت عيناه سوداوتان ووجهه شاحب مسحوبة ألوانه، برادة التعابير، كما لو أنه يعاني من مرض ما.

كانت الكلمات تخرج من فمها ممزقة مبتلة بدموعها، وكل ما قدمه (أحمد) بضع كلمات قليلة قد تخفف عنها، لكن حالتها

كانت مزرية يصعب شفاءها بالكلمات، اختتم (أحمد) حديثه المطول قائلاً:

- حاولت الاتصال بالضباط الثلاثة أكثر من مرة، ولكن دون جدوى.

- الأمر معقد معهم،... دعك منهم الآن فلدينا الأهم منهم، فجميعهم رفضوا التعاون معنا، و اختاروا طريقهم الخاص، الذي يخفوا به جرائمهم و يستعيد منه أبناءهم، لذلك فليتحملوا نتيجة اختيارهم، وبعد انتهاء القضية و القبض على المقتنع، سأقوم بنفسي بمحاسبة كل منهم، و التحقيق بشكل كامل في الجرائم المنسوبة إليهم، أما الآن فلأسف سوف تتابع أنت التحري قليلاً بمفردك، فقد أصبحت الآن أجلس في فيلة (سعد إسماعيل) لحماية حفيده، ولا أستطيع التحرك من هناك في الفترة الحالية، كل ما أريده منك متابعة التحري عن (عصام)، بكل الطرق و الوسائل الممكنة، ابحث في منزله و مكان عمله، اسأل جيرانه و من بمنطقته، افعل المستحيل و وافني بالمعلومات.

باشر (أحمد) بسؤال جيران (عصام) عنه، لكن أغلبهم لا يعطونه إجابة مفيدة، يخبروه أنه قليل الحديث، غير اجتماعي، لا روح ودودة له، إلا جار واحد قال:

- أعلم قليلاً عنه، فهو رجل طيب ومساعد لا يبخل على أحد بالمساعدة، حياته تقليدية وروتينية جداً، يذهب إلى عملة ويعود ليجلس مع عائلته، و في بعض الأحيان يخرجون في الليل للترفيه كأبي عائلة، لكن في يوم سمعت صوت شجار مرتفع جداً من منزلهم، وفي اليوم التالي خرجت زوجته باكية ولم تعد أبداً، ومنذ ذلك اليوم أصبحت تصرفات (عصام) غريبة عن المألوف، يعود متأخراً ولا يهتم لأحد، دائم التلفت يغلق نوافذ منزله كاملة و بين الحين و الآخر يقف خلف الستائر يلقي بطرف عينه للخارج كأنه يراقب أحدهم، تشعر بأنه يخفي أمراً ما، حتى اختفى فجأة ولم يعد يراه أحد في المنطقة، العجيب في الأمر أنني لم أعد أستطيع رؤيته في المنزل لكني دائماً أرى سيارته تخرج و تأتي دائماً.

- أتعلم مكاناً آخر يذهب إليه أو منزلاً آخر له أو مكان عمله؟

- نعم إنه يعمل في شركة كبرى في صناعة الحديد، التابعة
لرجل الأعمال المعروف (سعد إسماعيل)، هذا كل ما
أعرفه.

- (سعد إسماعيل)؟!!

ظفر بها (أحمد) في تعجب، و قد بدأت الخيوط تتشابك قليلاً،
فشكر الرجل على المعلومات و أنبهه بتبليغه إذا حدث أمر
جديد، ثم انطلق مسرعاً إلى شركة (سعد) باشا.

ذهب (أحمد) إلى الشركة ليسأل عن (عصام)، فتكون اجابة
الاستقبال بأنه لم يأتي من مدة، بالتحديد من يوم الخلاف الكبير
الذي حدث بينه وبين صاحب الشركة، بتعجب سأل (أحمد):

- وما الذي حدث؟!!

- لا أحد يعلم سبب خلافهما، لقد كانا في المكتب وكان
صوتهم مرتفعاً جداً، وعندما خرج (عصام) قال مهدداً
(لسعد) باشا أنه سيندم وأنه سيذوق من نفس الكأس.

- و ما الذي حدث (لعصام) في هذه الفترة؟

- لا أحد يعلم بالتحديد ماذا حدث (لعصام)، لكن فجأة تغيرت تصرفاته وأسلوبه مع زملائه وأصبح انطوائياً وعصبياً حاد الطباع.

- ومنذ متى حدث كل هذا؟

- منذ أكثر من شهر؟

مجموعة من الأسئلة تدور بعشوائية برأس (أحمد)، تطرح نفسها دفعة واحدة، فهل (عصام) يحاول الانتقام من (سعد) لسبب ما؟... ما الذي حدث (لعصام) غيره وجعله عدوانياً؟... ما علاقة كل عمليات الخطف تلك بهما من الأساس؟... لماذا لم يبلغ (سعد) إلى الآن عن (عصام) و عن تهديده؟

سرد (أحمد) التفاصيل التي وصل إليها عبر الهاتف (لهاشم) و اختتم كلامه في حنقة:

- لا أعرف دوافع (عصام)، و ما علاقته بالقضايا السابقة، لكن أجزم بوجود سر يعلمه (سعد) جيداً.

- أتفق معك سأقوم بالتحقيق مع (سعد) و أوافيك بالجديد و أنت استمر في تحقيقك.

مكتب واسع بفيلة (سعد) العظيمة المبهرجة، يُسمع منه صوت
(سعد) الغاضب وهو يصيح في الهاتف لأحدهم:

- أخبرتك أنها مشكلتك وليست مشكلتي و أن كل ما بيننا
انتهى، فلا تعاود الاتصال بي مرة أخرى أيها الأحمق أتفهم.

ثم يغلق الهاتف بعنف وسط سب و سخط على صاحب
الاتصال، يخرج سيجاره الفاخر المستورد، و يدخله بشراهة،
دخل (هاشم) مكتبه، و جلس معه في نقاش مطول، يطلعه على
كل التفاصيل المتعلقة (بعصام)، كونه المشتبه به الأول في
القضية، ثم يوجه سؤاله المهم عن ما أردته (عصام)، و ما دار
بينهما في الشركة من نزاع، ليجيبه (سعد) ببرود و عدم اهتمام:

- لقد أراد مألًا وفيرًا لأنه في ضائقة مالية فرفضت، فبدأ
بتهديدي وبقول كلام عجيب بأني سأندم وهكذا، فقامت بطرده
من الشركة.

- هل كان عدائيا من قبل؟

- لا إنه شخص جيد ومجتهد في العمل.

- إذا ماذا يمكن أن يسبب تغيره هكذا؟

- لا أعلم ولا أهتم ولن يستطيع فعل شيء لي، و أيضاً أشك أنه المقنع حتى.

يلاحظ (هاشم) نظرات التحدي والثقة في عين (سعد)، فيسأله عن سبب شكه هذا، ليجيبه (سعد) من وسط دخان سيجاره:

- أنا أعلم (عصام) جيداً أكثر من نفسه، فهو ليس ذكياً ليصنع كل تلك الجلبة من خطف و تضليل و تحدي، إنه عفوي أبسط من ذلك لا يعمل عقله إلى بعد وقوع الحدث، و...

نفث (سعد) دخان سيجاره ثم ردف بثقة و تعالي:

- الكلب لا يعض اليد التي ترعاه.

كلمات إن صدق وقوعها ستعد صفة قاسية (هاشم)، لكن ربما (سعد) مخدوع طيلة هذا الوقت، و (عصام) يدبر و يكيد لتلك اللحظة منذ سنوات، فالمجرم المحترف هو الأكثر التزاماً، حتى تبتعد عنه الأعين.

في أحد الأركان البعيدة في قسم الشرطة و امام باب مميز وقف (هاشم) في هدوء و سكينه تتملكه يشوبها القليل من التوتر، طرق الباب عدت طرقات منتظمة، فأتاه الصوت من

خلف الباب يأذن له بالدخول، ليدخل مكتب اللواء (عزيز)،
قدم التحية الرسمية و بتقدير سأل عن سبب استدعائه، ليجيبه
اللواء بحزم:

- إلى ما وصلت في تحقيقاتك الآن يا حضرت الضابط.

- جميع الأدلة تشير إلى أن (عصام) هو المقنع المنتقم، ليس
لدينا علم بمكانه الحالي، لكننا نعمل بجهد للقبض عليه.

زفر اللواء في ضيق و قال:

- قضية المقنع التي أنت بصدها محط أنظار الوزير الآن،
و أتتنا تعليمات مباشرة منه، بعدم التهاون في تأمين حفيد
(سعد)، و باستخدام كل القوى و الوسائل الممكنة للقبض
على المقنع.

- أتفهم ذلك جيداً، و الإجراءات الأمنية تمت و على أعلى
مستوى.

ثم شرح (هاشم) الإجراءات الأمنية كافة بشكل مفصل للواء
الذي علق بعدها:

- (سعد إسماعيل) واحد من أكبر رجال الأعمال في البلد،
لا يمكن أن نغفل ولو ثانية واحدة في عملية التأمين هذه.

- سيتم القبض على المقتنع يا سيدي و لن يخطف حفيد (سعد)
أعدك بذلك.

- أنت واحد من أكفأ ضباطنا يا (هاشم) و أنا أعتمد عليك.

وصلت القضية إلى حارة مسدودة، لا معلومات جديدة، تأمين مستمر على مدار الساعة لفيلة (سعد)، و هدوء تام من ناحية المقتنع، لا اختطاف ولا فيديوهات ولا أي نشاط يُذكر له، لذلك ظل الجميع في حالة ترقب ليوم الأربعاء، اليوم الموعود الفرصة الذهبية للقبض على (عصام)، هذا إن صدق وأتى، فالمنزل مأمّن بشكل يصعب على الحشرة اختراقه، ولن يستطيع خطف الطفل مهما حدث.

حلّ يوم الأربعاء المشهود، الجميع متأهب على أتم الاستعداد لمجابهة أي هجوم مهما كان، الأعين متيقظة تراقب كل ثغرة في الفيلة، الجميع يتم تفتيشه و التأكد من هويته سواء كان داخل الفيلة أو خارجها، تفقد (هاشم) جميع الوحدات و تأكد من الحالة الأمنية، يتابع كل التفاصيل بدقة و حذر، محاولاً التنبؤ بما سيحاول (عصام) فعله لدخول الفيلة، فلا أمل لأحد في محاولة اختطاف الطفل، المنزل من الداخل والخارج مليء برجال الشرطة والحرس الخاص (بسعد)، الشوارع من أولها لأخرها

مدججة برجال الشرطة يتفقدون و يتحققون من هوية المارين بالشوارع المحيطة و أعينهم متيقظة لأقل حركة تحدث.

جلس الضابط (هاشم) مع (سعد إسماعيل) يتناقشان في العملية التأمينية وبعض الأمور المهمة، إلى أن راوده اتصال من أحد رجاله عبر اللاسلكي، يخبره أن الإعلامية (نورهان) تريد الدخول إلى الفيلة، تعجب (هاشم) و رفض دخولها بحسم دون جدال، لكن (سعد) تدخل بابتسامة و ثقة متناهية قائلاً:

- لقد طلبت مني مقابلة، لتعرض للناس مدى قوة عملية التأمين، وأن المقنع المنتقم سيفشل في خطف حفيدي و سيخسر التحدي.

(هاشم) في ضيق و حدة:

- لا وقت نضيعه مع هذه التفاهات نحن لا نعلم ما يدبره المقنع، قد يستغل أي شيء ضدنا و تحركاته غير متوقعة.

ينفث سعد دخان سيجاره بكثافة في الهواء، قائلاً ببرود:

- يجب أن تتحلى بالثقة و الثبات أكثر من ذلك، لن نستطيع المقنع خطف حفيدي وسط كل تلك الإجراءات، و توثيق ما يحدث سيثبت فشله أمام العامة، أنفهم.

- و أنا لن أقبل بالمخاطرة و تضييع الوقت مع تلك الإعلامية.

أطلق (سعد) دخان سيجاره بكثافة في وجه (هاشم) ثم أشار لأحد حراسه أمرًا:

- اذهب و أخبرهم أن يدخلوا (نورهان).

ذهب الحارس على الفور في حين ثار (هاشم) غضبًا يضرب الطاولة التي أمامه بكفه، قائلاً:

- أنا من يدير العملية الأمنية هنا وما أقوله سيسير على الجميع...

سعد بيروود يَأْشُرُ بِإصْبَعِهِ صوب (هاشم) قائلاً بنبرات تفوح منها رائحة التهديد:

- عندما أعطي أمرًا ينتهي الكلام من بعده، فلا مجال للنقاش معي أنفهم.

طفح كيل (هاشم) و صاح في غضب:

- إن تدخلت في عملي مرة أخرى، سأُسْحَبُ من عملية التأمين هذه بشكل نهائي.

غادر (هاشم) بغضب ليتابع عملية التأمين، في حين دخلت (نورهان)، الفيلة بالسلام والتحيات في طلة براقفة، ثم قام فريق الإعداد بتجهيز الأدوات لعمل المقابلة بينها وبين (سعد)، دون الاكتراث لتعليمات (هاشم)، و رغم إزعاج الإعلام لم تغفل عينه عن مراقبة ما حوله، ومتابعة عملية تأمين الفيلة ولو لحظة واحدة، سجلت (نورهان) حلقتها مع (سعد)، الذي كان يتفاخر بمدى قوة النظام الأمني، وأن المختطف لن يستطيع دخول الشارع حتى يصل إلى الفيلة، و أطلق التهديدات المتنوعة، حاولت (نورهان) أن تجري حوارًا مع (هاشم) لكنها لم تستطع الاقتراب منه، بل و صدها بعنف، فهي تعرقل عمل قوات الشرطة، تركته (نورهان) تجنبًا للمشاكل و الجدل، و انتهت من عملها وغادرت، ولم يحدث أي أمر مريب في اليوم بأكمله، ولا حتى محاولة منهورة لدخول الفيلة، لينتهي بذلك يوم كامل بدون حدوث أي أمر مثير للشك.

في جوف الليل كانت (نورهان) تجلس في كتبها تنظر لهاتفها بتلهف حتى رن هاتفها، فبتبتسم بحماس و تجيب:

- مرحبًا.

..... -

- لقد تم تأمين الفيلة جيدًا من أول الشارع الخاص بها، رجال الشرطة والحراسة الخاصة داخل وخارج الفيلة بكثافة شديدة، يحيط بالطفل نفسه أربعة رجال لا يفارقوه، وعلمت أن بملابسه جهاز تتبع لتتبع أثره أينما كان، كاميرات المراقبة في كل زاوية في الفيلة، يراقبون المكان بحرص وتركيز حاد لكنني انتبهت إلى أن الجزء الشرقي من الحديقة ليس به كاميرات مراقبة.

-

- ما الذي تخطط إليه؟

-

- لقد شوقتني لحفل عيد الميلاد حقًا.

-

- ما الأمر؟

-

فتضحك (نورهان) عاليًا قائلة:

- هذه لعبتي.

-

- حسنًا وأنا في انتظار مفاجأتك.

-

وتغلق الاتصال والابتسامة على وجهها.

مضت الأيام تدافعًا لا جديد بها، لم يتوصل (أحمد) إلى أي شيء جديد، و الضابط (هاشم) مشغول بحراسة و تأمين فيلة (سعد) و هو واثق بأن المقنع يدبر أمرًا ما، وسط تعجب للجميع بأن المقنع لم يقوم بوضع الفيديو الخاص به هذا الاسبوع كما هي العادة، لي طرح سؤال مهم نفسه بين اخوته من الاسئلة العديدة المطروحة في الساحة بلا أجوبة.

هل هُزم المقنع؟

لاحظ (هاشم) حركة غريبة في الفيلة من العاملين من الخدم، مما أصابه بالقلق، فسأل أحدهم عن تصرفاتهم المختلفة عن المعتاد، كما لو أنهم يحضرون لشيء ما، فتأتي الإجابة الصادمة، بأن يوم الأربعاء القادم هو عيد ميلاد (محمود) حفيد (سعد) باشا و الذي يقام كل عام بحضور عدد كبير من

الأصدقاء من رجال الأعمال و كبار المستثمرين و غيرهم،
من الأقارب و المعارف أيضاً.

انزعج (هاشم) وذهب إلى (سعد) يطالبه بإلغاء الحفلة، فنشب
بينهما خلاف ضاري، (فسعد) لديه ثقة عمياء بالنظام الأمني
المحكم، وأيضاً كيف لا يقيم احتفالاً كبيراً بعيد ميلاد حفيده
الوحيد، فصاح (هاشم):

- أنت هكذا تعطي الفرصة للمقنع لاختطاف حفيدك.

نقد صبر (سعد) من أسلوب (هاشم) و غضبه، وضع
سيجاره على المطفأة و اعتدل قائلاً بحدة:

- إذا قم بعملك، و أمن حفل عيد الميلاد جيداً أتفهم.

- أنا أقوم بعملك لكنك بتهورك و عدم مبالاةك تلك ستوفر
الفرصة الثمينة للمقنع لاختطاف حف...
صاح سعد بغضب:

- سأقوم بعيد الميلاد شئت أم أبيت فإما ان تقوم بعملك أو ان
ترحل و يأتي عوضاً عنك ضابط كفاء أتفهم.

- لا يحق لك أن...

يقاطعه (سعد) بإشارة من يده قائلاً بغضب:

- انتهى الكلام اتخذ قرارك و بلغني.

أخذ (سعد) سيجاره، يدخله بشراهة أمام شرفة مكتبه، دون أن يلقي بالأ (لهاشم)، الذي خرج من مكتب (سعد) كالجمرة المشتعلة، يعلم وبنقّة بأن (محمود) سيتعرض لمحاولة اختطاف في هذا اليوم، فيقرر الخضوع لخطرسة (سعد)، و العمل على تأمين الفيلة بيد من حديد، يتابع كل الإجراءات الأمنية بكل التفاصيل، إلى أن تم الانتهاء من كافة تجهيزات حفل عيد الميلاد والتجهيزات الأمنية له.

الفصل السابع

(الفخ)

اليوم الأربعاء عيد مولد (محمود) حفيد (سعد) باشا، و في هذا اليوم تحديداً منع (سعد) رجال الشرطة من التحقق من هوية الشخصيات القادمة لحفل عيد الميلاد، لأنهم كبار رجال الأعمال و المستثمرين، وقد يسبب ذلك ضيقاً لهم، بدأ المدعون بالحضور واحداً تلو الآخر، جميع رجال الأمن في مراقبة شاملة للمكان، و أربعة من رجال الحراسة الخاصة (لسعد) يراقبون (محمود)، ولكن هذه المرة من مسافة كبيرة، حتى يوفروا له مساحة للعب والاستمتاع بوقته، وجميع الحرس الخاص و(هاشم) يراقبون (محمود) من خلال جهاز التتبع الذي وضع بملابسه.

يلاحظ (هاشم) دخول رجلين بصناديق كبيرة جداً وثقيلة، يضعونها في جزء ما من الفيلة، والبدء بالتحضير لأمر ما،

فيسألها عما يفعلان ليجيباه بأنهما يقومان بتحضير مسرح صغير لعرض الساحر والمهرج، الذي يقومون به كل عام في عيد الميلاد، و أكد (سعد) كلامهم، (فحمود) يحب تلك العروض كثيرًا.

انزعج (هاشم) لعدم معرفته المسبقة بالأمر، و أبقى عينيه متيقظة لهم، دخلت سيدة متأقة و أنيقة في طلتها، تختطف الأنظار بثقتها و جمالها الساحر، كانت (نورهان) ومعها المصور الخاص بها، فيسألها (هاشم) في ضيق عن سبب وجودها، لتجيبه (نورهان) بأنها طلبت من (سعد) الحضور لتغطية حفل عيد الميلاد، و لتشيد بمجهودات رجال الشرطة الحازمة في توفير الحماية والأمن في ظل حفل عيد الميلاد الرائع هذا.

دخل بعض الرجال بصناديق معدنية صغيرة، يحقق (هاشم) معهم ليعلم بأن (سعد) طلبهم لصيانة إضاءة الحديقة من أجل عروض الليل المعدة، أتت سيارة كبيرة من الباب الخلفي للحديقة، ذهب (هاشم) ليتحقق منها وإذ هي محملة بالحلويات والأطعمة، التي ستقدم وقت الغداء وجاري تنظيم البوفيه داخل الفيلة.

هلاً الأطفال بحفاوة حاملينا الهدايا المتنوعة، استقبلهم (محمود) بسعادة غامرة، لم يجلسوا ثانية واحدة و انطلقوا بكل طاقتهم بالركض و اللعب في الحديقة وفي كل مكان، (سعد) وقف مع رجال الأعمال يتناقشون في أمورهم، و (نورهان) تتحدث هنا و تضحك هناك و تجري المقابلات في كل مكان.

أحداث كثيرة تحدث بدون علم مسبق (لهاشم) تصيبه بالغضب والاستياء، فعدم الاهتمام و الاستهتار التام في تأمين عيد الميلاد، ثغرة سيتمكن المقنع من خلالها بخطف (محمود). وقف (هاشم) في منتصف الحديقة وسط صخب مرتفع من الجميع، من حديث و لعب و ضحك، طويل لا ينتهي، عقلة يعمل بسرعة، لقد أصبح على ثقة بأن المقنع استطاع استغلال هذا الهرج و المرج و اندس بين الحضور دون انتباه أحد، وسط غياب التحقق من الحضور، شك (هاشم) بالجميع دون استبعاد لأحد، أين يمكن ان يكون المقنع؟! ... هل المهرجان و الساحر،... أم عمال الصيانة المنتشرين بشكل غير ملحوظ للحضور،... أو من يقومون بتنظيم البوفيه داخل الفيلة، أو ربما أحد الحضور المنتشرين بعشوائية، تذكر (هاشم) ضحكات المقنع المريرة تلك، ترددت في عقله مشتتة أفكاره، و كأن المقنع بين الحضور ينظر (لهاشم) ضاحكاً متحدياً.

قرر (هاشم) أنه سيراقب (محمود) عن بُعد، فهو لا يستطيع الاقتراب منه بناءً على طلب (سعد)، حتى يوفر المساحة (لمحمود) للعب والركض والاستمتاع بيومه، يركض (محمود) مع الأطفال هنا وهناك، لا يراهم (هاشم) بوضوح بسبب الازدحام، لكنه يلمح (محمود) من وقت لآخر من خلال ملابسه المميزة، تابع الأطفال اللعب بلا كلل، يدخلون الفيلة، و يتخاطفون الطعام من العاملين في لهو و مرح، في تلك اللحظة غاب محمود عن ناظري (هاشم) تمامًا، فاستخدم جهاز التتبع الخاص (بمحمود) لمعرفة تحركاته حتى خرج من الفيلة، واستمر اللعب والمرح باتجاه رجال الصيانة واللهو معهم قليلاً، مر أكثر من نصف اليوم، وفجأة أحد ينادي بأعلى صوته:

- فقرة الساحر ستبدأ.

ركض الأطفال ليشاهدوه بلهفة، ويستمتعون بألعاب الخفة والمرح مع المهرج، يتراصون بعشوائية فطرية أمام المسرح المُعد خصيصًا لهذه الفقرة، صعد الساحر على المسرح بمرح، بقبعته الكبيرة و الألوان التي تغطي وجهه، يمارس بعض ألعاب الخفة البسيطة و المذهلة بالنسبة للأطفال، ثم صعد معه المهرج بلبسه الفضفاض الواسع و شعره المستعار الملون، و وجهه المغطى بالألوان العديدة المبهجة، يقوم ببعض الحركات

البلهاء بكل رشاقة و خفة، لإضحاك الأطفال، و استمر العرض لمدة نصف ساعة إلى ان قال الساحر بحماس و بأعلى صوته:

- إنها الفقرة الأخيرة.

ويخرج صندوقًا كبيرًا له ألوان زاهية قائلاً:

- من يريد الذهاب إلى عالم السحر والمرح عبر صندوق الأحلام السحري؟

رفع الأطفال أيديهم شوقًا لهذا العالم السحري، النداءات تعلو أكثر وأكثر وأنا أنا أنا، ومن بينهم (محمود) الذي امتلأت عيناه برغبة شديدة لدخول الصندوق، يقلب الساحر أنظاره يسارًا و يمينًا ليختار سعيد الحظ الذي سيعبر إلى عالم الأحلام عبر صندوقه، و بعد النظر و التأمل اختار أحد الأطفال الجالسين، مما أحزن (محمود)، نظر الأطفال لسعيد الحظ هذا الذي دخل الصندوق بلهفة، فيقول لهم الساحر:

- هيا معي لنكرر تلك الكلمات السحرية.

و قال عدة كلمات غريبة ذات سجع موسيقي لطيف، ردها الأطفال من خلفه، ثم فتح الصندوق فلا يوجد به أحد، اندهش الأطفال و انبهروا بقدرات الساحر، فيخبرهم أن الطفل ذهب

إلى العالم السحري و هو سعيد الآن، و لكن لا يستطيع أن يظل طويلاً هناك، فيكرروا نفس الكلمات الغريبة ليعيدوه، ثم يفتح الصندوق مرة أخرى ليخرج الطفل مرتدياً قبعة كبيرة و معه حقيبة محملة بالحلوى بجميع أشكالها، و حقيبة أخرى بها ألعاب مختلفة، خرج الطفل و هو في قمة السعادة و الابتسامة لا تفارق وجهه، رأى الأطفال ذلك فزادت رغبتهم للذهاب إلى عالم المرح ذلك بشدة، و ما كان من الساحر إلا تحقيق رغبتهم قائلاً بحماس:

- من يريد الذهاب إلى عالم المرح؟

تلك الكلمات كانت كافية لانفجار الأطفال بالنداء أكثر و أعلى من المرة السابقة أنا أنا أنا، و نداء (محمود) كان عاليًا جدًا، فرغبته في دخول الصندوق شديدة، تجول الساحر بين الأطفال بأنظاره يمينًا و يسارًا، و بعد تشويق لمن سيدخل إلى الصندوق، يقع اختيار الساحر على (محمود)، الذي شعر بأن أحلام حياته ستتحقق و أنه سيصبح سعيدًا للأبد، مقررًا في خبايا نفسه أنه لن يعود من عالم المرح ذلك أبدًا، يتوجه إلى الصندوق و السعادة تغمره، الابتسامة لا تفارق وجهه، إلى أن سمع صوتًا غليظًا يصيح من الخلف محطماً لجميع أحلامه قائلاً:

- لا لن يدخل الصندوق.

نظر (محمود) للقائل بغضب فإذا به (هاشم)، الذي وقف بعيدًا يراقب بهدوء و حذر، ونتيجة لرفضه الشديد أعاد الساحر (محمود) وأخذ طفلًا آخر، فانفجر (محمود) بالصراخ على (هاشم) وإهانته بجنون، ثم اندفع صوب جده الواقف وسط كبار رجال الأعمال، يشتكي له بفضاظة و بعلو صوته، متناسيًا لللباقة و ما تعلمه عن الاحترام، فقد ضاعت تذكّره للذهاب لعالم السحر، مما جعل (سعد) يأمر (هاشم) بغضب مكبوح بأن يترك (محمود) يفعل ما يشاء وأن يبتعد عنه ولا يتدخل في شؤونه ولا يقترب منه حتى ينتهي اليوم، يصاب (هاشم) بغضب من الطفل الفظ الذي يعلم أنه قد يخطف ولا يهتم وجده الغير مبالي، الواثق في رجاله وأمنه.

عاد (محمود) لمسرح الساحر ليرى الطفل الثاني يخرج بقبعة كبيرة على رأسه، و معه حقيبة بها حلوى كثيرة و الحقيقية الأخرى بها ألعاب، بابتسامة لا تفارقه، شعر (محمود) بالحزن لأنه كان دوره و حقه في الذهاب إلى عالم المرح، لكن أمله في الذهاب تجدد عند سماع الساحر يقول:

- هذه آخر رحلة إلى عالم المرح فمن سيكون سعيد الحظ؟

يتهافت الأطفال أكثر و تلعو الصيحات أكثر أنا أنا أنا، و
(محمود) يلوح بكلتا يديه و يقفز في مكانه بلهفة يقول:

- دوري أنا إنه حقي أنا أنا أنا.

يسمعه الساحر فيقول له:

- أنت صاحب عيد الميلاد و يجب أن تحظى بتلك الرحلة.

تلك الكلمات كانت كلمات الأمل و السعادة (لمحمود)، توجه
إلى صندوق المرح في سعادة و فضول لمعرفة كيف هو عالم
المرح ذلك، دخل الصندوق، و قال الساحر تلك الكلمات
السحرية و كررها الأطفال وراءه، فتح الصندوق فلا يوجد أحد
به، في تلك اللحظة أخرج (هاشم) جهاز التتبع ليراقب تحركات
(محمود) فيجده كما هو عند الصندوق، لكن مخبأ أسفله في
المسرح نفسه، خدعة قديمة رغم ذلك يظل (هاشم) منتبهاً،
ينظر بحذر لجهاز التتبع و إلى الساحر و صندوقه، حتى بدأ
الساحر في قول تلك الكلمات و الأطفال يكررون وراءه، فتح
الصندوق أمام أعين (هاشم) المراقبة بتفحص من بعيد، يرى
خروج (محمود) بقبعة كبيرة و حقيبة الحلوى و حقيبة الألعاب،
و بذلك تكون انتهت فقرة الساحر مودعاً الأطفال و شاكرًا لهم
على المتابعة، و بعد ذلك بثواني معدودة يسمع الجميع النداء:

- وقت الطعام أيها الحضور فليتوجه الجميع إلى البوفيه.

ركض الأطفال للطعام وخلفهم جميع الحضور، مما أدى إلى الازدحام و الفوضى، غاب إثرها (محمود) عن ناظري (هاشم) لفترة، حتى بدأ الحضور بتناول الطعام وهدأ الازدحام قليلاً، بحث (هاشم) عن (محمود) حتى وجده جالساً خارج الفيلة في الحديقة وحيداً، فيُعد (هاشم) طبقاً من الطعام ويذهب إليه ليصالحه عما بدر منه أثناء فقرة الساحر، حتى لا يحزن في عيد ميلاده، ذهب إلى (محمود) الجالس على كرسي خشبي عريض، ناظرًا للأرض بتمعن، والقبعة الكبيرة تغطي كامل رأسه، جلس (هاشم) بجواره يخبره ألا يحزن، وأنه فعل ذلك خوفاً عليه، لكن (محمود) لا يجيبه ويظل ناظرًا للأرض فيقول له (هاشم):

- قلت لك لا تحزن، ثم لماذا لست مع الأطفال تأكل معهم!؟

ويعطيه طبق الطعام الذي أعده له، لكن (محمود) لا يجيبه، ثم ينفك بالبكاء فيتعجب (هاشم) قائلاً:

- لماذا تبكي أنا لم أقصد أن أجعلك حزينا، فعلت ذلك خوفاً عليك.

فيقول محمود بحسرة وسط دموعه:

- أريد والدي.

فهم (هاشم) إحساس (محمود) الدفين، فياله من أمر مؤلم أن يكون يوم عيد ميلادك ولا تجد والدك بجوارك، يهنئك ويحضر لك هديته الخاصة، فالوالد مهما حدث سيظل هو السند والقوة لأي أحد ووجوده يطمئن و يشعر بالراحة والأمان، فيقول (هاشم) مواسياً:

- جدك موجود وهو يحبك ووالدتك أيضاً، وجميعهم بجوارك، صدقتي هناك أطفال يموت كلا والديهم ولا يعتني بهم أحد، وتنتهي حياتهم في ظلام دامس.

يحتضن (محمود) مخففاً عنه حتى يهدأ قليلاً، ثم يرفع تلك القبعة الكبيرة عن رأسه ليرى وجهه و يمسح دموعه، لكن يظل (محمود) ناظراً للأرض بلا حراك يبكي، فيرفع (هاشم) رأسه الذي ظل طوال الحديث باتجاه الأرض لينصدم لما رأى، إنه ليس (محمود) بل طفل آخر يرتدي نفس ملابس (محمود) التي كان يميزه بها (هاشم)، و بسبب أن اليوم طويل و مزدحم لم يستطيع (هاشم) الاقتراب منه كثيراً، فكان يلاحظ وجوده من بعيد عن طريق ملابس المميّزة، نظر في عجلة إلى جهاز التتبع ليعرف موقع (محمود) الحالي، و لكن الجهاز دون جدوى ترجى منه، فقد أشار إلى أن موقع (محمود) أمام الفيلة

و بالتحديد بجوار (هاشم)، مما زاد اندهاشه و صدمته، ينظر إلى هذا الطفل الذي يبكي أمامه و يسأله بعضب متزلزل متناسياً أنه يخاطب طفلاً:

- أين (محمود)؟! ... من أنت؟! ... وكيف حدث هذا؟!!

ببكاء شديد صرخ الطفل:

- لقد أخذه الساحر.

وقف (هاشم) في فزع نظر إلى مسرح الساحر الخاوي بغضب، و ركض بأقصى سرعة لخارج الفيلة فيلاحظ ظلاً أسوداً يركض بالاتجاه الأيمن في الشارع المقابل له، يركض خلفه (هاشم) بأقصى سرعه إلى أن يصل إلى الشارع، و يرى المقنع بقناع السيدة الخاص به و ملابسه السوداء، يهيم لفتح باب سيارته، فينتبه لوجود (هاشم) من بعيد ينظر له بغضب، راكضاً باتجاهه بأقصى سرعته، يركب المقنع سيارته سريعاً وينطلق في لمح البصر، لكن (هاشم) في آخر لحظة يقفز ويتمسك بالسيارة من الخلف لمدة قصيرة لكن قوته تخذله و تفلت يده، ويسقط بسبب تسارع السيارة المبتعدة.

وقف (هاشم) سريعاً، تفحص المنطقة من حوله بعشوائية، فلمح دراجة نارية خاصة لتوصيل الطعام للمنازل، بدون أدنى تفكير

انطلق (هاشم) بها خلف سيارة المقنع محاولاً الإمساك به، انتبه المقنع أن هنالك من يتتبعه فيزيد من سرعته، يحاول (هاشم) الاقتراب من السيارة فيقوم المقنع بتضييق الطريق عليه، مما يجعل (هاشم) يقلل من سرعته و لكن يحافظ على المسافة بينه وبين المقنع، الذي كان يتحرك في اتجاهات كثيرة، و يناور بين السيارات بسرعة محاولاً الإطاحة (بهاشم)، و لكنه تفادها جميعاً، و بحذر شديد زاد (هاشم) سرعته حتى تسنح الفرصة له من الاقتراب كثيراً من سيارة المقنع، و أصبحت المسافة بينهم قريبة جداً، فقام (هاشم) بالقفز على السيارة و التثبيت بسقفها جيداً، يتحرك المقنع بسيارته حركات عشوائية ليسقط (هاشم) لكن دون جدوى، يتحرك (هاشم) بحذر شديد ليصل إلى باب السيارة، ويفتحة و بسرعة شديدة يقفز داخل السيارة، و يضرب المقنع لکمتين ثم يمسك رأسه و يصدماها بالمقود بقوة مما يؤدي إلى عدم قدرة المقنع على التحكم بالسيارة و ارتطامها بشجرة كبيرة.

لحظات من الارتطام العنيف، يخرج المقنع و(هاشم) من السيارة مترنحان في حالة يرثا لها، و لكن المقنع لن يستسلم بسهولة فقام بلكم (هاشم) وركض هارباً، استجمع (هاشم) قوته وركض خلف المقنع في منطقة سكنية هادئة، أخرج (هاشم) مسدسه منذراً بحزم:

- توقف وإلا أطلقت النار.

لا استجابة من المقتنع للإنذار، فأطلق (هاشم) النار محاولاً إصابة ساق المقتنع، ولكن بسبب الحادث يصعب عليه الإطلاق بدقة، فأول طلقتين لم يصيبا المقتنع، أما الطلقة الثالثة أصابت المقتنع، ولكن ليس في ساقه بل في الجزء الأيمن من ظهره، فيمسك المقتنع مكان الإصابة متألمًا، ويسقط على الأرض بلا حراك، هدأ (هاشم) قليلاً متمالكًا أنفاسه، يتحرك ببطء باتجاه المقتنع حتى وقف أمامه قائلاً:

- لقد انتهت ألعيبك.

يقترّب (هاشم) من القناع لينزعه، وعندما لامست أصابعه القناع قام المقتنع فجأة بإمساك يد (هاشم) ولكمه ودفعه بعيداً عنه، ووقف في لمحة وركض بصعوبة داخل إحدى العمارات السكنية.

في عناء اندفع (هاشم) بغضب خلفه داخل العمارة، حاملاً مسدسه بحذر، يفتش كل طابق كاملاً بالعمارة بهدوء وحذر، وبعد أن ينتهي من تفتيش الطابق يصعد الذي يليه، إلى أن سمع صوت باب السطح يفتح، فيركض مسرعاً خلف الصوت حتى وصل إلى السطح، ليجد سطحاً كبيراً واسعاً به جزء مخصص

لزراعة النباتات، وجزء مركب به الأطباق الهوائية وغرفة مخزن.

يغلق (هاشم) باب السطح جيّدًا، و ببطء و روية ممسكًا مسدسه بحذر يتفقد السطح، لا يرى أحدًا أمامه، و لكن سطح العمارة كبير، فيتوجه لتفتيش منطقة النباتات و أثناء بحثه يسمع صوتًا من الاتجاه الآخر للسطح فيعدو نحوه سريعًا، يتفحصه مصدر الصوت بهدوء، إذ فجأة يخرج المقنع من بين الأطباق الهوائية و يضرب يد (هاشم) الممسكة بالمسدس بأنبوب معدني، ليسقط منه المسدس بعيدًا و يتابع المقنع الضرب بالأنبوب المعدني على جسد (هاشم) بلا رحمة، لكن تمكن (هاشم) من إمساك الأنبوب منه ولكمه ليسقط منه الأنبوب المعدني، يتوقف كلاهما للحظة ليستجمعا قواهما، ثم يتبادلان اللكمات و الركلات بعنف، يحاول كل منهما تحطيم الآخر و طرحه أرضًا بلا حراك، دارت بينهما معركة دامية في أرجاء السطح، إلى أن تمكن المقنع من دفع (هاشم) بعيدًا، و رميه بوعاء فخاري للزرع، ثم التقط الأنبوب المعدني مجددًا و قام بضرب (هاشم) ضربتين قويتين أفقدته وعيه.

هدأ المقنع مطمئنًا متمالكًا أنفاسه، عندما رأى (هاشم) على الأرض بلا حراك، و بخطوات مترنحة منهكة يتوجه المقنع لباب السطح للهرب بعيدًا و هو بالكاد يقوى على المشي إلى

أن وصل إلى باب السطح و فتحه ببطء، و هو يتنفس الصعداء مستعداً للمغادرة، و عندما خطى أول خطوة للنزول من العمارة سمع صوت إطلاق نار، و في أقل من ثانية من سماع الصوت شعر بألم فظيع في ساقه، و لم تعد تقوى على حمله، ليسقط على السلالم مصطدماً بالأرض بقوة متدحرجاً لنهاية السلالم فاقداً الوعي، غير قادر على الحراك نتيجة إصابة ساقه بطلقة من مسدس (هاشم)، الذي استعاد وعيه سريعاً و أخذ مسدسه و أطلق على ساق المقنع.

تحرك (هاشم) و هو يترنح غير قادر على المشي بشكل سليم حتى وصل إلى المقنع الملقى على الأرض ينزف الدماء من ساقه، نظر له (هاشم) و هو يعلم من تحت هذا القناع إنه (عصام)، فيمد (هاشم) يده ببطء وينزع ذلك القناع البغيض ليتفاجأ بأنه ليس (عصام)، وإنما شخص آخر لم يره (هاشم) من قبل.

فوضه عارمة في فيلة رجل الأعمال الكبير (سعد إسماعيل)، ففي يوم احتفاله بعيد مولد حفيده الوحيد اختطف، تحول اليوم من السعادة و المرح إلى الحزن و الأسى على الجميع، هاج (سعد) كعاصفة هوجاء، صاح بالسباب و اللعان على المقنع و

على الجميع أمر رجاله و رجال الشرطة بفحص كل منطقة حولهم و تفتيش المنازل و الفيلات المجاورة، و تتبع جميع كاميرات المراقبة المحيطة بهم، أهان الجميع دون استثناء، أجرى مكالمات عديدة مع شخصيات ذات مناصب كبيرة و نفوذ واسعة، وصل لذروة غضبه، معمياً عن أي أمر، هدفه الوحيد استعادة حفيده ولو على جثة الجميع.

- وسط احتفال كبير حضره عدد كبير من الناس من بينهم أكبر رجال الأعمال المهمين، استطاع المقنع النجاح في تحديه، و اختطاف (محمود) حفيد رجل الأعمال الكبير (سعد إسماعيل) دون أن يلاحظه أحد، و لم يستطع رجال الشرطة إيقافه رغم حراساتهم المكثفة و الحالة الأمنية القوية... وهكذا يثبت المقنع أنه لا رادع له ولن يوقفه أحد، هل إخفاق الشرطة الدائم في الإمساك به يثبت فشل المنظومة الأمنية؟... و أيضاً ما يفعله المقنع يجعلنا نسأل إلى أي درجة وصل الفساد في منظومة الشرطة لتُخرج لنا شخصاً كالمقنع هكذا؟... و ماذا عنا نحن؟... إذا كان من يحمينا لا يقوى حماية نفسه فماذا سيكون حالنا؟... أسئلة كثيرة و أكثر سنناقشها معكم الليلة في ما وراء السراب.

تلك كانت مقدمة (نورهان) في حلقتها الأسبوعية، و التي كانت تدور أحداثها عن كيف انتصر المقنع في تحديه، و كيف لم يستطع كل من رجال الشرطة و الحرس الخاص (بسعد) من حماية (محمود)، و عرضت مشاهد من حفل عيد الميلاد و كيف كانت العملية الأمنية محكمة، و مشاهد من حالة الفوضة التي حدثت بعد اختطاف الحفيد و تتابع (نورهان) حلقتها تهاجم الشرطة و تتهمهم بالتقاعس و سوء الإدارة و غيرها من الأمور، ثم اختتمت بقولها:

- ساد الظالم بظلمه بلا حدود، لا رقيب ولا محاسب، غفلت الأعين و سُدت الأذان، و أصبح الضمير مستتراً تقديره ليس شأني، فاحت رائحة جثث المظلومين المتكدسة أكوامًا فوق بعضها، فهم للظالم أدوات لا تستحق الحياة، و من هنا ظهر ذلك الرجل في ملابسه السوداء و بقناع السيدة الغامضة، بين يده ريشة بيضاء طاهرة، يسعى للانتقام من كل ظالم متغطرس جبار، سار عكس التيار مواجهًا الجميع، سلاحه الذكاء و الخفة، لا يهمله قانون أو سلطان، هدفه واحد لا يقوى على إيقافه أحد، فإلى ما ستؤول إليه الأمور، كانت معكم (نورهان حمزة) من ما وراء السراب أراكم الحلقة المقبلة، دتمم بخير.

غرفة داكنة الألوان خالية من الأثاث يتوسطها طاولة و كرسيان متقابلان، جلس على أحدهما المقنع المقبوض عليه محاصر بأربع جدران صماء، يتوسط أحد هذه الجدران مرآة كبيرة تسمح للمحققين برؤيته، وقف خارج الغرفة بالقرب من بابها (هاشم)، بعد أن تلقى الرعاية الطبية الكافية، وقبل أن يدخل غرفة التحقيق يوقفه (أحمد) ليعطيه ملف المقنع، قائلاً:

- اسمه (بهجت) متزوج ولديه طفلين، لديه شركة مقاولات خاصة به، ليس له سابقة إجرامية، رجل ملتزم لا غبار عليه، وعندما قبضت عليه كان مرتدياً سترة واقية من الرصاص، ولا يحمل أي أسلحة.

دخل له (هاشم) بهدوء ينفرس أدق التفاصيل به، فيرى رجلاً مرتبكاً، الذعر في عينيه، ينظر بخوف شديد لما حوله، يسترسل في الاعتذارات عما بدر منه قائلاً بخوف:

- كان يجب أن أفعل ذلك، لقد تم إرغامي على فعل هذا.

- ماذا تقصد بيجب؟... تحتطف وتهدد وتقوم بأعمال شنيعة، وتقول إنه يجب أن تفعل هذا وأنتك مرغم على ذلك.

بقلق وارتباك و صوت مضطرب:

- أقسم لك يا حضرة الضابط لا أعلم شيئاً، فأنا ضحية أخرى من ضحايا المقنع.

بتهديد وعينه مليئة بالوعيد صاح (هاشم) مؤشراً بسبابته:

- أنا لا أحب الكذب،... تكلم ولكن إن شعرت بكذبك ستكون العواقب وخيمة.

انتفض (بهجت) من شدة غضب (هاشم) يهز رأسه و يقول بكلمات متخبطة ترتعد ذعراً:

- أقسم لك أنني لن أكذب، لقد بدأ الأمر عندما انتهت الحلقة الخاصة ببرنامج ما وراء السراب الذي ظهرت أنت بها، و قام المقنع بإعلان اختطاف حفيد رجل الأعمال (سعد إسماعيل)، و في اليوم التالي كنت عائداً من النادي الرياضي أنا و عائلتي، و فور وصولنا للمنزل و بمجرد إغلاقي لباب منزلي و إضاءة الأنوار، وجدت ثلاثة أشخاص مسلحين مرتدين تلك الملابس السوداء و قناع تلك السيدة الغريب، علمت أنه المقنع من أول نظرة، قال لي أنه سيختطف حفيد (سعد إسماعيل)، و أنه سيحتاج إلى طعام ما، و أنا سأكون هذا الطعام، ثم أخبرني بدوري و هو ببساطة أن أقف بجوار الفيلة مستعداً بسيارتي، و عندما يراني رجال الشرطة و يركضوا خلفي، أركض أنا مبتعداً لألهيهم و أوفر الوقت له

ليهرب بعيدًا من لجان الشرطة المحيطة بالمنطقة، رفضت في بادئ الأمر لكنه هددني أنا و أسرتي بالسلاح فوافقت رغماً عني، أعطاني ملابساً و قناعاً مثله و هاتفًا ليحدثني منه، ثم أعطاني سترة ضد الرصاص لتحميني، و عندما هم للمغادرة أخذ ابني معه، حاولت اعتراضه لكن أسلحتهم كانت في وجهي ووجه عائلتي، حينها قال أحدهم لي:

"لا تقلق نحتاج أمانة لنضمن أنك ستقوم بعملك، أنني ما طلب منك و سيعود ابنك، و إذا لم تفعل فلن يعود ابنك أبدًا، أما إذا فكرت في إخبار رجال الشرطة فاعلم جيدًا أنهم أنفسهم لم يستطيعوا استرجاع أولادهم، و تأكد أنك إذا أخبرتهم سنعيد ابنك و لكن قطعًا صغيرةً، فأنصحك بالألا تلعب معنا تلك اللعبة".

تساقطت دموع (بهجت) متلعثمًا رادفًا:

- غادروا أمامي و في يدهم ابني، الذي نظر إلي و إلى والدته يصرخ و يبكي مناديًا يستنجد بنا، أمه تصرخ و هي ترى ابنها يختطف أمامها، تترجاني أن أفعل شيئًا، و أنا واقف عاجز بلا حراك في اندهاش مما أرى، جسدي يرتجف خوفًا و الدموع تنهمر من عيني، متمنيًا أن أكون في حلم، لكن نظرات ابني وهو يستنجدني بصراخه، و

صيححات زوجتي وهي تجثو متوسلة المقنع بكل ذل لتترك ابنها أو أن يستبدله بها، كلها كانت حقيقية فمجة أمام عيني، لم يشغل عقلي و قلبي سوا تنفيذ ما طلبه المقنع و انقاذ ابني مهما كلف الثمن.

بعد عدة أيام اتصل المقنع بي و أخبرني بوقت تنفيذ العملية و أين سأقف، و أخبرني بكل التفاصيل، و فعلت ما طلب مني ووقفت حيث طلب، و كان المقنع في الجهة الأخرى من الشارع أمام الفيلة في سيارته، و عندما رأيتك نظرت إلى سيارة المقنع فأشار باتجاهك، فعلمت أنها الإشارة لأبدأ بما هو مطلوب مني، و تحركت في شارع آخر حتى استدرجتك بعيداً عنه، ووفرت له الفرصة للهرب بعيداً، و أقسم لك أن هذه هي الحقيقة، و كل ما أريده هو ابني.

نظر له (هاشم) بتمعن لا يتحدث، يفكر فيما قاله، ثم خرج وغاب برهة من الوقت، و عاد إليه ومعه الطفل الذي تم استبداله (بمحمود) في حفلة عيد الميلاد، وبمجرد دخول (هاشم) على (بهجت) وفي يده الطفل، وقف (بهجت) وعينيه مليئة بالدموع، ركض بلهفة على الطفل يحتضنه بقوة، وبيادله الطفل بالحصن بقوة والبكاء بشدة، تركهما (هاشم) في تلك اللحظة الحميمة قليلاً ووقف خارج غرفة التحقيق فسأله (أحمد):

- إلى ما توصلت؟

- يبدو أن (بهجت) ضحية من ضحايا المقنع، خُطف ابنه ليستبدله (بمحمود)، واستخدم (بهجت) لتوفير وقت الهروب له والفرار بعيدًا دون ملاحظة منا أو تتبع له.

- لكن لماذا هذا الرجل بالتحديد؟! ... سجله نظيف خاوي من أي أعمال منافية للقانون، و المقنع يختطف دائمًا بسبب؟

- أعتقد أن المقنع أراد أداة لتضليلنا ليس أكثر، شخص يلهينا وطفل يكسبه الوقت.

- لا أتفق معك فالمقنع لا يؤذي سوا المذنبين، ربما فعل ذلك الرجل شيئًا سيئًا لا نعلمه.

نظر له (هاشم) بامتعاض لا يجاربه الحديث و يستطرق بسؤاله:

- هل حققت في أمر الساحر ومساعدته؟

- أجل، الساحر الحقيقي ومساعدته كانا مبروطين في المكتب الخاص بهما، وعندما حققت معهما أجاباني أن المقنع جاء وهددهما بالسلاح وقام بربطهما وأخذ جميع أدواتهما.

- إن ما أراه الآن يجعلني أفكر هل يمكن أن يكون المقتنع قام باختطاف أطفال لأناس آخرين لجعلهم يعملون تحت امرته رغمًا عنهم، وقد أثبت للجميع أننا لا نستطيع مواجهته، فسيخاف الناس منه وينفذون ما يطلبه، حتى يعيد أولادهم ولن يقوموا بإبلاغ الشرطة.

ضيق يتملك (هاشم) فيزفر في غيظ ثم يدخل غرفة التحقيقات مقاطعًا لحظة التقاء الأب وابنه قائلاً لهما:

- عندي بعض الأسئلة تحتاج إلى أجوبة.

نظر إلى الطفل يسأله عن اسمه ليجيبه:

- (ياسر).

- أريدك أن تتذكر ما حدث معك جيدًا من اليوم الذي اختطفك فيه المقتنع، إلى الآن وترويه بكل تفاصيله.

- لقد أخذني في ذلك اليوم إلى فيلة كبيرة جدًا و جميلة، أدخلني إلى غرفة بها ولدان و بنتان...

قاطععه (هاشم) بدهشة:

- هل أنت متأكد من أنهما ولدان و بنتان؟!!

- أجل متأكد تمامًا، كنا معًا في غرفة كبيرة و جميلة، بها ألعاب و تلفاز و جزء خاص للنوم و حمام، و دائما كان يدخل لنا الطعام الشهي و الحلوى اللذيذة، و كل يوم كنا نتحدث مع أحد أفراد العائلة، و كانوا ثلاثة أشخاص لم نراهم أبداً، لكننا نسمع أصواتهم عبر سماعات كبيرة، كانوا يحدثوننا عن أحلامنا و رغباتنا و كيفية تحقيقها، و احترام الغير و عدم السكوت على الظلم و أمور كثيرة، و كانوا دائما يقولون أننا في اختبار، و أن سبب وجودنا هو أخطاء ارتكبتها أهلنا.

- هل تعلم أسماءهم؟

- أجل (نور) و (صلاح) و (حازم)، هؤلاء من كانوا يحدثوننا، و في يوم دخل المقنع علينا و أخذني معه في سيارته إلى مكان ما لا أعلمه، ثم وضعني في صندوق كبير جدًا و أغلق علي، كنت أراقب من ثقب صغير لم أرى الكثير، لكنني رأيت رجلين آخرين يرتديان ملابس و أفئعة المهرجين، و قد اختبأ كل منهما بصندوق، ثم تم وضعنا في سيارة أخرى و ذهبنا إلى فيلة ما، و نقلنا إلى داخل الفيلة بالقرب من مسرح ما، و تم إخراجي من الصندوق و خرج الرجلين الآخرين من الصندوقين، و أخذاني لنختبئ تحت المسرح، و بقينا جالسينا أسفل المسرح لمدة طويلة، حتى

بدأت أسمع أصواتًا كثيرة تعلو من فوقِي، و فجأة قام
المهرجان بتخبئتي، حينها نزل من أعلى المسرح ولد ما،
جلسا يلعبان معه و يلهوان بمرح ثم أعطياه قبة و حقيبة
حلوى و أخرى لعب و أعاده إلى المسرح، و بعده ببضع
دقائق، نزل طفل آخر، فعلا معه كما فعلا مع السابق ثم
أعاده، بضع دقائق أخرى و نزل الطفل الثالث، و على
عكس الطفلين السابقين، قاما بوضع منديل على وجهه
لثواني، فنام الطفل، فقاما سريعًا بتبديل ملابسهما بملابسه، و
أعطيانني القبة و حقيبة الحلوى و اللعب، و أخبروني أنني
إذا أردت رؤية والداي فيجب أن أبتعد عن الناس، و أضع
رأسي في الأرض ولا أحدث أحدًا، فعلت ما طلب مني حتى
جئت حضرتك، و اكتشفت خدعتهم و هذا كل ما عرفه.

نظر (هاشم) إلى (بهجت) سائلًا:

- قلت إن المقنع أعطاك هاتفاً أين هو؟

- لقد طلب مني في آخر مكالمة أن أتخلص منه، فقامت برميهِ
في إحدى حاويات القمامة.

استاء (هاشم) وضرب الطاولة بقدميه و غادر بخيبة أمل كبيرة،
و فور خروجه من غرفة التحقيقات يأتيه أحد يخبره أن اللواء

(عزيز) يريد مقابلته في الحال، يمتعض وجه (هاشم) غير مستبشر بما سيحدث.

قرع (هاشم) باب اللواء فأذن له بالدخول، فدخل (هاشم) بوجه بارد يخفي ما يحمله من ضيق و غضب، بادر اللواء بنبرة حانقة:

- إلى ماذا توصلت؟

- من قبضنا عليه يدعى (بهجت) وهو ضحية أخرى من ضحايا المقنع، اختطف ابنه و أجبر على فعل ما فعل.

ثم استرسل (هاشم) في عرض كل التفاصيل و ما توصل إليه، منهياً كلامه بجملة:

- (بهجت) ليس سوا أداة، استخدمها المقنع لتنفيذ مخططه،

و...

يضرب اللواء (عزيز) مكتبه بغضب بكلى كفيه و يصيح:

- ماذا تقصد لم نصل للمقنع و لم نقبض حتى على معاونٍ له؟!!

بصوت منكسر ضعيف أجابه (هاشم) بالنفي، ليتأجج اللواء
أكثر و يصيح بحدة أكبر:

- هذه القضية أصبحت قضية رأي عام خطيرة، الإعلام
يتصيد لنا الخطأ، و وسائل التواصل الاجتماعي تلقي اللوم
و الفشل بالكامل علينا بل و يناصر بعضهم فكر المقنع،
الجميع تقريباً يتابعون قضية المقنع لحظة بلحظة،...

يزفر اللواء (عزيز) مرهقاً من انفعاله و يردف بحدة أقل:

- منذ قليل حدثني نائب الوزير، أخبرني بأن الوزير بنفسه
يتابع تلك القضية، و هو غير راضي عن ما توصلنا إليه، و
أظن أنك لا ترغب في سماع ما سمعته انا منه، الوزير يريد
حل القضية بأسرع وقت، فقد أصبحت محل أنظار الإعلام
و على لسان الجميع، نهيك عن اتهاماتنا بالتقصير و
التخاذل، و عدم حسم الأمر بجدية.

بضيق قال (هاشم):

- الأمر ليس سهلاً، ذلك المقنع سريع لا يترك خلفه أثر
يصعب العثور عليه، يستغل الجميع لاتخاذ خطواته، و نحن
نجاهد بكل قوتنا، فماذا عسانا نفعل؟

صمت اللواء لبرهة في تفكير ثم قال:

- احبس (بهجت) بتهمة مساعدة المقنع و التعاون معه في خطف حفيد (سعد).

- لكن هذه ليس حقيقي، إن (بهجت) أداة بيد المقن...

قاطعه اللواء بغضب:

- يجب أن نري الجميع أننا نعمل على قدم و ساق في هذه القضية، و أن تحقيقاتنا أثمرت و قبضنا على أحد معاوني المقنع، و انشر خبر القبض عليه في وسائل الإعلام جميعها.

- لكن...

- لا يوجد لكن، نفذ ما أمرك به، يجب أن نثبت جهودنا، و نكسب ثقة الجميع مرة أخرى.

بحنقة أجابه (هاشم):

- أمرك.

الفصل الثامن

(المفاجأة الكبرى)

السعادة تغمر (نورهان) تبتسم و تتراقص هنا و هناك، تغني أجمل الأغاني ببهجة، فقد أصبح برنامجها البرنامج الأول والأكثر مشاهدة على التلفاز، و تصدرت المرتبة الأولى على الإنترنت كأكثر الفيديوهات مشاهدة، وانهالت عليها عروض للعمل في قنوات أخرى بمبالغ أضعاف ما كانت تحلم به، وازدادت الإعلانات وازدادت شهرتها أكثر من السابق، و ارتقى نجمها عاليًا في السماء برآقًا، وأثناء تأملها في نجاحها وخطواتها القادمة، تسمع رنين هاتفها فتتظر من المتصل، لتبتسم وتجيب وهي تضحك:

- لقد اختطفتم الطفل بطريقة ذكية وجعلت الجميع يبدون كالمغفلين.

-

- ما الخطوة القادمة.

-

- حقًا وما هي المفاجأة؟!!

-

- وهل سيوافق بعد ما حدث في آخر مقابلة؟

-

تتكلم (نور هان) بسعادة و حماس:

- هل حقًا ستكشف سرًا على الهواء أمام الناس؟

-

- لا.

-

- أووه كم هذا مشوق، حسنًا سأقوم بعمل الدعاية لتلك الحلقة وسأحمس الجمهور لها.

-

- لا تفلق سأفعل كل ما تريد.

وتغلق الاتصال وهي غارقة في أحلام من الذهب والفضة،
فبعد تلك الحلقة ستكون أشهر مذيعة في عصرها.

بين المستندات و الملفات غرق (هاشم) في البحث بين القضايا
السابقة و الحالية محاولاً العثور على رابط أو خيط رفيع يدلّه
على المقنع، دخل (أحمد) المكتب، لكن (هاشم) لا يعره اهتماماً
و مسترسلاً في أسئلة كثيرة بصوت مرتفع مسموع:

- لماذا يختطف المقنع حفيد (سعد) وهو ليس أحد أفراد
الشرطة؟... لماذا لم يتم بوضع فيديو على الإنترنت هذا
الأسبوع كالسابق؟... هل الخاطف قام بخطف أطفال آخرين
ليتحكم في عائلاتهم لعل ما يريد كما حدث مع (بهجت)؟...
لقد قال (ياسر) بأنه كان مع ولدين وبنيتين آخرين، أي أربعة
أطفال، والذين تم خطفهم ثلاثة فقط، ابن (حسن)، و ابنة
(مسعود)، و ابنة (أشرف)،... فمن الولد الرابع؟!

أسئلة كثيرة لا يوجد لها جواب، زفر (أحمد) في يأس ثم سأل:

- ما الإجراءات التي ستتخذ مع (بهجت)؟

لا يجبه (هاشم) بل لا يرفع أنظاره من المستندات التي أمامه،
تعجب (أحمد) فكرر سؤاله، لينظر له (هاشم) في ضيق قائلاً:

- سيتم أسره بتهمة التعاون مع المقتنع، و سيعرض على
المحكمة قريباً، ليتلقى جزاءه.

صدمة اعتلت وجه (أحمد) ولثواني احتاجها ليستوعب ما قيل،
ثم انفك قائلاً بحدة:

- كيف حدث هذا، إنه ضحية مثله مثل البقية، اختطف ابنه
لتنفيذ متطلبات المقتنع، ليس له أي سابقة إجرامية، و جميع
الأدلة تثبت أنه بريء، فلماذا سيقبض...

يقاطعه (هاشم) يضيق:

- أوامر غُليا.

- أوامر ماذا؟!... منذ متى تأتينا أوامر هكذا؟!... و لماذا
الآن؟!... و...

يقاطعه (هاشم) بصبر مستنزف:

- الإعلام أعينه علينا، أصبحنا محط استخفاف المجتمع، و الجميع الآن يروننا مقصرين مهزومين، لذلك نحتاج أن نثبت مجهوداتنا بالفعل، فسنقدم (بهجت) على أنه معاون المقنع و من ساعد على خطف حفيد (سعد).

انتفضت الأوردة بوجه (أحمد) قائلاً بغلظة:

- أتؤمن حقاً أن (بهجت) مذنب؟! ... أتصدق ما تقوله حتى؟!!

يجبه (هاشم) باقتضاب و هو يشيخ بظره بعيداً:

- و من يدري، المقنع ماكر شديد الذكاء، ربما هذه إحدى أأعيبه.

بحزن و يؤس قال (أحمد):

- أنتم هكذا تثبتون أن المقنع على صواب بما يفعل، و أن عدالته هي ال...!

لم يقوى الصبر على كبح (هاشم) أكثر من ذلك لينفجر بغضبه
عاليًا:

- أخبرتك ألا تتخدع بكلماته و أننا نسعى للعدالة عبر القوانين و النظام، فهذه ليست غاية، لذلك علينا أن...

انفجر (أحمد) بغضبه هو الآخر يصيح بمواجهة:

- عن أي عدالة نتحدث، نحبس أحدًا ظلمًا حتى نحافظ على ماء وجهنا فقط، تذكر جيدًا أن سبب معاناة الجميع هو الظلم،... نحن لا نختلف هكذا عن (حسن) أو (مسعود) أو (أشرف)...

- (أحمد)، لا تتذرع بكلمات ذلك المقنع، مهمتنا الحفاظ على الأمان مهما كلف الأمر، حتى لو تطلب تضحية بسيطة...
- هيه... تضحية بسيطة أجل.

قالها (أحمد) بسخرية و استخفاف ثم ردف بعدها:

- (صلاح) و (نور) و (حازم) كانوا أيضًا تضحية بسيطة لينعم (حسن) و (مسعود) و (أشرف) بالرخاء.

يدخل فجأة أحد رفاقهم يقول في عجلة:

- أسف على دخولي هكذا، قرعت الباب عدت مرات و لم يجب أحد، لكن الأمر مهم، افتحوا التلفاز الآن.

توقف جدالهما في تعجب، فتح (هاشم) التلفاز، ليشاهد إعلان برنامج (نور هان) لحلقها الخاصة القادمة، وأنها ستفجر مفاجأة

كبيرة بخصوص قضية المقنع المنتقم، وسيكون ضيف الحلقة الضابط المسؤول عن القضية الضابط (هاشم)، نظر (أحمد) (لهاشم) بدهشة بعد هذا الإعلان، فإذا (بهاشم) يقوم بالاتصال (بنور هان) و عينيه مشتعلة غضبًا، لتجيبه بكل هدوء:

- أعتقد أنك رأيت الإعلان الدعائي للحلقة القادمة.

بغضب شديد يصيح (هاشم):

- كيف تفعلين ذلك بدون اذني، سأقبض عليك، و سأمنع برنامجي هذا مهما كلف الثمن، و سأجعلك عبرة لمن يعتبر.

- اهدأ لقد حدثني المقنع وطلب أن أقوم بعمل تلك الحلقة في نفس الإستوديو السابق، وبوجود الجمهور وبحضورك كالمرّة السابقة تمامًا، وسيكون هنالك مفاجأة كبيرة سيقوم المقنع بإعلانها على الهواء بخصوص عمليات الاختطاف، هذه فرصة سنقربنا خطوات عدة للقبض عليه.

- أجل سيعلن للجميع كيف أن رجال الشرطة لا يجيدون عملهم، وكيف أنه نجح في اختطاف حفيد (سعد إسماعيل)، ويقوم بإحراجي أمام الجميع، ويجعل الجمهور يرتدي قناعه ليجلس أمامي و لا أستطيع القبض عليه، اسمعي جيدًا يا

(نورهان) لن أظهر معك في هذه الحلقة مهما حدث، حتى وإن قام المقتنع باختطاف طفل آخر، و إن أذعتي الحلقة سأقبض عليك و لن يمر الأمر على خير أبدًا.

- لكن يا حضرت الضابط لا بد من...

أغلق (هاشم) الاتصال منهيًا الحوار نهائيًا، ثم تحدث مع (أحمد) من غيظه و شدة غضبه، عن تلك الإعلامية و غرورها، يسب فيها و هو يقسم على أنه لن يحضر تلك الحلقة نهائيًا.

فجأة حركات غريبة و أصوات عالية خارج المكتب، خرج على إثرها الاثنان ليتفقدوا الأمر، فإذا به الضابط (أشرف) قام بالاعتراف أنه هو من أخبر العصابة بمكان سكن الضابط (حازم)، و الآن هو قبض على زعيم تلك العصابة، و سلم نفسه رفقتهم للمحاسبة، على ما اقترفه من أخطاء، سأله (هاشم) بتعجب:

- لماذا كل هذا الصمت؟... لماذا انتظرت أن تختطف ابنتك؟...
لماذا كنت سببًا في موت رجل عظيم و تحطيم أسرته؟

يجيبه (أشرف) بندم و حزن:

- إنه الضعف و الخوف، جميعنا نمتلك الشجاعة لنرتكب الأخطاء لكننا لا نملك الشجاعة لتحمل نتائجها، كنت أعمل مع العصابة أقوم بتسهيل عمليات التهريب الخاصة بهم و بالتستر عليهم، و عندما سألوني عن منزل (حازم) الذي سبب لهم خسائر فادحة، لم أخبرهم بأي شيء في بادئ الأمر، و لكنهم هددوني و وعدوني بالألأ يؤذوه، و إنما سيحذروه فقط، كنت غيباً حين صدقتهم، وحدث ما حدث... أقسم لك أنني لم أتحمل كوني السبب في ذلك، عندما أتذكر بكاء ابنته و صراخها، و نحيب زوجته و ووالدته، أشعر بالألم في قلبي، عذاب مستمر لم يتوقف قط، لم يتركني ضميري لوهلة في سلم، دائماً ما كان يجلدني و يحرقني بذنب الماضي العظيم، أردت بشده أن أترف بما اقترفت، لكنني كنت جبناً جداً، فاخترت الاختباء داخل قوقعة الصمت دون حراك إلى يومنا هذا، حتى خُطفت ابنتي و شعرت بإحساس لا يوصف، و كأن شخص سرق قلبي، لم أعد أستطيع تحمل الحياة بين عذاب الماضي و عذاب ففداني لابنتي.

تترقق عينا (أشرف) بالدموع، يردف بصوت ممزق مبحوح:

- ذلك المقنع القذر كان يرسل لي صور ابنتي و بعض المقاطع الصوتية لها و هي تستنجد و تبكي طالبة رؤية

والديها، أقسم لك أنه استطاع أن يحطمني و يجعلني أفعل ما يريد، لو طلب أن أقتل نفسي ليعيد ابنتي لفعالها، و عندما علمت ما يريدته قمت بالتخطيط لعملية القبض على زعيم العصابة و نجحت في ذلك، فأنا واحد منهم أعرف جميع أسرارهم و خباياهم، و بعدها اعترفت بما اقترفت من قبل، و لست نادماً على شيء.

عاد (هاشم) إلى منزله والإرهاق متملك منه، بعد يوم عمل طويل ومتعب أملاً في الراحة والنوم، لاستعادة قواه حتى يبدأ يوم تحقيق جديد في تلك القضية التي أصبحت كابوساً له في منامه، و عند باب شقته رن هاتفه، ضيق تملك صدره و هم طغى عليه، يخرج هاتفه بشقاء من جيبه يتفقد المتصل، فتزول تلك المشاعر السيئة و تحل محلها اللهفة و الحب فيجيب محاولاً إخفاء تعبه ليسمع صوتها الرقيق يحفف بالعلاج لقلبه المتعب
قائلة:

- أعلم أننا اتفقنا على ألا نتحدث حتى تنتهي من القضية لكنني حقاً أشتاق إليك، و أريد الاطمئنان عليك يا عزيزي.

كان صوت (ورد) الهادئ يريح قلب (هاشم) الذي دخل شقته بهدوء و هو يحدثها بهم مستتر و فرح كاذب:

- كم أشتاق إليك يا عزيزتي و أتمنى كل يوم ولو لحظة معك
نضحك و نتسامر فيها.

- (ورد) بلهفة طمئني عليك كيف حالك؟... و كيف هي
صحتك؟

مضى وقت كبير على أن يشعر (هاشم) بأن هنالك قلب قلق
عليه هكذا، رغم ما يمر به من مشاكل و معرقات في هذه
القضية، إلا أنه لم يهتم أحد لحاله أو ما يشعر به مثلها، و كأن
قلب (هاشم) كان في انتظار هذه اللحظة فبادر بالحديث عن
ضيقة مما يحدث، و (ورد) تهون عليه و بل و تقوي عزيمته
للقدام، و تعطيه أملاً للغد الذي سيقبض فيه على المقنع، ووسط
حديثهما انتبه (هاشم) لأمر مهم انتزع كيانه من بين (ورد)
سريعاً ليقف مصدوماً محدقاً لثوانٍ معدودة ثم يقول (لورد) في
عجلة:

- سأحدثك لاحقاً عندي أمر مهم جداً الآن.

- حسناً يا عزيزي سأحدثك قريباً أحبك.

أغلق (هاشم) معها الاتصال و عيناه متشبثتان ببطاقة عليها
رمز المقنع وريشة بيضاء وسي دي، نظر إلى البطاقة ثم جاب

منزله كالمجنون يبحث عن المقنع أو أثار لدخول أحد لكن لا شيء، فتفقد البطاقة التي كتب فيها:

(فالتحضر الحلقة).

فضحك بسخرية و كأن ذلك سيجعله يغير رأيه، ثم نظر إلى السي دي بفضول متسائلاً عن محتواه، فقام بتشغيله على جهاز الكمبيوتر الخاص به، و مجرد أن رأى محتوى السي دي، أصيب بصدمة تامة تجمدت لها حواسه، و توقف عقله عن التفكير، يحدق لشاشة جهازه بلا حراك.

غرفة ضيقة بجدران رمادية صماء، باب معدني سميك توسط إحدى تلك الجدران، و ضوء خافت يدخل من فتحة صغيرة في أعلى الجدار مغطى بالقضبان، يتوسط الغرفة الضابط (أشرف) جالس على الأرض بوجه مانت فيه المشاعر عينه هائمة محاطة بالسواد و لحيته نمت و تشعثت، البؤس واضح في حاله وهو يحوم في ذكرى الماضي بدمعة لاحة في عينه، فجأة يفتح ذلك الباب المعدني السميك و يدخل عسكر لاصطحابه، يمسك (أشرف) و يتحرك به بين ردهات السجن كالمجرمين عينه منكسرة في الأرض يسير بخزي بين من اعتقلهم في السابق، يخرج من حبسه ليقابل الزائر له وفور

رؤيته لزوجته تقف ممسكةً بيد ابنته (شهد)، تنهمر دموع السعادة من عينيه، ركض بلهفة و شوق صوب ابنته، ليحتضنها ويقبلها فتقول له بسعادة:

- لقد اشتقت إليك كثيرًا يا أبي.

- أنا أيضًا يا عزيزتي اشتقت إليك جدًا.

تبادلًا الأحضان و بسعادة غامرة و دموع مغردة، جلسا مع بعضهما يتسامران في أمور مختلفة بعيدة كل البعد عن الحزن، متناسيان أنها كانت مختطفة أو أنه محبوس و سيعرض على المحكمة قريبًا، أرادا أن تكون اللحظة بينهما مرحلة صافية، و استمر ذلك الصفاء حتى انتهت فترة الزيارة و غادر والدها على وعود بالزيارة القادمة، أتى (أحمد) و اصطحب (شهد)، ليبدأ بطرح أسئلته عليها، لكن جميع إجاباتها تشبه إجابات (ياسر)، و يلفت انتباهه أنها عندما دخت تلك الغرفة الكبيرة التي حُبست فيها، وجدت ولدان و بنت واحدة، وكانت هي الرابعة، و من المفترض أن تجد ولدًا واحدًا و هو ابن (حسن)، و بنتًا واحدةً و هي ابنة (مسعود)، فنكون بذلك (شهد) هي الثالثة، فمن هذا الولد الذي معهم و من عائلته، ثم تخبره زوجة (أشرف) أنها في الصباح الباكر، وجدت (شهد) نائمة في

غرفتها وبحوزتها ريشة بيضاء وبطاقة عليها رمز المقنع كتب فيها:

(فلتربوا ابنتكم على الخير وعدم الظلم شكرًا لقول كلمة الحق

ستنعم روح الراحل (حازم) الآن بالسلام).

امتأ الاستوديو على أوجه، تراص الناس بلهفة تبعًا أمام شاشات التلفاز و الهواتف في ترقب متأجج، فدقائق معدودة تفصلنا على بدء حلقة (نورهان) الخاصة، استعد خلالها (هاشم) في الغرفة المخصصة له بالاستوديو، لأنه اتخذ قراره بالخروج على الهواء مع (نورهان)، وأعد جميع الترتيبات كالمرّة السابقة بل وأكثر، فسيكون رجال الشرطة المتحكمين بشكل كامل في تسجيل الحلقة وما سيتم عرضه، وتلك شروط (هاشم) لحضور الحلقة، والتي وافقت (نورهان) عليها جميعها دون جدال.

بدأت الحلقة بتحية (نورهان) لجمهورها:

- أهلاً بكم يا جمهوري العزيز في حلقة خاصة من برنامجكم ما وراء السراب، نتحدث فيها عن أكبر قضية في وقتنا الحالي شغلت الكبير و الصغير و هي قضية المقنع المنتقم.

واقفة بشموخ و جمال معهود منها، كالمعتاد تختطف الأنظار بروعة مكياجها الهادئ المتناسق، متزينة بالحلي و الذهب البراق، في ملابسها الأنيقة كاشفة القليل من مفاتها الجذابة، مسترسلة بمقدمتها الأخاذة، ثم الحديث عن قضية المقنع المنتقم لبضع دقائق، و من بعدها تستدعي الضابط (هاشم) لدخول الإستوديو و مشاركتها الحلقة التي تعتبر الأعلى مشاهدة في تاريخها، فالجميع يريد و بلهفة معرفة المفاجأة الكبيرة التي ستعرض في الحلقة.

طرحت (نورهان) بعض الأسئلة الملتوية على (هاشم)، و هو يجيبها بكل ثقة و ثبات، مع ابتسامة لامعة لا تفارق وجهه، و بعد إجابته لبعض الأسئلة، يخبرها (هاشم) أن لديه مفاجأة مدوية، و أن التحقيقات التي قام بها قد قادتته إلى هوية أحد أكبر المساعدين المحوريين للمقنع المنتقم، فنتحمس (نورهان) و تنظر للكاميرا، و تقول للجمهور بحماس:

- ها قد أثمرت مجهودات رجال الشرطة، و سيكون لبرنامجنا السابق بمعرفة مساعد المقنع.

ثم تنظر (لهاشم) رادفة:

- هل قبضتم عليه؟

- لا ولكننا نعم مكانه، وأرسلنا قواتنا للقبض عليه، وهو الآن محاصر وسيقبض عليه في نهاية حلقتنا.

اعتدل (هاشم) و شبك يديه أمامه على الطاولة قائلاً بنظرات ثاقبة:

- أما الآن سأطلعكم على الأدلة التي أوصلتنا لمساعد المقنع، أرجو أن يتم عرضها الآن.

فتأمر (نورهان) فريق الإعداد المكون من رجال الشرطة فقط بعرضها بحماس، فيقوم فريق الإعداد بتشغيل ملف صوت والذي يبدأ بصوت الرنين ثم تأتي الإجابة، بصوت (نورهان) تتحدث:

- من معي؟

بنفس الصوت الغليظ والمخيف الذي يُسمع من المقنع في جميع فيديو هاته يقول:

- ليس المهم من أنا الآن، سأرسل لك على إيميلك الشخصي موضوع لقضية يتكتم عليها رجال الشرطة بحرص شديد، وأريدك أن تتحدثي عن تلك القضية بكل تفاصيلها التي سأرسلها لكي، و ستحصلين على أضعاف المشاهدين لبرنامجك وستزداد شهرتك فلن يحصل على هذه المعلومات أحد غيرك.

ثم انقطع الاتصال.

- مرحبًا من أنت أحب...

انتهى بذلك الملف الصوتي، نظر (هاشم) بابتسامة (لنورهان)، التي تبدلت حالتها، زالت ابتسامتها، تلاشى حماسها، شحب وجهها و تغيرت ألوانه، عينيها تحديقان باتساع للطاولة، تكاد تسقط مقلتها منها، صدمة صارخة تملكتها، عُقد لسانها لبرهة غير قادرة على الكلام، وكأنها مغيبة عن عالمنا، ولم تعد إلى رشدها إلا حينما سمعت (هاشم) يقول بعنان:

- فليعرض الملف الثاني.

لتستفيق (نورهان) من غفلتها في فزع تقول بخوف:

- لا توقف لا تعرضوا شيئاً يجب أن نخرج لفاصل إعلاني الآن.

لكن رجال الشرطة قاموا بتولي عملية إدارة البرنامج، وأصبحوا يتحكمون بما يعرض وبالاتصالات وعملية التصوير، لقد تم السيطرة على البرنامج كاملاً، نظر لها (هاتسم) مبتسماً قائلاً بلووم:

- ماذا بك يا حضرة الإعلامية المشهورة ألا تريدان أن تعرفي مساعد المقنع.

يتم تشغيل الملف الصوتي الثاني، و (نورهان) تقول:

- مرحباً

- هل حققت الحلقة المشاهدات والنجاح الذي أخبرتك به.

- أجل لقد كانت الحلقة قوية وازداد عدد المشاهدين لها، وحققت النجاح المرجو منها ولكنك فاجأتني.

- فيضحك المقنع بشدة.

- لماذا تضحك هكذا؟!!

- لأنك ستتفاجئين كثيراً معي.

- هل ما قلت أنك ستفعله صحيح؟

- وهل يهتمك ما يحدث للناس إلى هذه الدرجة؟

- لا.

- سيزداد عدد المشاهدين أكثر إذا استمعت لما أقول ونفذتيه.

- ما الأمر؟

- ستطلبين من الضابط (هاشم) وهو المسؤول عن القضية بأن يحضر كضيف في حلقتك، وستغيرين الأستوديو بواحد أكبر وتسمحي بحضور الجمهور به.

- وكيف لك أتأكد من أن هذا سيتم؟

- أنا أعلم أنك ستنفذين ما طلب منك، فلا يوجد من يرفض الشهرة، وأنا سأقوم بإقناع الضابط (هاشم) بأن يحضر الحلقة بطريقتي الخاصة.

- حسناً حسناً ولكن أخبرني ما هي خطت....

انتهى الملف الصوتي الثاني، والصمت يعم المكان في دهشة من الجمهور الحاضر و الجمهور المشاهد عبر التلفاز أيضاً، نظر (هاشم) للكاميرا وقال:

- أعتقد أن الجميع عرف الآن من صاحب الصوت الغليظ،
إنه المقنع المنتقم.

ثم نظر (لنورهان) بابتسامة رادفًا:

- ما تعليقك على هذا؟

تنظر له وهي في حالة صدمة لم تستطع اخفاءها عن الكاميرا،
تتصبب عرقًا، وجهها شاحب، تقول بتخبط و تلعثم:

- ه..ه... هذا كذب... أوقف الب...

يقاطعها (هاشم) دون اهتمام لما تقول، ناظرًا للكاميرا و بحماس
يتحدث كالأعلاميين:

- الاعلامية المشهورة، تقول إن هذا كذب، إذا فلنستمع إلى
الملف الصوتي الثالث، ولنرى هل هذا كذب أم لا.

يتم عرض الملف الصوتي الثالث، بصوت (نورهان) وهي
تقول:

- مرحبًا.

- أريدك أن تنفذي أمرًا ما.

- ما المطلوب؟

- أولاً سوف يحضر الضابط (هاشم) ضيفاً في الحلقة.

- حقاً وما الذي أكد لك ذلك؟!!

- لقد أقنعتَه بطريقتي، ويجب أن توافقي على كل شروطه مهما كانت.

- حسناً سأوافق على كل شيء.

- ستمنعين المكالمات لهذه الحلقة، ولن تقبلي إلا أربعة مكالمات سأقوم بإجرائها.

- حسناً أربعة فقط.

- وأمر آخر مهم يجب أن تقومي به.

- ما هو؟!!

- سأقوم بإرسال مجموعة من الأقتعة الخاصة بي، و ستقومين بتوزيعها على الجمهور وتخبريهم أن هذا جزء من عرض للحلقة سيقومون به، و سيرتدون الأقتعة عند انقطاع الكهرباء، وسأرسل لك بطاقة أيضاً ستضعينها على الطاولة أمام الضابط (هاشم) عندما تقطع الكهرباء.

- حسنًا هذا صعب قليلاً، فسيشكون بي أنني على اتصال بك.

- لا تقلقي، ستخبريهم أنني قمت بتهديدك و سأرسل لكي خطابًا تهديدًا لترتهم إياهم.

- هذه فكرة جيدة ستسهل الأمور كثيرًا.

- لا أريد أخطاء أو أعذار، ما قلته سينفذ بالحرف أو سأذهب إلى إعلامي آخر.

- لا تقلق سأنفذ ما تريد.

انتهى الملف الصوتي الثالث، و(نورهان) تتصبب عرقًا بشكل غير طبيعي، بدأ مكياجها بالذوبان من كثرة العرق، تقول بتلعثم:

- ه..ه..هذا... كذب أ..أ.. أجل كذب،... إنها محاولة للإيقاع بي، هذه واحد من خدع المقنع القذرة،... أرجوكم لا تتخدعوا بكلامه، أرجوكم،... أرجوكم لا تصدقوه، أرجوكم أوقفوا التصوير... هذا ليس حقيقي، أرجوكم صدقوني.

نظر لها (هاشم) باستياء قائلاً:

- فاليتم تشغيل الملف الرابع.

تنظر (نورهان) (لهاشم) بنظرات مستضعفة تطلب الرحمة والعفو، لكنه يبادلها بنظرات صارمة جافة قاسية، و ابتسامة نصر لاذعة، تخبرها أنه لن يرحمها، يبدأ الملف بالعمل و(نورهان) تقول:

- مرحبًا.

- أحسنت عملاً لقد سار كل شيء كما خطط له وأعتقد أنك حصلتني على ما تريدين.

- أجل لقد ازداد عدد المشاهدين بشكل لا يصدق، ومعدل الإعلانات ازداد أيضًا، لكنك فاجأتني بوجودك.

- قلت لكي دائمًا سأفاجئك، لكن الآن أريد منك تنفيذ الخطة القادمة فهي أكثر أهمية.

- ما المطلوب لكي أنفذه؟

- في الأربعاء القادم سيقوم (سعد إسماعيل) بعملية تأمين شاملة لحماية منزله، لذلك أريدك أن تطلبي منه بأن تقومي بالتسجيل معه، لتعرضي للناس كيف تتم عملية الحماية، وأن هذا أمر عادي، ليرى الناس كيف سيفشل المقنع، وبعد ذلك

تخبريني بأدق التفاصيل، وأين يضع كاميرات المراقبة وأين يقف رجاله، أريد معلومات كاملة شاملة، ووصف دقيق لعملية الحماية تلك.

- لكنك هكذا لن تنفذ ما قلته.

- لقد قلت في يوم الأربعاء، لم أحدد أي تاريخ أو موعد، ولذلك سأنفذ عملية الاختطاف في الأربعاء بعد القادم.

- كم أنت ماكر جدًا.

- لست ماكرًا، لكني أعتد على قلة تفكير من أمامي، وثقتي العمياء بنفسه، وعلى غبائه وتسرعه في الاستنتاج، وهذا سر نجاحي.

- حسنًا لا تقلق سأفعل كل ما تريد وسأوافيك بالجديد.

انتهى الملف الرابع وعلامات الدهول والصدمة تحيط بالمشاهدين، فكيف لتلك الإعلامية الناجحة أن تفعل كل هذا وتتلاعب بالجميع، ازداد معدل المشاهدين بشكل غير طبيعي، ومواقع التواصل الاجتماعي لا تتوقف عن الحديث عنها، تعليقات انحطاط و عدائية تنهال عليها كالمطر الغزير من كافة المشاهدين بجميع طبقاتهم، أصبحت (نورهان) في حالة مزرية

والدموع في عينيها، تتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعها، كل كلمة تصدر من الملف الصوت كسكين تُطعن بها، غير قادرة على منع هذا أو إيقافه، فجأة تسمع (هاشم) يقول:

- فليتم عرض الملف الصوتي الخامس.

فتنفجر (نورهان) بالبكاء بصراخها عاليًا:

- أرجوك توقف، سأفعل لك ما تريد ولكن لا تشغل المل...

تسمع الملف الصوتي وهو يعمل ويبدأ بصوتها وهي تقول:

- مرحبًا.

- إلى ماذا توصلت؟

- لقد تم تأمين الفيلة جيدًا من أول الشارع الخاص بها، رجال الشرطة والحراسة الخاصة داخل وخارج الفيلة بكثافة شديدة، يحيط بالطفل نفسه أربعة رجال لا يفارقوه، و علمت أن بملابسه جهاز تتبع لتتقي أثره أينما كان، كاميرات المراقبة في كل زاوية في الفيلة، يراقبون المكان بحرص وتركيز حاد لكنني انتبهت إلى أن الجزء الشرقي من الحديقة ليس به كاميرات مراقبة.

- جيداً جدًا.

- ما الذي تخطط إليه؟

- الأسبوع القادم هو عيد ميلاد حفيد (سعد إسماعيل)، وأريدك أن تذهبي وتقومي بعملية تسجيل عيد الميلاد كاملاً لهدفين، الأول أريدك أن تبعدي الأنظار قدر الإمكان عن الجزء الشرقي، بلقاءاتك و حديثك مع الحضور، و الهدف الثاني لتحصلي على حلقة جديدة قوية ومثيرة.

- لقد شوقنتني لحفل عيد الميلاد حقًا.

- أريد منك أمرًا مهمًا أيضًا.

- ما الأمر؟

- في الحلقة القادمة أريدك أن تتحدثي عن مدى فشل العملية الأمنية، و تثير الرهبة و التوتر في قلوب الجميع أكثر، ليعرفوا مدى خطورة المقنع.

فتضحك (نورهان) عاليًا قائلةً:

- هذه لعبتي.

- ولا تقلقي عندي لكي مفاجأة كبيرة بعد إتمام هذه العملية،
ستجعل عدد المشاهدين لديكي أضعافاً مضاعفة.

- حسناً وأنا في انتظار مفاجأتك.

انتهى بذلك الملف الصوتي الخامس، لقد أصبح الجميع يعلم
ببيقين أن (نورهان) مساعدة المقنع، وهي من أعطته المعلومات
لاختطاف حفيد (سعد إسماعيل)، اجتمعت نظرات الاحتقار و
البغض عليها، لا ترى بين أعين أحدهم شفقة أو عطف، بل
تستمع إلى تمتامات تتقاذف من حولها:

- تلك الفذرة خدعتنا.

- أتمنى ان يلقنها رجال الشرطة أشد العقاب.

- امرأة لعينة لا تستحق الحياة.

- امرأة تُون تتاجر بالأولاد و تزوج للأكاذيب و تناصر
المجرم لتحصل على الشهرة و المال.

ذاب مكياج (نورهان) ليسيل بألوانه على وجهها بعشوائية،
تلتفت من حولها بخوف و الدموع تتساقط منها، ترى أعين
الجمهور المحيطة بها تجلدها، و تسمع تمتاماتهم القاتلة بذعر،

حتى تستقر عيناها على (هاشم) بنظراته الجافة القاسية و هو يقول بصراحة:

- لنستمع إلى الملف السادس.

تنظر له (نور هان) والدموع تنهمر من عيناها تترجاه، تستعطفه بصوت متحشرج متلعثم كالأطفال:

- أرجوك... توقف، أتوسل إليك إن هذا كله كذب، دعني أوضح الأمر، لا تصدق هذا،... إنه تشويه لسمعتي لأنني ناجحة، أرجوك أخبرهم أن هذا كذب،... أرجوك... أرجوك أتوسل إليك.

لم تتغير قسمات (هاشم) الجافة القاسية، لم يرمش له جفن لما قالت ولا يبدو أن توسلاتها قد أثرت به قدر أنملة، بدأ الملف السادس بالعمل و(نور هان) تقول وهي تضحك:

- لقد اختطفت الطفل بطريقة ذكية وجعلت الجميع يبدون كالمغفلين.

- انتبهي للخطوة القادمة فهي مهمة.

- ما الخطوة القادمة.

- كما وعدتك إنه وقت مفاجأتي.

- حقًا وما هي المفاجأة؟!

- ستعلمين في وقتها وإلا لن تكون مفاجأة، أما الآن انتبهي أريدك أن تقومي بحلقة أخرى وتستضيف بها الضابط (هاشم) مرة أخرى.

- وهل سيوافق بعد ما حدث في آخر مقابلة؟

- أجل سيوافق بعد أن أخبره أنني سأبوح بسر خطير على الهواء.

تتكلم (نورهان) بسعادة وحماس:

- وهل حقًا ستكشف سرًا على الهواء أمام الناس؟

- وهل قلت لكي شيئًا ولم أنفذه؟

- لا.

- قومي بعمل دعاية كبيرة، وإعلانات للحلقة التي سأبوح بها بسر خطير.

- أووه كم هذا مشوق، حسناً سأقوم بعمل الدعاية لتلك الحلقة وسأحمس الجمهور لها.

- لا أريد أخطاء أنا واثق بك وبأنك ستنتجين.

- لا تقلق سأفعل كل ما تريد.

انتهى الملف الصوت السادس، نظر (هاتشم) (لنورهان) الجالسة في صدمة غير مصدقة لما تسمع، تنهمر الدموع منها بلا توقف وتتمتم بتكرارية جملاً لا فائدة منها:

- هذا كذب لا تصدقوه، أرجوكم لا تصدقوه، أرجوكم أوقفوا هذا.

- فليتم تشغيل الملف السابع.

بدأ الملف السابع بصوت المقنع العميق الغليظ وهو يقول:

- لقد نفذت وعدي لك يا (نورهان)، و أعلنت عن المفاجأة كما أخبرتك، وأخبرت الجميع عن أحد أهم مساعديني، وحصلتي على حلقة هي الأعلى مشاهدة في تاريخك،... شكرًا لك على أداء ما طلب منك على أكمل وجه، وتذكري أنني دائماً سأفاجئك،... أتمنى أن تكوني سعيدة بالنجاح الذي

حققته، فسيتحاك الناس بهذه الحلقة لسنين عديدة، و سيردد اسمك على كل لسان.

يصمت المقنع قليلاً ثم يردف بنبرة عدائية أشد غلظة من السابق:

- النجاح الذي يعتمد على ألام الناس، و يبحث عن المشاكل و مصائب الغير لكي يتم إفشائها للجميع، بل و يتم المزايدة عليها لتصبح كذبة كبيرة يحب الجميع سماعها، و إذا لم تجدوا مشكلة تقومون بافتعالها، أنتم الإعلاميون حقاً رمز للفساد، تتحدثون عن الحق و العدل و أنكم مرآة لعرض الحقيقة و كشف الظلم، لكنكم الظلم نفسه، تكذبون و تتاجرون بألام الناس، و تفتعلون المواضيع الكاذبة و في النهاية تعاملون كالأبطال الذين كشفوا الحق و رفضوا الظلم، و كل ما قمتم به هو فيلم كبير من تأليفكم و إخراجكم و تمثيلكم،... حقاً كم أنتم قذرون،... أنا ليس لي دخل بما يحدث لكي، فأنا طلبت ما أريد ولكن الاختيار كان بين يديكي، إما أن توافقني على طلباتي وإما أن ترفضني وتخبري رجال الشرطة وتساعدتهم في القبض علي، ولكل اختيار منهم نتيجة ونهاية، وأنت اخترت كيف ستكون نهايتك، فكنت أنت السراب و ما وراءك إلا أكاذيب لا حصر لها، وإذا لم تعجبك

النهاية فلا تلومي إلى نفسك، وشكرًا مرة أخرى على مساعدتك.

انتهى بذلك الملف الصوتي السابع والأخير، وعلامات الغضب على وجه (نورهان)، حوَّلها المكياج الذائب على وجهها إلى مسخ بشع، سال الكحل الأسود من عينيها الحمراتين لنهاية وجهها، أحمر الشفاه على فمها بدأ بالتآكل و البهتان، وجهها بالكامل مبتل بدموعها، و شعرها مشعث غير مرتب، تصرخ بأعلى صوتها في غضب شديد:

- أيها الحقيبييررر، لقد خدعتنييي.

تنظر للجمهور من أقصى اليسار لأقصى اليمين، تصيح بهستيرية بهم بشكلها المخيف:

- أرجوكم لا تصدقوه،... لقد كنت ضحية أخرى من ضحاياه، قد أكون أخطأت، وأنا أسفه لذلك، لكني أيضًا أريد ظهور الحقيقة، للقبض على المقتنع لأجل أن تنعموا بالأمان،... أرجوكم صدقوني إن هذا فخ للإيقاع بي،... أرجوكم سامحوني على خطئي،... أنا لم أقم بإيذاء أحد، فقط حاولت الإيقاع بالمقتنع عبر خطة محكمة فخدعني و أوقعتني أنا، إنه يكذب عليكم، أقسم لكن إنه يكذب.

ظلت تكذب و تتذلل طالبة المسامحة، تقلب نظرها للجمهور يمينًا ويسارًا ولفريق الإعداد الخاص بها الذي في صدمة مما فعلته، وإلى الضابط (هاشم) ورجال الشرطة، تبكي متذلة تطلب العفو والسماح بشكل جنوني متمنية أن يصدقها أحد، لكن الجميع شعر بالاشمئزاز منها و مما فعلته، و من وقاحتها في الكذب لتتال العفو، فيقول (هاشم) بحزم:

- اقبضوا عليها.

كانت تلك الكلمة كافية بزيادة صراخ (نورهان) أكثر، تنتفض من مكانها و الدموع تتطاير من عينيها، وهي تطلب العفو بكل قوة بداخلها:

- لا أرجوكم، أنا إعلامية مرموقة لا يمكن، أقسم لكم إنه كذاب، أقسم لكم أنني مظلومة، اتركوا لي فرصة لأوضح لكم، لا لا لا...

استمر صياحها و نحيبه بلا ملبي، و بلا أدنى شفقة من أحد، تترجى (هاشم) أن يأمرهم بالتوقف، لكنه لا يجيبها و نظرات الغضب على وجهه، أتى رجال الشرطة و قبضوا عليها وخرجوا بها بعيدًا، أمام أعين عدد ضخم من المشاهدين، الذين لا يسمعون إلا صراخها المدوي بالأرجاء طالبًا المسامحة والعفو.

نظر (هاشم) للكاميرا مخاطبًا جميع المشاهدين:

- رجال الشرطة يعملون بأقصى جهدهم للقبض على المقتنع، وما رأيتموه الآن كان نتيجة تحرياتنا وتحقيقاتنا المتواصلة على مدار الأربعة و عشرين ساعة، فنحن لا نتخاذل ولا نستسلم، وسنقبض على المقتنع المنتقم، كما قبضنا على معاونته (نورهان)، و كما أعلنت سابقًا فقد قبضنا على معاونه الآخر (بهجت)، و أيضًا بفضل تحرياتنا استطعنا إعادة أحد الأطفال المخطوفين و هي ابنة الضابط (أشرف).

ثم يعرض على الشاشة، فيديو مسجلًا (لشهد) ابنة (أشرف)، و هي تعانق والديها، و فيديو آخر أثناء أخذ أقوالها و ما مرت به لجمع الأدلة الممكنة، ثم يردف (هاشم) بحزم و ثقة:

- لا داعي للخوف من المقتنع، فنحن نعمل على قدم و ساق للحفاظ على الأمن و لن نتهاون مع أي شخص يهدد الأمن القومي.

غرفة صغيرة خاوية من الأثاث عدا طاولة و ثلاثة كراسي فقط، اثنان كانا (لهاشم) و (أحمد)، أما الثالث فكان في انتظار قدوم (نورهان) من الحبس ليتم التحقيق معها، لم يدم

انتظارهما طويلاً، حتى أتى مأمور السجن و معه (نورهان) بهيأة لم تصل إليها من قبل، شعرها جاف مشعث، عينيها منتفختين حمراوتين كالدماء، أسفلهما هالة سوداء قاتمة، وجهها تبدلت ألوانه و ظهرت تفاصيله من تجاعيد، بشرتها كانت مثل شفتيها خشنة بعض الشيء جافة، الإرهاق و التعب واضح في حركتها المترنحة، تجلس أمام الضابطان في سكينة لا تنظر لهما، تحرق فقط للطاولة التي بينهما، لم يكثرث (هاشم) لحالها سائلاً:

- أخبريني كيف بدأ الأمر مع المقنع؟

لم تجبه (نورهان) و لم تكثرث لسؤاله و ظلت تحرق للطاولة دون حديث، ردف (هاشم) بعدة أسئلة متتالية:

- أ يوجد طريقة تواصل بينكما؟... هل تعلمين هوية المقنع؟... هل تقابلتما وجهًا لوجه؟...

لم تكثرث (نورهان) لكل تلك الأسئلة، مما أغاز (هاشم) فردف في ضيق:

- أنت الآن بصدد حكم قاس و لن يساعدك أحد، فساعديني بالتحقيق و سألتمس لكي تخفيف الحكم، افعلي شيئاً واحداً صحيحاً لنستطيع إعادة الأطفال المخطوفين.

لم تستجب (نور هان) لكلماته فزفر (هاشم) في ضيق، في حين بادر (أحمد) بسؤاله في حيرة و بصوت هادئ مطمئن:

- لماذا فعلتي كل هذا؟!

سؤاله و نبرة صوته حركت (نور هان) لتتظر إليه بتمعن للحظات ثم تنفك بكلماتها البالية تخرج بصعوبة منها:

- الإنسان بطبعه جشع، يريد المزيد و لا يرضى، هكذا كنت أنا.

- حتى ولو على حساب حياة الآخرين؟!

- ليس المهم الوسيلة و إنما الغاية، أنا لم أصل لشهرتي تلك إلا على حساب الآخرين، مع المديح المستمر لكبار المسؤولين، و الكذب لأجل هذا و ذلك، حتى أصبح لدي شبكة علاقات كبيرة برجال الأعمال و المسؤولين.

ضحكت (نور هان) بسخرية ثم تابعت:

- كل ذلك تحطم بين ليلة و ضحاها، و تخلى الجميع عني.

- لا يا (نور هان) ليس الجميع نحن هنا نريد مساعدتك.

تنظر له (نور هان) بعينين متشككة، ليرد (أحمد) بثقة:

- ساعدنا بأي معلومة ممكنة و سنساعدك بتخفيف الحكم
عليكي.

صممت (نورهان) لوهلة تفكر ثم قالت:

- لا أعلم شيئاً عن المقنع، لكني أعلم لماذا اختطف ابن (سعد
إسماعيل)، فهو ليس رجل الخير الصالح كما هو ظاهر، بل
هذا قناع يخفي خلفه عمليات مشبوهة و تجارة فذرة و أمور
كثيرة لا تعد ولا تحصى، و ستجدون جميع الأدلة التي تدين
(سعد) على جهاز الحاسوب الخاص بي في منزلي،
سيساعدكم هذا كثيرًا.

شكرها (أحمد) و وعدها بالعمل على تخفيف الحكم عنها في
حين كان (هاشم) يشعر بغصة في حلقه، (فنورهان) استغلتهم
كثيرًا بأكاذيبها و ألاعبها، فقال بتوعد:

- أتمنى أن تكوني صادقة هذه المرة.

نظرت له (نورهان) بحدة و قالت:

- أتعلم نحن متشابهان، فكلانا كاذب.

امتعض (هاشم) و بادر للدفاع عن نفسه لكن (نورهان)
سارعت مقاطعةً إياه بسؤالها:

- من أين لك بالملفات الصوتية؟

صمت (هاشم) ولم يجيبها، فردفت (نور هان):

- لم تكن تحقيقاتك و تحرياتك بل المقنع من أعطاك إياها.

نظر (أحمد) (لهاشم) بدهشة، فهو لم يعلم تلك المعلومة، في حين قال (هاشم) مدافعًا:

- و إن يكن، لا تساويني بك فأنا كذبت لأحفظ الأمن العام،
أما أنت فتكذبين لمصالحك.

ضحكت (نور هان) بسخرية قائلة:

- هذه كذبة أخرى، فأنت لا تريد سوا حفظ ماء وجوهكم لا
أكثر،... صدقني لولا المصالح لما كذبنا، أنت حقًا لا تختلف
عني، فلا تمقتني هكذا.

غادر (هاشم) بعدم اهتمام لكلماتها، خاتمًا اللقاء بقوله:

- لم و لن أكون مثلك، أيتها الكاذبة.

دخل (هاشم) بيت (نورهان)، ليتفاجأ أنه مقلوب رأسًا على عقب، في فوضى عارمة، وكأن إعصارًا ضرب المكان وقام ببعثرة كل شيء في الأرجاء، فحص (هاشم) بحرص المكان حتى سمع ضوضاء من غرفة ما، دخلها بحذر، فوجد بها رجلين ضخمين البنية يحملان الحاسوب الخاص (بنورهان)، حاول إيقافهما ولكن دون جدوى، دار قتال بينهما عنيف وبدون تفكير في النتيجة انتصر الرجلين وهربا بالحاسوب سريعًا.

الفصل التاسع

(السراب)

ذهب (هاشم) و(أحمد) لمقابلة (نورهان) مرة أخرى، وعندما وصلا للسجن تفاجأ بأن (نورهان) قتلت في زنانتها شنقاً، انفعل (هاشم) و صاح بغضب في الجميع متسائلاً عن هوية القاتل و كيف قتلها، تأتيه إجابة صادمة لا منطقية فيها، و هي ان القاتل كان الضابط (مسعود)، و قد تم القبض عليه.

تفقد (هاشم) كاميرات المراقبة بحرص، ليرى (مسعود) دخل إلى زنزانه (نورهان) فجراً، و فجأة توقفت الكاميرات عن التصوير ولا تلتقط شيئاً آخر، فازداد ثوران (هاشم)، يلقي بالاتهامات و اللوم على العاملين بالسجن و أنهم جميعاً سيتعرضون لمحاكمة عسيرة، سيشرف بنفسه على أن تتم، فكيف تقتل إعلامية مشهورة داخل زنزانتها وسط كل هذه الحراسات؟!... و كيف تتوقف الكاميرات عن العمل في لحظة

دخول (مسعود)؟!... و الأهم من ذلك كله، ماذا أراد (مسعود) من (نور هان)؟!... أسئلة طُرحت من تلقاء نفسها في الساحة تو اللحظة، ليتعرقل بها (هاشم) و (أحمد) دون أن يجدا إجابات لها.

افتتح التحقيق مع (مسعود)، انتفض في خوف فور رؤية (هاشم) يصيح بأنه لم يقتلها، وأن تلك مكيدة للإيقاع به، طمأنه (هاشم) بأنه يصدقه ثم سأله عن سبب زيارته (لنور هان) في هذا الوقت الغريب، صمت (مسعود) قليلاً، اقترب من (هاشم) بصوت خافت هامساً:

- لقد اختطفت ابنتي و أريد رؤيتها مرة أخرى، و إذا تحدثت ببعض الأمور الشائكة قد أقتل أنا أيضاً، و رغم ذلك سأخبرك لأنني لم أعد أتحمل ما يحدث، و لم يعد عندي القدرة لفعل شيء أو حتى التفكير في شيء آخر، لقد طُلب مني أن أذهب في هذا التوقيت لزنزانة (نور هان) لأسألها عن معلومات مهمة جداً، و لتحذيرها من أنها إذا أخبرت أحداً عن تلك المعلومات فستكون العواقب وخيمة، لكن فور وصولي لزنزانتها لم أجد أي حراسات، و عندما دخلت زنزانتها الخاصة كانت مشنوقة، لكن أقسم لك أنني لم أقتلها.

- من طلب منك فعل هذا؟

صمت (مسعود) قليلاً يتلفت من حوله في قلق و خوف ثم بصوت منخفض جداً:

- (سعد إسماعيل).

اندهش (هاشم) قائلاً:

- ما علاقتك بسع...

و ضع (مسعود) يده على فم (هاشم) وأخبره أن يصمت ثم ردف بحذر شديد و قلق:

- (سعد) لديه جواسيس في كل مكان حتى في قسم الشرطة، وأعتقد أنه أمر جواسيسه بقتل (نورهان)، و ربما كان يعلم بحديثك معها و عن اعترافاتها لك، وهو من قام بتعطيل الكاميرات وتلفيق التهمة لي ليتخلص مني ومن (نورهان) معاً، ولا تسأل أسئلة أخرى فلا أستطيع إجابتك أكثر من ذلك.

نظر (هاشم) في يأس لحال (مسعود) و للخوف في عينيه، فلا يجد ما يقال، فيودعه و يهم للرحيل، فينفك (مسعود) في حزن قائلاً:

- أرجوك يا (هاشم) أنقذ ابنتي،... ولا تتعامل مع (سعد) فهذا الرجل مليء بالشر وله أعين وأذان في كل مكان، ويستطيع فعل أي شيء مهما كان، فهو رجل له سلطة مطلقة ولن يرحم من يقف في طريقه.

يعده (هاشم) بإنقاذ ابنته و إثبات براءته ثم يغادر.

عدت طرقات منتظمة على باب مكتب اللواء (عزيز)، تلاها دخول (هاشم)، قدم التحية باحترام ثم طلب بحزم إذنًا لتفتيش فيلة (سعد)، فامتعض اللواء (عزيز) قائلاً:

- ما الذي تقوله؟!... أتترك تحقيق عن مكان المقنع و إعادة حفيده، و تذهب له لتفتيش فيلته، ماذا دهاك يا حضرت الضابط؟!

- المقنع يسعى خلف شيء مهم كان موجودًا على حاسوب (نورهان)، و (سعد) أخذه و أيضًا لدي شكوك بأنه قتل (نورهان) حتى لا...

قاطعته عزيز بصياحه:

- (نورهان) ماتت و القاتل (مسعود)، لا تخلق نتائج لا أساس لها، ثم أمتلك دليلاً أن (سعد) هو من أخذ حاسوب (نورهان)، أو حتى قتلها؟

- لا، لذلك أردت تفتيش فاته و...

قاطععه اللواء (عزيز) مرة أخرى بحدة أشد:

- إن كنت غير قادر على متابعة التحقيق، فأخبرني و سأعين أحدًا بدلاً منك، غير ذلك لا تحتك (بسعد)، فهو رجل ذو نفوذ و سلطة واسعة، ستحتاج للأدلة و البراهين لتتعامل معه، لا مجرد حدس أو استنتاجات لا محل لها من الصحة.
- لكن...

- انتهى الكلام، و تذكر يا (هاشم) أنت تسعى خلف المقنع لا خلف (سعد)، فلا تقم بتصرف أحمق، و سارع في إيجاد حفيده، فالوزير بذات نفسه يتابع القضية، و أظن أنك تفهم ما معنى ذلك.

باقتضاب و بصوت منخفض منكسر:

- أجل أفهم.

- عد لعملك و ركز على الإمساك بالمقنع.

تلاعبت الحيرة بعقل الضابطين، سدت عليهم جميع السبل، لا يستطيعان التفكير غارقان في بحر من الأسئلة لا يعلمان إجابة لها، لم يظهر المقنع و لم يترك دليلاً لتتبعه، لا أثر (لعصام) في أي مكان كان يتواجد فيه، والموضوع الآن زاد تعقيداً بموت (نورهان) وحبس (مسعود)، و(سعد) المسؤول عن ذلك، تحيطه الحصانة تحميه، حاول (أحمد) أن يفكر في حلٍ أو دليل قد فاتهم، لكن لا يصل لشيء، انفعل (هاشم) قائلاً:

- ماذا الآن سنظل هكذا؟... لا يوجد دليل يقودنا للمقنع، وكل الأمور من حولنا تقف ضدنا.

ازداد غضب (هاشم) أكثر وقام بركل الطاولة رادقاً:

- كلما بحثت عن أمر يساعد في حل القضية، تحدث مصيبة ما تقوم بتعطيل التحقيق، لق...

رن هاتف (هاشم) فجأة مقاطعاً إياه، فنظر للمتصل فإذا به رقم (حسن)، أجابه (هاشم) في تعجب، و في لحظات تتغير ملامح وجهه، أغلق الهاتف بعد أن قال:

- أنا في الطريق.

ثم همَّ للرحيل في عجلة و معه (أحمد)، سأله عن ما قيل، ليجيبه (هاشم):

- إنه (حسن) يخبرني أنه قد عثر على (عصام)، وأنه متجه نحوه الآن، وأعطاني العنوان.

- وكيف عر...

- ليس هنالك وقت للأسئلة هيا أسرع.

جوف الليل و بالتحديد بعد منتصفه بساعة تقريباً، وصل الضابطان إلى منطقة شعبية هادئة، ببطء تحركا في شوارعها بالسيارة باحثان عن (حسن) و(عصام)، فلا أثر لها، فجأة سمعا صوتاً مدويًا لإطلاق الرصاص، وتكرر الصوت ثلاث مرات، فتجها نحوه بسرعة، ليجدا شخصًا ممددًا على الأرض، نزل (هاشم) من سيارته وركض باتجاه هذا الشخص، ليجده مصابًا برصاصتين، واندھش (هاشم) عندما استطاع التعرف على هذا الشخص بعد تأمل وجهه للحظات، إنه (حسن)، لقد تغير وأصبح بلحية وشارب ووجهٍ شاحب، عينيه في سواد قاتم، يبدو

عليه الضعف و الهزل، أثار تعاطي المخدرات واضح عليه، لقد كان شخصاً آخر لم يستطع (هاشم) التعرف عليه من النظرة الأولى، انتبه (هاشم) إلى أن (حسن) يشير بإصبعه في اتجاه معين، فنظر (هاشم) ليرى قطرات دماء مبتعدة، يبدو أن (عصام) قد أصيب ولكنه استطاع الفرار، تتبع (هاشم) قطرات الدماء حتى تقوده إلى سيارة متوقف، وبمجرد أن اقترب منها إذا بالسيارة تضاء أنوارها وتنطلق مسرعة محاولة دهس (هاشم)، لكنه يتفادها وينطلق مسرعاً إلى سيارته، يأمر (أحمد) بأن يعتني (بحسن) وينطلق مسرعاً خلف سيارة (عصام).

حاول (هاشم) إيقاف (عصام) بصدم سيارته صدمات متتالية لكن (عصام) لا يستسلم و يبادل الصدمات، انتبه (هاشم) أن (عصام) يقود بيد واحدة بسبب إصابته، و اليد الأخرى ممسكة بالجرح، فاخرج (هاشم) مسدسه و حاول الإطلاق على إطارات السيارة، لاحظ (عصام) ذلك فقام بصدم سيارة (هاشم) حتى لا يعطيه الفرصة للإطلاق، ثم أخرج هو الآخر مسدسه و أطلق النار على سيارة (هاشم)، لا يترك له فرصة ليقرب من جانبه، فيزيد (هاشم) من سرعته و يصدم مؤخرة سيارة (عصام) بقوة، ليفقده السيطرة و تبدأ السيارة في الدوران ثم تصطدم بعمود إنارة و تتوقف.

نزل (هاشم) من سيارته و اقترب من تلك السيارة المحطمة،
فُتح بابها فجأة، فاتخذ (هاشم) حذره و اقترب ببطء من السيارة،
و في لحظة يتم إطلاق الرصاص عليه، فاتخذ (هاشم) من
إحدى السيارات المتوقفة بالمنطقة ستارًا له، و قام بملء مسدسه
بالرصاص، يصيح (عصام) مهتاجًا:

- أنت لن تقبض علي اليوم مهما حدث، فالخطة يجب أن تتم
بحذافيرها.

نظر له (هاشم) ليرى (عصام) واقفًا وبين يديه سيدة عجوزة،
يضع مسدسًا على رأسها متخذها رهينة له، فيخرج (هاشم) من
مخبئه ويرفع المسدس في وجه (عصام)، الذي ردف بشر:

- هل تظنني أمزح ولن أقتل الرهينة، أم أنك تراها عجوزة
وستموت في كل الأحوال فلست مهتمًا بموتها؟

يبدو من الملابس المهترئة لتلك السيدة العجوزة أنها فقيرة ضالة
تقتن الشارع، تستعطف الناس ليعطوها المال لتعيش، فتقول
تلك السيدة بخوف و كلمات مرتجفة (لعصام):

- لقد كنت نائمة على الرصيف بالجوار يا ولدي، فلماذا تفعل
ذلك بي، أنا لم افعل لك شيئًا.

يضغط (عصام) على رقبتها يصيح بها:

- اصمتي أيتها الشمطاء، و أنت يا حضرت الضابط ارمي سلاحك.

توقف (هاشم) قليلاً في توتر يفكر، لكن ليس أمامه الكثير من الاختيارات والوقت ليس في صالحه، فقام بإنزال مسدسه أرضاً وركله بعيداً قائلاً بحنقه:

- ماذا الآن؟... أتظن أنك ستهرب حقاً من هذا؟

- أجل سأهرب.

رفع مسدسه من على رأس تلك العجوزة و وجهه صوب (هاشم)، و قبل أن يطلق النار بثانية قامت السيدة العجوزة بضرب يده، لتفقد اتزانها و تخطئ الطلقة هدفها، مصيبةً (هاشم) في كتفه، بغضب شديد صفع (عصام) العجوزة و دفعها بعيداً عنه، ثم اعتدل في وقفته و امسك المسدس بيديه الاثنتين باحكام، و قد ابتلع الشر قلبه تمامًا و كأنه في لحظة لم يعد إنساناً بل شيطان هدفه القتل بلا رحمة، و قام بالتصويب بدقة على (هاشم) و ضغط الزناد بعجلة و دون تردد، لكن لسوء حظه نفذ مسدسه من الذخيرة، تحول وجه (عصام) من الشر إلى ذعر ارتجف له بدنه، في لحظة ادراكه أن كل شيء

سينتهي، سارع في محاولة يائسة لتعبئة مسدسه، لكنه لم يكن بالسرعة الكافية، ففي لمحة كان (هاشم) أمامه، و بكل قوة محملة بغضب مكنون في قبضتيه، إنهال على (عصام) بالضربات و اللكمات القاسية دون أدنى رحمة أو شفقة به، ليتركه على الأرض بلا حراك فاقداً للوعي ينزف الدماء.

غرفة صغيرة الحجم ألوانها هادئة يتوسطها سرير تحيطه أجهزة مختلفة الوظائف، تحاول جميعها الإبقاء على حياة (حسن)، الراقد بالضمادات على سرير المرضى بالعناية المركزة، منتظراً تلبية طلبه في مقابلة (أحمد) بشدة وإصرار، رغم قيامه بعملية خطيرة يجب أن يرتاح منها، لكن عناده الشديد جعل الطبيب يوافق على طلبه، دخل (أحمد) فقال له (حسن) بصوت خافت وضعيف منقطع بالكاد يُسمع:

- أريد أن أخبرك بأمر مهم.

- توقف يجب أن ترتاح الآن.

- أنا السبب في موت (صلاح)، كنت أعمل في تجارة المخدرات مع عصابة متخصصة في ذلك، كنت أيسر لهم الأمور وأخبرهم بأماكن التفتيش، و في إحدى عمليات

التهريب فُبِض على ابن رئيس العصابة، وكانت هذه بداية المشاكل، طُلب مني أن أقوم بتهريبه، لكنني احتجت من ألق به التهمة، فأخذت (صلاح) ظمًا مكان ابن رجل العصابة وأدخلته السجن، لكن (صلاح) لم يصمت بل ظل يتحدث عما حدث له، وعندما علم زعيم العصابة بذلك أمر من بداخل السجن أن يقتلوه،...

سعل (حسن) بعنف و أصبحت الكلمات ثقيلة تخرج بشقاء طلب منه (أحمد) أن يتوقف لكنه تابع بعنائه و صوته الخافت:

- بعد مرور سنوات اختطف ابني ولا أجد وسيلة تساعدني غير هذه العصابة، فلجأت إليهم ليساعدوني في استرجاعه، لكنهم قالوا أن طلبي مكلف، فأرادوا بالمقابل مني محو ملف كامل لأحد أخطر رجالهم، حاولت ذلك ولكن لم أستطع فطلبوا تسهيل عملية تهريب كبيرة لهم، وفعلت ذلك في سبيل أن يدلوني على المقنع، وبسبب ما حدث معي من ضيق وخلافات اتجهت إلى المخدرات، التي أنستني العالم وجعلتني مغيبًا عما يحدث من حولي، كان شعورًا جميلًا جعلني أدمنت عليها، لاحظت زوجتي ذلك ومع ضيقي منها وخلافاتي معها ما كان مني إلا أن أنفصل عنها، أصبحت حياتي بذلك في ظلام دامس، تركت وظيفتي كرجل من رجال الشرطة، و أصبحت مدمنًا للمخدرات وأتاجر بها،

ظللت هكذا لفترة حتى قال لي أحد رجال العصابة أثناء حديثنا التقليدي وقت السهر أن هنالك أحد زبائنهم الدائمين متغيب من فترة كبيرة، وبعض الشائعات تدور حول أنه متورط في قضايا المقنع، كانت تلك المعلومات بمثابة نور الأمل لي.

أمسك يد (أحمد) يضغط عليها يستجمع قواه ليتابع حديثه و لم ينتبه أحد للأرقام على الشاشات المجاورة له و هي تحذر بأن هنالك اضطراب بجسد (حسن) الذي ردف بعسر:

- ذهبت للعنوان الذي أعطاه لي الرجل فوجدت رجال الشرطة في كل مكان، لم أستطع الاقتراب من منزله، فقامت بالاتصال بأحد رفاقي من رجال الشرطة، و أخبرني بكل التفاصيل التي عثروا عليها في منزل المدعو (عصام)، فتأكدت أن (عصام) هو المقنع و ظللت أبحث عنه كثيرًا و أسأل من كانوا يوردون له المخدرات عن تفاصيل تخصه، رغم ذلك لم أجد مطلقًا إلى أن تم القبض على الإعلامية (نورهان)، بعد ذلك بعدة أيام قام (عصام) بالاتصال بأحد أفراد العصابة، و طلب منه كمية من المخدرات، ثم اتفقا على المكان و الزمان، أخبرني ذاك الرجل بكل تلك التفاصيل، لعلمه بأنني أبحث عن (عصام) بشدة، و في اليوم المتفق عليه قررت الاتصال (بهاشم) وإبلاغه بالمكان حتى

يساعدني في القبض عليه، فأنا كنت أعلم أنني بسبب إدمان المخدرات لم أعد في وعيي وغير قادر على الحراك بشكل حيوي كالسابق، وعندما وصلت لمكان التسليم وقابلته كان يبدو عليه الغضب والاستعجال، أخبرته أنني الضابط الذي اختطف ابنه، ثم دار بيننا قتال عنيف، و فجأة قام بدفعي بقوة وأخرج مسدسه فقامت أنا أيضاً بإخراج مسدسي لكنه كان أسرع، و أطلق علي أولاً طلقتين، وعندما همَّ ليغادر أطلقت أنا عليه رصاصة واحدة لكنه استطاع الحركة رغم ذلك.

نظر له (أحمد) بحزن و قال بكلمات خفيفة تخفف عن (حسن):

- لقد فُبض عليه.

- هذا خير جيد.

أغمض (حسن) عينيه ببطء رادقاً:

- لقد عشت حياة فاسدة تاجرت بالمخدرات وظلمت أناسا كثر كان (صلاح) واحداً منهم، كنت زوجاً عنيفاً لا أحترم زوجتي ولا أقدرها، وبعد اختطاف ابني حملتها كل المسؤولية وعاملتها بقسوة شنيعة، متناسياً أنها أم فقدت ابنها وتشعر بما أشعر به ألف مرة، رفضت التحقيق وحل القضية كرجل شرطة واتجهت إلى طريق العصابات وإدمان

المخدرات، ووصلت للمقنع كرجل عصابة مدمن لا يقوى
على الحراك.

تفيض منه الدموع و صوته يتلاشى تدريجيًا رادفًا:

- لقد كنت شخصًا ظالمًا حاقدًا، لكنني أطمع في طلب صغير
منك و أرجوك لا تخذلني.

(أحمد) بأسى و حزن:

- سأفعل ما تريد.

- أعلم أنه لن يساعد أحد شخصًا مثلي، و لكن أرجوك أعد
ابني حيًا، و أخبره أنني حاربت الدنيا من أجله، و أرجوك لا
تخبره بما فعلت من سوء، أخ..بر..ه ...فق..ط... كم..
أحب...ه...

سمع (أحمد) صفير الأجهزة معلنة وفاة (حسن)، ووسادته
مشبعة بدموع الندم والألم والعذاب، في شوق و حنين لرؤية
ولده.

بالغرفة المجاورة كان (عصام) جالساً على سريره يتلقى العلاج من ضربات (هاشم) و الرصاصة التي تلقاها من (حسن)، و بجواره (هاشم) بضماداته وجهه ممتعض حاملاً ضغينة شديدة، سأل بحنقه:

- أين الأطفال المخطوفون؟

لا يجيبه (عصام) ويقلب نظره في الغرفة بعدم اهتمام، فيسأله (هاشم):

- ما غايتك من كل هذا؟

لا يعره (عصام) أي اهتمام فيقول (هاشم) و صبره يستنزف:

- لقد انتهت ألعيبك، فاعترف وأجني على أسئلتني.

حدق به (عصام) قليلاً بوج متجمد ثم قال:

- أنت أغبي مما تتخيل،... أتريد إجابة لأسئلتك تلك اذهب إلى منزلي، ستجد سي دي مخبأ في مكتبي الخاص، داخل كتاب غلافه أسود يتوسطه شريطة ذهبية، تفقده وستعرف كل شيء.

شعر (هاشم) بالغضب من تلك الكلمات، لكن تمالك غضبه وقرر أن يذهب ليرى ماذا يوجد على هذا السي دي.

بعد القليل من البحث في مكتب (عصام) وجد (هاشم) الكتاب و استخرج من داخله السي دي، و عاد به لقسم الشرطة، وقام بتشغيله لتكون الصدمة المفجعة، صدمة وقف لها (هاشم) عاجزًا لا يعلم ماذا يحدث و ماذا يفعل، صدمة تملكته بقوتها و سيطرت عليه تشعره بالضعف واليأس والهزيمة لما رأى وسمع، فتخرج منه جملة مريرة من قسوة ما شعر به:

- أبعد كل هذا العناء والصراع لم نصل لشيء؟... كيف يحدث هذا؟... ومن هذا؟

احتوى السي دي على مقطع فيديو به رسالة موجهة (لعصام)، بدأ برجل جالس في مكان مظلم مرتديًا ملابسًا سوداء يصعب التعرف على هيئة جسده من شدة الظلام، مرتديًا قناعًا فضيًا لمرأة ما، و يحمل في يده ريشة ناصعة البياض،... أجل لقد كانت رسالة من المقنع المنتقم، يقول (لعصام) بصوته الغليظ محمل بالغضب و بتهديد واضح و صريح:

- أنا عمك الأسود في هذه الحياة، لن ترى ولدك مرة أخرى إن لم تنفذ ما أمرك به، وإذا فكرت للحظة في إبلاغ الشرطة

سأرسل لك ولدك قطعًا في حقيبة سوداء كالدجاج، فلا تبحث معي.

ثم يريه ابنه مربوطًا ومغمض العينين، يصرخ منادياً والده ويستنجد به، ثم يردف بصوته المخيف:

- سأرسل لك ما هو مطلوب في رسالة على الإيميل، وصدقني إن فكرت في اللعب معي سوف تندم ندمًا شديدًا.

وانتهى الفيديو بذلك، ليشعر (هاشم) أنه عاد لنقطة الصفر، وإلى أكثر سؤال مَلَّح لا يعثر له على إجابة:

- من هو المقنع المنتقم؟

تذكر (هاشم) قول (ياسر) و (شهد) أنه كان يوجد ولد رابع في المكان الذي كانا فيه، الآن أصبح يعلم ابن من هذا الولد إنه ابن (عصام).

عاد (هاشم) في استياء يجر خييات الأمل إلى (عصام) يقول له:

- اعترف وصدقني لن يحدث لابنك شيء، وسوف نقبض على المقنع، و نعيد ابنك لك سالمًا.

نظر (عصام) (لهاشم) وعلى وجهه الاستياء والحزن
والهزيمة:

- سأحدث فقط لأنني فشلت فيما طلبه المقنع، وسأضع كل
أمالي عليك حتى تعيده لي.

بكلمات مهزوزة طمأنه (هاشم):

- لا تقلق سأعيده إليك.

- أول عملية خطف حدثت كانت عملية خطف ابني، تدمرت
حياتي إثر ذلك، خسرت زوجتي و وظيفتي و أصدقائي،
أرسل المقنع ذلك السي دي ليبتزني به، وفورًا بدأت طلبات
المقنع تأتيني على الإيميل، طلب في أول الأمر سيارة من
سياراتي الخاصة، أرسل بعض أدواته إلي، كقناعه وملابسه
السوداء ومضخم الصوت و غيرها، ثم أعاد إلي السيارة بعد
مدة، وأمرني بتركها عندي وعدم استعمالها، ثم أعطاني
رسالة وطلب مني أن أرتدي قناعه وملابسه وأذهب إلى
شقتك في وقت قد حدده هو، وعندما دخلت في الوقت المحدد
ووضعت الرسالة كنت أنت قد أتيت وحدث ما حدث، ولكني
استطعت الهرب منك.

نبهني المقنع بالأعود لمنزلي لأن الشرطة تراقبه وقامت
بتفتيشه، فأدركت أن ما كان يرسله إلي هي أدلة تثبت أنني
المقنع ذاته، ذهبت لشقة أخرى أمتلكها وجلست بها، مع ذلك
لم يتركني بل طلب مني أن أكون حلقة الوصل بينه وبين
(بهجت)، وفي كل مرة أحاول أن أعصي أوامرهم يسمعونني
صرخات ابني، فلا أستطيع إلا أن أكون عبداً عنده، نفذت
ما طلبه بالحرف الواحد حتى تمت عملية اختطاف حفيد
(سعد)، ومن وقتها لم يبق لي شيء إلا أن أطلب أمر آخر و انقطع
الاتصال به.

(هاشم) متسائلاً عما فعل بعد ذلك، ليرد (عصام) باستياء:

-كنت في ما مضى أتعاطى المخدرات من وقت لآخر، ومنذ
اختطاف ابني لم أتعاطى شيئاً، وعندما لم يأمرني المقنع بما
يريد، و توقف التواصل بيننا لفترة كبيرة، ومع خسارتي
لولدي وزوجتي وعملي وحياتي وأصبحت المتهم الأول في
جرائم الاختطاف، كان لا بد أن أتعاطى القليل من المخدرات
التي تنسي الهموم، لذلك تحدثت لمن يوفر لي المخدرات
واتفقت معه، وفي يوم التسليم ذهبت وكان معي سلاح،
فأنا لن يتم القبض علي مهما كان، حتى أتمكن من انقاذ ابني،
ولكن لسوء حظي كان الأمر فحاً، فمن أتى كان ضابط

الشرطة الذي قد اختطف ابنه، وتم القبض علي وانتهى بي المطاف هنا خاسراً كل شيء.

صمت قليلاً و الحزن بادر في عينيه ثم تابع مخاطباً ذاته بصوت بائس مسموع قائلاً بندم شديد:

- أنا رجل قدر أعلم ذلك، وحياتي مليئة بالذنوب والأخطاء، وسبب كل ما أمر به الآن هي جريمة قديمة قمت باقترافها وأنا نادم أشد الندم عليها، و هذا ما أراده المقنع، فها أنا هنا محبوس بتهمة لم أرتكبها وجميع الأدلة ضدي، لذلك أتمنى أن يترك ابني، و يعفو عنه.

تذكر (هاشم) ما قاله المقنع سابقاً في قضية (نور) فسأل:

- من المتهم الآخر في قضية (نور)؟

في تردد و تلعثم أجاب (عصام):

- إن... إنه (سالم) ابن (سعد إسماعيل) باشا.

هكذا اكتملت الصورة (لهاشم) و علما لماذا اختطف حفيد (سعد)، فجأة أمسك (عصام) يد (هاشم) يترجاه أن يعيد ابنه، فيجيبه (هاشم):

- سأعيد ابنك ولكني أحتاج إلى دليل أو معلومة عن المقنع،
فهل لديك أية معلومات أو ملحوظة قد تساعدنا في التحقيق؟

صمت (عصام) قليلاً يفكر، فجأة تبدل وجهه و تذكر شيئاً مهما
قائلاً:

- عندما أمرني بأن أترك سيارتي في مكان ما، ليأتي هو
لأخذها، وقفت بعيداً أراقب حتى أتى وأخذ السيارة، فتتبعته
حتى وصلت إلى فيلة ما قد دخل لها، فاتخذت أمري
باقتحامها في الليل، لكن لم يمضي الكثير من الوقت حتى
وردني اتصال من المقنع، يخبرني بأنه يعلم بأني تتبعته، و
نيهني بأن ابني ليس في الفيلة، و أنه إذا اقتحمها أو أخبرت
الشرطة فستنتهي حياة ابني، فتوقفت ونسيت الفكرة تماماً
وقررت تنفيذ ما يأمر به.

- أجبني بسرعة أين تلك الفيلة؟

أعطاه (عصام) العنوان، ليذهل (هاشم) قائلاً:

- أنا أعرف هذا المكان، إنه... ولكن كيف؟!!

الفصل العاشر

(قناع الباشا)

تصل الشرطة بقيادة (هاشم) إلى الموقع الذي حدده (عصام)، وتصل أيضاً سيارات سوداء مميزة، نزل منها (سعد) والحرس الخاص به، لا يتعجب (هاشم) وجوده فهو يعلم الآن أن (سعد) له أذان بكل مكان، نظر له (سعد) بحنقه وهو يشعل سيجاره قائلاً بنعالى:

- جنئت بنفسى لأستعيد حفيدي الغالى بيدي، ولن يوقفني أحد.

لا يكثر له (هاشم)، يتحرك الجميع لاقتحام الفيلة، وفور اقتحامهم يرون رجلاً يرتدي ملابس سوداء وقناع سيدة مميز، يحمل بيده ريشة بيضاء، إنه المقنع جالس على كرسيه المتحرك في ثقة متناهية وسط بهو الفيلة، أمر (هاشم) رجاله بتفتيش الفيلة جيداً، وكذلك (سعد) أمر حرسه بنفس الأمر،

تحرك كل الرجال، ليبقى (هاشم) و(سعد) والمقنع وسط بهو
الفيلة الشاسعة وجهًا لوجه، فزفر (سعد) بغضب قائلاً:

- سيطر عليك غرورك و ظننت أنك ستفر مني، لكن صدقني
لن أرحمك، وسأجعلك تندم على كل ثانية فكرت فيها في
التطاول و خطف حفيد (سعد إسماعيل) باشاء، أنت لا تعلم
ماذا يمكن أن أفعل بهاتفي فقط دون أن أتحرك من مكاني،
سأسحقك تحت حدائي كالحشرة المتعفنة أيها القذر أتفهم.

لا يجيبه المقنع أو يبدي أي اهتمام لما قاله فسأله (هاشم):

- لماذا الآن و قد مضت أكثر من عشر سنوات!؟

لا يتحرك للمقنع طرف، فيردف (هاشم).

- من ساعدك على فعل ذلك؟... لماذا قمت بأكثر من عملية
خطف ألا يكفي واحدة؟... لماذا أدخلت أناساً أبرياء في
قضيتك؟

لا يجيب المقنع نهائياً، ولا يبدي أية ردة فعل لما يقال، فيضحك
(سعد) باستهزاء و سخرية قائلاً:

- اتركه الآن فهو في دهشة من وصولنا، عقدت لسانه، لكنني
سأمر رجالي بجعله يتكلم.

- كم أنت ساذج لقد كان يعلم بوصولنا، ألا ترى أنه جالس مرتديًا قناعه وملابسه بكل ثقة، إنه أذكى مما تتوقع، أليس ما أقوله صحيحًا أيها المقنع المنتقم، أم يجب أن أقول يا (جلال) باشا.

عندما قال (هاشم) ذلك الاسم وكأنه قال كلمة سر حركت المقنع، وبدأ يستجيب بحركة بطيئة، وقف على قدميه جيدًا، ثم نزع قناعه ببطء ليريا كلاهما وجه (جلال)، حزن الماضي محفور على وجهه، يقول بغضب يتطاير من حروف كلماته:

- سبب حدوث كل هذا هو ذلك الرجل القدر الذي يقف بجوارك، هو من قتل ابنتي.

ويشير صوب (سعد) الذي نفخ دخان سيجاره ببرود، و بنظرة متعالية قائلاً:

- أنا لا أتذكر أنني تعاملت مع حثالة من قبل.

يتابع نفخ سيجاره بفخر وبدون اهتمام لما سيقوله (جلال) الذي تابع في بغضبه:

- عشر سنوات مرت علي بالأسى والحزن المرير، كل يوم كان عذابًا بالنسبة إلي، فبسبب تلك الحادثة عاشت ابنتي

وحيدة في ظلام معتم لا نهاية له، لقد تركها كل من حولها، لم يعد لها طاقة أو رغبة في الحياة، كانت في بعض الأوقات تحلم بذلك اليوم المشؤوم وتستيقظ في الليل تصرخ وتبكي بجنون، حاولت التخفيف عنها بكل الطرق و الوسائل ولكن دون جدوى، كانت في بعض الأوقات تنظر للحائط وتحدث نفسها، أتعلم ما هو شعور أن ترى ابنتك الوحيدة تشعر بالألم والعذاب ولا تستطيع مساعدتها، لقد كنت أحتضن ابنتي في بعض الأوقات وأبكي أنا وهي معاً،... ظلت تلك الحال لمدة خمس سنوات، وخلالها جعلت (نور) تخضع لعلاج نفسي مع أحد أكبر الأطباء، حتى بدأ بصيص الأمل بالظهور، فحالتها بدأت تتحسن بوتيرة بطيئة، لكن فرحتي لم تكتمل، ففي يوم ما كنت أنا و هي نتناول الطعام في إحدى المولات الكبيرة، و بينما نحن نأكل و نضحك سويًا رأيت (نور) شيئًا لا أعلم ما هو، نزع فرحتها و أعاد الأم الحادثة مرة أخرى، توقفت عن الضحك، سقط الطعام من يدها و انهمرت منها الدموع، لم تعد تتحدث أو تعطي أي تعبير عن حالتها، و في ذلك اليوم المشؤوم...

تسقط دموع (جلال) رغماً عنه، و بتلعثم تابع:

- في ذلك اليوم ابنتي الوحيدة الغالية ا..ا..ان... انتحرت، ماتت وحيدة خاسرة لكل ما يمكن أن تتخيله، بل ومتهمة بأن مؤسستها الخيرية كانت مكان للدعارة والمشبهوات.

استجمع (جلال) رباطة جأشه رادفًا بحدة:

- لما حدث كل هذا لابنتي؟... ماذا فعلت حتى تستحق ذلك؟... كانت تعمل بجد تساعد الفقراء و المحتاجين، قامت بتأسيس مؤسستها الخيرية حاملةً بأن تقضي على الفقر تمامًا، لقد حلمت حلمًا كبيرًا، وكان لها هدف عظيم، حطمه ذلك القدر وابنه الملعون في لحظات.

انزعج (سعد) وبغضب عقب:

- أنا لا أتذكرك أنت وابتنتك العاهرة تلك، فانتبه لكلامك فأنت لا تعرف مع من تتعامل، واحترم أسيادك حتى لا أنهيك الآن، فأنا صبري له حدود أتفهم.

نفث دخان سيجاره و تابع:

- لا تبكي على ابنتك الضعيفة فقد ماتت من زمن بعيد، و ابكي على حالك الآن، فسوف أجعلك تتمنى الموت لخطفك حفيدي الوحيد أيها الوغد أتفهم.

يحتد (جلال) أكثر قائلاً بغلظة محملاً بيبغض:

- عشت خمس سنوات بدون ابنتي، أنهيت فيهم أعمالتي وأصبحت جليس المنزل أفكر في شيء واحد، وهو الانتقام من كل من ظلم ابنتي، الانتقام من المغتصبين (عصام) وابن ذلك الرجل، والانتقام من الضابط (مسعود) الذي قام بتغيير المحضر وأتلف الأدلة وأغلق القضية، مقابل رشوة من هذا الشيطان ليخرج ابنه من القضية بريئاً، ولا يُذكر حتى اسمه بالمحضر، ومن هنا بدأت البحث وجمع المعلومات حتى علمت بأمر (صلاح) والضابط (حسن)، وبأمر (أشرف) وصديقه (حازم)، واستخدمت تلك القضيتين لتشتيت الانتباه عني، حتى أستطيع الحصول على الوقت وخطف حفيد ذلك المتعطرس.

توقف (سعد) عن تدخين سيجاره للحظة مقاطعاً (جلال):

- لقد تذكرتك الآن، لقد جئت إليك وعرضت عليك المال لتتنازل عن تلك القضية، وأنت وتلك العاهرة قد رفضتما، وقلتما هذه الأمور لا يحلها المال.

(جلال) في غضب عارم وبانفعال مدوي:

- شخص يعرض علي المال لأتنازل عن حق ابنتي، بدم بارد، و قلب خالي من أي ذنب يقول:

"أنت تعلم طيش الشباب، ثم ابني لم يقتلها إنها سليمة واقفة أمامك، ولقد وبخته على ضربها بالعصى"

يزداد صوت (جلال) قوة و غلظة:

- عندما أخبرته برفضي وأن الأمر لا يحله المال، فأخبرني أن كل شيء بالمال يشتري، ويجب أن أقبل ماله لأنه في كل الأحوال سيخرج ابنه بريئاً من القضية، أي شخص يقول ذلك فهو شيطان بلا دين أو أخلاق أو شرف.

يضحك (سعد) باستهزاء قائلاً:

- نحن أسياد و أنتم الضعفاء، أقل منا شأنًا و أهمية، خلقتم لخدمتنا و إطاعة أوامرنا، لذلك عليكم معرفة مكانتكم و خدمة أسيادكم دون تذمر أو تكاسل، و إذا تطاولتم سيكون مصيركم الموت و بأقل و أرخص الطرق تكلفة، و هذا هو القانون العالمي الذي قامت على أسسه أقوى الدول.

لم يكلف (جلال) نفسه شقاء الرد على كلامه و اكتفى بنظراته الحادة تحديق بضعفينة (السعد)، في حين دخل عليهم رجال

الشرطة بعد التفيتش، وقد وجدوا الأولاد المختطفين والأدوات التي استخدمها (جلال) لتغيير صوته وتسجيل الفيديوهات، لاحظ (هاشم) أن عدد الأولاد ثلاثة والمفترض أن يكون أربعة، ابن (حسن) وابنة (مسعود) وابن (عصام) وحفيد (سعد)، فدخل حرس (سعد) يقولون له في قلق، لم نجد حفيدك، فتعجب (سعد) جميع الأولاد هنا ما عدا حفيده كيف؟... فيؤكد عليهم البحث في كل أرجاء الفيلة ليجيبوه أنهم بحثوا في جميع أركانها وزواياها مرارًا و تكرارًا، فنظر (سعد) (لجلال) بنظرات شيطانية محملة بالغضب تفوح منها نوايا القتل، يصيح بعدائية و بأعلى صوته:

- أين حفيدي أيها الوغد أجب؟... أين وإلا أنهيت حياتك الآن، أين هو؟

يرى الجميع التغير المفاجئ (لجلال)، فتعالى صوته بالضحك ضحكات المنتصر بقهقهات مدوية، يتوجه إلى كرسيه الخاص ذو التصميم المميز و الفاخر، موضوع على منصة من الرخام تعلق عن الأرض نصف متر، موجود في منتصف الفيلة، يجلس عليه ويضع قدمًا على الأخرى يسند رأسه لقبضته ببسمة عريضة أمام الجميع، وكأنه ملك منتصر في حرب طاحنة، و التعالي و العظمة على وجهه و تصرفاته، و في لحظة عم فيها

الصمت المكان، أعين الجميع منصبة على (جلال) لسماع كلماته وهو يقول بتجلي وابتسامه النصر على وجهه:

- لقد دفنته حيًا.

تعنلي الصدمة وجوه الجميع، يتأملها (جلال) بسعادة، ثم يردف:

- لقد خدرته، ووضعتة في تابوت ودفنته،... أنا لست بارعًا في علم الأحياء ولكن أعتقد أن الأكسجين الذي لديه قد يبقيه حيًا لمدة ثلاث ساعات، أما إذا استيقظ وقلق وبدأ بالبكاء فسيستهلك الكثير من الأكسجين ويموت في غضون ساعة أو ساعة ونصف.

كانت كلماته تلك صاعقتا للجميع، كيف يقوم شخص بدفن طفل عمره سبع سنوات حيًا هكذا، أي قلب هذا الذي يفعل ذلك، أمر (هاشم) رجاله بأن يحفروا الحديقة كلها، انفجر (سعد) ثائرًا، وأخرج مسدسه في وجه (جلال) مهددًا بصياح مدوي:

- أخبرني أين دفنته وإلا قتلتك.

بضحكات ساخرة قال (جلال):

- لست غيبًا لأدفعه بالحديقة، و أيضًا ليس لي رغبة في الحياة، فاقتلني وأرحني، أرسلني إلى ابنتي و سأكون شاكراً لك.

أطلق سعد طلقتان تحذيريتان حول (جلال)، لكنهما لا تؤثران به، بل لا يتحرك له رمش، جالس كالملك قدم على الأخرى مبتسماً، يخرج من جيبه سيجاراً فاخراً كالذي يدخنه (سعد)، و يدخنه في انسجام، كله ثقة وثبات، ليتأكد (سعد) من مظهره هذا أنه لن يتحدث مهما هددته، فيلقي سلاحه ويسأله بضيق:

- ماذا تريد مني؟

(جلال) مبتسماً ينفخ سيجاره باستمتاع، لا يبالي (لسعد) قائلاً في برود:

- لا شيء.

يهتاج (سعد) بأعلى صوته:

- إذا ماذا أستترك حفيدي ليموت هكذا؟!!

- أجل فأنا فقدت ابنتي، فلتفقد أنت حفيدك وهكذا نكون متساويين.

بدأ يتسلل الضعف والخوف إلى (سعد) و بدأت نبرة صوته تضعف و تهتز:

- أرجوك لا، فهو حفيدي الوحيد.

(جلال) بكل يرود ولا مبالاة مستمتعًا بسيجاره:

- وماذا في ذلك، (نور) أيضًا ابنتي الوحيدة وماتت، صدقني ستعتاد الأمر.

نظرات الثقة في عين (جلال) ثابتة لا تهتز، و بروده في التعامل و عدم اهتمامه نهائيًا (بسعد) و حديثه، رسخ رعبًا داخل (سعد)، بأنه لن يرى حفيده مرة أخرى، فتقدم (سعد) ليقف أمام (جلال) قائلاً:

- أرجوك أين حفيدي، إنه الوحيد الذي يحمل اسمي، وآخر من تبقى في العائلة من بعد وفاة ابني.

نظر جلال له بابتسامة الشيطان، و عيون الكره الجاحظة المملوءة بظلام الانتقام، قائلاً:

- سأعطيك ما تريد من المال وتنسى حفيديك.

تلك الكلمات أسقطت (سعد) على ركبتيه أمام (جلال)، يقول له
بضعف:

- هذه حياة إنسان، لا يجوز أن تساومها بالأموال.

نظر (جلال) أسفل قدمه ليرى وجه (سعد)، قائلاً:

- لقد أخبرني أحمق ذات مرة أن أي شيء يشتري بالمال،
وأنا سأشتري حياة حفيدك، فكم تطلب من المال؟

كانت سخرية القدر تلك سبباً في بتر كلمات (سعد)، مذهولاً
مما سمع، لتخون دموعه تكبره، و تتساقط من عينه معلنة
انكساره، فيتابع (جلال):

- الحياة للقوي والضعيف يموت وأنا كنت قوياً وحفيدك
ضعيف، لذلك سيموت بالبطيء مختنقاً مدفوناً في مكان لا
يعلمه أحد، ولن يغير رأي شيء، فبدل بكائك هنا اذهب وابدأ
في إجراءات عزاء حفيدك.

(سعد) في تلعثم وبكاء بذل، رأسه أسفل حذاء (جلال):

- أرجوك أتوسل إليك خذ كل أموالي وممتلكاتي، خذني أنا بدلاً
منه لكن أرجوك اترك حفيدي الوحيد، فهو مازال صغيراً،
أرجوك أتوسل إليك الرحمة بحفيدي.

فجأة تبدل حال (جلال) ضرب ذراع الكرسي بعنف قائلاً
بانفعال متجلجل:

- و أين كانت تلك الرحمة عندما كانت ابنتي تناجي، أين
كانت تلك الرحمة عندما تاجرتم بعرضها و شوهتكم سمعتها
ها، أجبني أيها المتعطرس القذر.

لم يعلق (سعد) و الدموع تتساقط منه وهو يترجى (جلال)
و يتوسل منه العفو، فزفر (جلال) في ضيق حاد رادفاً في
مرارة:

- سأكون كريماً معك، رغم أنك لا تستحق هذا الكرم مني،
لذا سأعطيك فرصة واحدة فقط، سأسألك عدة أسئلة أنا
أعرف إجاباتها الحقيقية، لكنني أريدك أن تقول تلك الإجابات
الحقيقية بصوت عالي مسموع بوضوح، وإذا كذبت في
سؤال واحد لن ترى حفيدك مرة أخرى و سأ...

(سعد) مقاطعاً في لهفة و ذل دون تردد:

- موافق موافق.

يتشفى (جلال) من منظر (سعد) الذليل أمامه، يسأل بأعين
جاحظة متربصة:

- ماذا فعلت في قضية (نور)؟

اعترف (سعد) أن ابنه (سالم) وصديقه (عصام) اعتديا عليها،
و قام هو برشوة الجميع ليقفوا ضدها، و الضابط (مسعود)
عدّل المحضر ومسح الأدلة، ليضلل التحقيق.

- ماذا فعلت مع (نور هان) بعد ما حدث لها وسجنت؟

صمت (سعد) قليلاً في تردد، لكن لا مفر ولا مجال للكذب،
فأجاب:

- لقد قتلتها وأصقت التهمة (بمسعود)، وأخذت حاسوبها
الشخصي لأن به معلومات تخصني وأسراراً أخرى في غاية
الأهمية.

- أين خبأت حاسوبها؟

- أرجوك إلا هذا، أنت هكذا ستتسبب في مشاكل أنا بنفسني
لست نداءً لمواجهتها.

قال (جلال) ببرود، دون الاهتمام لما قاله (سعد):

- لا تضع الفرصة الثمينة التي وهبتها لك، فهي لن تتكرر مرة أخرى، سأسألك مرة أخرى و تذكر أجبني بصدق والإلا...

ثم تملقه بنظرة خبيثة يعي (سعد) معناها، أعاد (جلال) سؤاله، فصمت (سعد) لبرهة، ثم أجاب بحنقه:

- لقد خبأتها في الخزانة الخاصة بي في فيلتي، ورقمها تسعة أربعة اثنان صفر.

ابتسم (جلال) و ربت على رأس (سعد) برفق قائلاً:

- أحسنت الإجابة.

ثم أخبره عن موقع حفيده، الذي دفنه في نفس المكان الذي تم الاعتداء فيه على (نور)، وأعطاهم الموقع بالتحديد، ليتحرك كل من رجال الشرطة والحرس الخاص (لسعد) إلى الموقع، ليجدوا لافتة سوداء وعليها رمز المقنع، حفروا أسفلها ووجدوا التابوت، و بداخله (محمود) نائمًا ومعها أنبوبة أكسجين متصلة به، ليتنفس و لا يموت مختنقًا، لينتهي بذلك هذا اليوم العصيب بالقبض على المقنع المنتقم الذي سبب الذعر للمجتمع، والعثور على الأولاد المختطفين وإرجاعهم لأهلهم سالمين، وهكذا اغلقت قضية المقنع المنتقم.

وجها لوجه بدون أقنعة أو أجهزة تغيير صوت، وسط غرفة التحقيق جلس (هاشم) أمام (جلال) بأعين متربصة، طرح الأسئلة تتابعًا، لكن لا إجابة يتلقاها من (جلال)، حاول (هاشم) جعله يعترف على مساعدته وكيف قام بعمليات الخطف، لكن دون جدوى، ليقول له (هاشم) بحيرة:

- يوجد الكثير من الأمور المبهمة، لا أجد لها إجابة، وأنت الآن مقبوض عليك و لا مفر لك من هنا، فاعترف بما اقترفته فقد يخفف عنك الحكم.

(جلال) بهدوء وبرود تام يجيبه:

- لم يعد لي رغبة في الحياة، لا أهتم إن بقيت بقية حياتي في السجن أو في فيلتي، فكلاهما متشابهان، ولن أجيئك عن أسئلتك تلك فالساحر لا يخبر الجمهور عن خدعه.

فقد (هاشم) الأمل في أن يتحدث (جلال) ويعترف بأي شيء، فيتركه ليواجه مصيره ويمضي بعيدًا، لكن قبل أن يغادر و عند باب الغرفة ينادي (جلال) على (هاشم)، و يقول له بنظرة خبيثة و ابتسامة انيقة:

- لم تكتمل الخدعة السحرية بعد.

لم يفهم (هاشم) مغزى الكلام، لكنه رغم ذلك همَّ بالرحيل، فقد انتهت القضية بذلك، و سيجاول في المرات القادمة استجواب (جلال)، لعله يتحدث و يعترف بكل ما يريد (هاشم) معرفته.

الفصل الحادي عشر

(نقطة الضعف)

مرت ثلاثة أيام منذ أن تم القبض على المقنع المنتقم، الآن يشعر (هاشم) بأنه يحتاج إلى اجازة ليرتاح من تلك القضية المهلكة، فها هو جالس في أحد المطاعم الفاخرة مرتدياً ملابسه الأنيقة في انتظار حبيبته، التي غاب عنها كثيراً، لم يطل انتظاره حتى رأى إحدى الأميرات تدخل المطعم، بطلةً بهية تُفرح القلب، متألقة في حجابها الأنيقة و فستانها الرقيق البسيط المحتشم، مع قليل القليل من المكياج الهادئ، ليضيف لمسة جمال بسيطة لجمالها، تتجه نحوه بابتسامة ملوحة له، يبادلها (هاشم) الابتسامة ويلوح لها، بقلبٍ يخفق بالحب والسعادة، فكم هو محظوظ بأن تلك الأميرة الفاتنة قد وافقت به ليكون شريكها بالحياة، جلست معه بعد غياب طويل، تغنى (هاشم) بأعذب كلمات العشق و الشوق، لتخجل (ورد) في حياء من روعة الكلمات التي أطربت قلبها، نظرت (لهاشم) بخجلها البريء،

تعنذر عن تأخرها، تقدم الشكولاتة تعبيرًا عن اعتذارها، فقال
(هاشم) بمودة:

- أنا لكي كالزهرة تنتظر المطر لتحيًا.

(ورد) بخجل و كلمات رقيقة:

- أنت هكذا تصفني فأنا من انتظرت كثيرًا في شوق لهذه
اللحظة.

- لم أشعر يومًا بمعنى السعادة إلا معك، لم أرى ألوان الحياة
إلا بعينيكي، و لم تخرج ضحكاتي صافية صادقة إلا
بجوارك.

أخرج (هاشم) من جيبه علبة حمراء من القطيفة، فتحها ببطء
وقدمها (لورد) رادفًا:

- يا أجمل من رأيت عيناى، هذا أقل شيء أستطيع التعبير به
عن حبي.

- الخجل لم يفارق وجه (ورد) للحظة بل تزايد أكثر و أكثر،
عجزت الكلمات في التعبير عن السعادة التي غمرت قلبها،
مدَّ (هاشم) يده (لورد)، فتضع يدها في يده ليمسكها برفق
يلبسها الخاتم، قائلاً بحنان:

- أنتِ ليا حياة.

فنفكت (ورد) بصعوبة وسط خجلها:

- أحبك.

- أحبك يا وردة حياتي، سأكون لكي الحياة التي تتمنين، حتى تنبت ورودنا الفواحة، ويكبر بستاننا ويزدهر بحبنا الجميل.

- سيكون بستاننا أجمل بستان، فبذوره الحب و سنرويه بالعطاء.

- ما رأيك ماذا نسمي أول وردة لنا؟

- لا تستبق الأمور، لازلنا مخطوبين.

- أعلم ولكن عندي رغبة في معرفة الاسم الذي تفكرين به لأول وردة لنا.

- لم أفكر في ذلك من قبل،... ولكني أريدك أن تعدني بأن أول وردة لنا سأقوم أنا بتسميتها.

- أعدك يا وردة حياتي.

قُدِمَ لهما الطعام، تناولا به بسعادة، ثم ذهبان ليتمشيا بالقرب من نهر النيل، متناسيان ما حولهما، كلمات الحب والغزل بينهما تفيض بالقليل مما غمر قلوبهما، لم يتسع اليوم لكلماتهما، و انتهى في لمحة لم يشعر بها تمضي، أوصل (هاشم) (ورد) ليبتها، ودعا بعضهما، و ظل (هاشم) متوقفاً بسيارته حتى تأكد أن (ورد) دخلت عمارتها، ثم غادر سارحاً في أغاني الحب والعشق، راسماً في خياله كيف ستكون حياته مع (ورد) في المستقبل.

دخلت (ورد) عمارتها ووقفت أمام المصعد، سعيدة تحلم بالغد الذي ستصبح به زوجة (هاشم)، ظلت (ورد) غارقة في تلك الأحلام السعيدة حتى فُتِحَ باب المصعد، لتندesh عند رؤية الشخص الذي في المصعد، قائلة بقلق:

- ما... ماذا تريد؟!!

عاد (هاشم) لمنزله يتراقص من جمال يومه، يندندن بمقاطع متفرقة لأجمل أغاني الحب، لا يفارق عقله صورة (ورد) وابتسامتها وضحكتها وجمالها، نام سعيداً بعقل مشغول (بوردي)، متمنياً أن يراها في أحلامه.

قبل الفجر بقليل رن هاتف (هاشم) قاطعاً نومه، لا يهتم له ويحاول النوم، لكن الهاتف لا يتركه، و يتابع الرنين مراراً وتكراراً، فاستسلم (هاشم) له و أجاب بضيق، وهو في شدة التعب والنعاس بدون النظر لرقم المتصل قائلاً بنعاس:

- من الذي يتصل في هذا الوقت المتأخر؟!!

سمع (هاشم) صوت تحركات كثيرة عشوائية، ثم صمت تام للحظة، ثم فجأة سمع ذلك الصوت الغليظ القوي، صوت شيطان يعرفه جيداً، صوت أيقظ (هاشم) في رمشة عين، لينتبه انتباهاً كاملاً لتلك المكالمة، عندما سمع الصوت يقول:

- كيف حالك يا حضرت الضابط (هاشم).

صمت (هاشم) قليلاً في قلق يحاول التركيز أكثر، منكرًا ما أقره عقله قائلاً في تخبط:

- من المتصل؟!!

بضحكات غليظة أجاب المتصل:

- هل نسيتني بتلك السرعة، أعتقد أنني لم أغب كثيراً،... أنا المقنع المنتقم يا حضرت الضابط (هاشم) هل نسيتني؟

شعر (هاشم) بالضيق والغضب لقد علم أنه المقتع عند سماعه لصوته، لكنه تمنى أن يكون شخص يمزح أو أنه يتوهم، أو حتى كابوس بشع يمر به، انفجر (هاشم) قائلاً بصياح مدوي:

- لست (عصام) ولا (بهجت) ولا (جلال)، إذا من أنت أجبني؟

- أنا لست إنساناً، بل أنا كيان وُلد من أفعالكم القذرة، تظن أنني الشرير هنا و لكن إذا نظرت من حولك، ستعلم أنكم الأشرار و أنا الطيب الذي يحقق العدل هنا، فكم من شخص تم ظلمه و تعذيبه و انتهاك حقوقه، و فوق كل ذلك يتم اعتباره مجرمًا ليعيش بقية حياته في ألم مريع، و أبسط مثال على كلامي (صلاح) و (نور) و (حازم)، انظر إلى ما حدث لهم و هم ليسوا الصورة كاملة لمجتمعنا، و لكن جزء بسيط لا يُذكر منه، و صدقني كل من تظنهم جيدين من حولك أيًا كانوا هم فاسدون، و فسادهم هذا أدى إلى مولدي لأضع حدًا لكل ذلك، فأنا الظلم و الألم، أنا الحزن و الأسى، أنا دموع و صرخات المظلومين في جوف الليل الدامس، و لن أرحم أحدًا حتى أنفذ عدالتي.

- أتظن حقًا أنك بطل، و أنك تنفذ العدالة، أيها الأحمق بسببك مات أناس، و يُتم الأطفال، و ذعر الناس، و تقول لي عدل أي

عدل هذا؟... أتظن أننا في غابة، يأخذ الجميع حقوقهم بأيديهم.

- بل أسوأ من الغابة، فالقوي يقتل الضعيف وفي أعين الناس الضعيف هو الظالم الذي يستحق الموت، لقد بني مجتمعنا على الكذب والظلم والخداع، وأصبحت حياتنا كذب في كذب، وجميع من خاف من المقتع هم من يرتكبون الذنب في الظلام، لقد أظهرت حقيقة مجتمعنا بما فعلت، حتى أنت رأيت أصدقائك الضباط كيف كانوا مذنبين، وكيف كانت (نورهان) تتلاعب بعقلك أنت والمشاهدين، وكيف استغلّيت المعلومات التي اعطيتهما إليك لتبدو كالبطل، نحن حقًا أسوء من الغابة، وضعنا القوانين لخدمة الفاسد الكاذب، ليستغل الفقير الضعيف.

- أنت مختل عقليًا.

- ربما، أو ربما أنا العاقل وأنتم المختلون عقليًا.

- سأقبض عليك مهما كلفني الثمن.

- سبق وأن قلت لك سأصل لما أريد أمام عينيك، ولن تستطيع فعل شيء، بل وستساعدني في الوصول لما أريد.

- لا تضحكني، لن تستطيع أن تجعلني أسا...

المقنع مقاطعًا بحدّة و صياح أمرًا:

- أريدك أن تُخرج (جلال) من الحبس، وتُعدل المحضر
وتلصق جميع التهم (بعصام)، وأنه هو المقنع الحقيقي، ولا
يذكر اسم (جلال) نهائيًا في القضية.

فيضحك (هاشم) باستهزاء ساخرًا:

- أتظن حقًا أنني سأفعل ذلك، كم أنت أحمق، و سأجعلك تندم
على هذا وسأل...

فجأة ظهر صوت (ورد) بالبكاء و الصياح:

- أرجوك ساعدني يا (هاشم)، أرجوك أنقذني...

صدمة صاعقة ضربة (هاشم)، ليقول في دعر:

- (ورد)... لا... لا... لا لا لا يمكن، لا تقلقي يا حبيبتني سوف
أنقذ...

ضحكات المقنع تعلو وتعلو أكثر، ليثور (هاشم) بذروة غضبه
بالسباب و التهديدات والوعيد، لكن المقنع بهدوء تام قال:

- لا تتحدث بما لا يمكنك فعله، فهذا ليس في صالحك، لكن أخبرني ما رأيك، كنت تظن أنه ليس لك نقطة ضعف.

يضحك أكثر وأكثر، ثم يتابع:

- حياة مخطوبتك حبيبتك تعتمد على تنفيذك لما طلبته منك، وإذا رفضت فاعلم أنك لن ترى (ورد) ثانية، وستزور قبرها لتضع الورود عليه، ونصيحة لك أسرع في تنفيذ ما طلب منك، (فورد) فتاة جميلة وأنا شخص يُقدر الجمال ويحبه، فقد أُرغب في أن أتسلى قليلاً قبل أن أقتلها.

تصرخ (ورد) بدموعها عاليًا:

- أبعد يديك القذرة عني، أنقذني يا (هاشم).

تترنأ ضحكاته الشيطانية عاليًا، تصيب سامعها بالخوف والرعب، أنهى اتصاله تاركًا (هاشم) في ثوران، يضرب ويكسر ما حوله، متذكرًا آخر لحظاته مع (ورد) ابتسامتها ضحكتها كلامها وخجلها، طلتها المشرقة وأحلامها، كل هذا تحول إلى خوف وبكاء ودموع في لحظة، كان (هاشم) في تخبطات نفسية معقدة، غاضبًا ثائرًا على المقنع و حزينًا بانسًا على حبيبته المحبوسة وحيدة في الجحيم بين يدي الشيطان، متردد بقلق من خرق القوانين، فستكون هذه أول مرة (لهاشم)

أن يفعل شيئاً غير أخلاقي و مخالف لمبادئه، و لكن ليس
لمكسب شخصي أو طموح في السلطة بل لإنقاذ إنسانة بريئة،
كل ذنبها أنها أحببت رجلاً جميع المخاطر تحوم حوله.

قام (هاشم) بتعديل المحضر، وبإلصاق التهمة (بعصام)،
وأخرج (جلال) بريئاً من السجن، وقبل مغادرته سأله (هاشم):

- أكنت تعلم بأن هذا سيحدث؟

فنظر له (جلال) بنظرات الثقة والثبات وابتسامه خبيثة ولا
يجيبه، ثم رحل بعيداً، شعر (هاشم) بغضب وتأنيب الضمير
المرير، لكنه تمنى من قلبه أن يصدق المقنع ويعيد (ورد)،
غادر (هاشم) عمله عائداً لمنزله في ضيق من الحياة، فقد خسر
حبيبته وخالف مبادئه.

دخل منزله بهدوء يجر أحزانه و هممه خلفه، فجأة رأى مشهداً
صادماً، (ورد) جالسة في منتصف الشقة، مُربطة اليدين
والأرجل، ومعصوبة العينين على وجهها دموع و خوف،
عندما سمعت صوت فتح باب الشقة وانغلاقه بدأت تبكي
وتتوسل:

- أرجوك لا تفعل شيء، أقسم لك أنني لم أفعل شيئاً خاطئاً،
أتوسل إليك لا تؤذيني، أرجوك اتركني لحالي.

ظلت (ورد) تطلب السماح والعفو بالدموع والصرخات، التي
فطرت قلب (هاشم) من الأسى والحزن على حالها أكثر،
شاعراً بالذنب لأنه سبب كل هذا، تقدم باتجاهها بحزن شديد،
وقال بصوت هادئ مطمئن يلمس القلب:

- لا تخافي يا (ورد) أنت بأمان.

تهداً (ورد) للحظات:

- أهذا أنت يا (هاشم)؟!!

فك (هاشم) عصبية عينيها، لتراه (ورد) بابتسامة هزيلة وسط
خوفه الواضح على وجهه قائلاً:

- نعم هذا أنا يا (ورد).

بكت (ورد) بشدة، احتضنها (هاشم) بقوة شوقاً لها، اطمأن قلبه
أنها بأمان، فعاد ينبض من جديد، يخبرها بالأمان تخاف
ويطمئنها، يربت على رأسها ويمسح دموعها، لكنها تظل تبكي
في حضنه كالطفلة متشبثة به بقوة، فلم تشعر بالأمان إلا بين
أحضانها.

جلس الجميع على شبكة الإنترنت، في لهفة ليروا آخر فيديو قام المقنع برفعه منذ ساعات معدودة، بدأ الفيديو كالمعتاد رجل مقنع يرتدي ملابس سوداء، وقناع سيدة مميز بين يديه ريشة بيضاء يقول:

- أعلم أنك تظن أنه قبض علي ولكن هذا خطأ فأنا لست شخصاً واحداً، أنا كيان ولدت من ظلمك أنت، فأنت من صنعني بذنوبك، دائماً ما ترى الظلم و تصمت، و تناصر الظالم بجهل منك، فظهرت أنا لأخذ حق بعض المظلومين، كل ما قمت بفعله هو كشف الأكاذيب والخدع القذرة التي تتم أمامك، وأنت صامت لضعفك وعدم قدرتك على قول لا للظلم، وبذلك أصبحت جزءاً منه، سأكشف لك الآن أحد أكبر الظالمين الفاسدين، والمعروف باسم (سعد إسماعيل)، رجل الخير والسلام الذي كنت تحبه وتؤيده.

هذا الرجل يمتلك العديد من الشركات والمشاريع، نهيك عن مؤسسة خيرية، ولكن ليست كما تبدو، حيث يتم سرقة الأموال التي قمت بالتبرع بها للمؤسسة الخيرية، واستغلالها في عمل مواد غذائية فاسدة ومدمرة للصحة لتباع إليك بأسعار باهظة، وهذه إحدى عمليات السرقة، فهناك العديد

من سرقاته وأعماله الشنيعة، وإليك الأدلة التي تثبت السرقات التي تحدث في شركاته واستغلاله لك ولأموالك.

بدأ المقنع بعرض مصائب شركات (سعد إسماعيل) بالأوراق والمستندات والصور، و التي حصل عليها من خزنته الخاصة و من حاسوب (نورهان)، ثم انتقل لعرض عملياته المشبوهة من تجارة المخدرات والأثار و غيرها وبعد ذلك ردف:

- لم يكتفي ذلك الفاسد بكل هذا، بل ويرى الناس من حوله كحشرات يمكن دهرها، فانتظر معي كيف يرى هذا الرجل الحياة.

يعرض مقاطع متقطعة لحديث (سعد) في فيلة (جلال):

"نحن أسياد و أنتم الضعفاء، أقل منا شأنًا و أهمية، خلقتم لخدمتنا و إطاعة أوامرنا، لذلك عليكم معرفة مكانتكم و خدمة أسيادكم دون تذمر أو تكاسل، و إذا تطاولتم سيكون مصيركم الموت و بأقل و أرخص الطرق تكلفة، و هذا هو القانون العالمي الذي قامت على أسسه أقوى الدول".

ثم يعرض اعترافات (سعد) بما ارتكب في قضية (نور)، و ما فعله (بنورهان) و (مسعود)، ثم ردف المقنع معقبًا:

- تلك كانت نظرة رجل الخير للحياة، ولتعلم أن هذا الرجل هو جزء من صورة وليس الصورة كاملة، فهو لديه شركاؤه وأتباعه، وأيضًا من هم أكبر منه في السلطة، المتحكمون الحقيقيون بكل شيء، أتمنى منك و لو لمرة واحدة، ألا تصمت على حَقِّك، وطالب بالقبض على ذلك المجرم، ها هي الأدلة بحوزتك، فالتتحرك وواجه الظلم لأنني سأتوقف الآن لفترة، قد تطول و لكني سأعود، فأنا واحد مثلك شخص بريء، لكن بفعل البشر أمثال (سعد) و صمت الناس عن الحق أمثالك أنت تحولت إلى كيان غاضب عديم الرحمة و أصبحت المقنع، لأقول كلمة الحق و أكشف الحقيقة في مجتمع يعيش في كذبة كبيرة، أنا لست وحيدًا فجميعكم بداخله مقنع حتى أنت بداخلك مقنع يريد الحقيقة و حقه من هذا المجتمع الظالم و لكنك تمنعه و أنا أقول لك أخرج ما بداخلك و ارفض الكذب و الخداع و طالب بحَقِّك و بالمساواة و كن وحشًا فتاكا لكل ظالم و قلبًا رحيماً لكل مظلوم، فلم يكن للظالم وجود لولا صمتنا.

أما الآن أودعك، لكني سأعود يوماً ما فالظلم والكذب لا ينتهيان، لذلك سيبقى المقنع المنتقم موجودًا.

عدد كبير جدًا شاهد الفيديو، وملايين التعليقات تطالب بالقبض على (سعد) لأفعاله الشنيعة، وجميع الأدلة معلنه على الفيديو،

لقد كشف أمره وانتهى، دقائق من انتهاء الفيديو، و تم إصدار أمر بإلقاء القبض على (سعد إسماعيل)، و عندما وصلت الشرطة إلى فيلته وجدوه جالسًا في مكتبه مقتولًا برصاصة في منتصف رأسه، لم يعلم أحد كيف و متى و من قتله، لا أدلة ولا بصمات ولم ترصد الكاميرات شيئًا، لتغلق قضية مقتله ضد مجهول، لم يظهر المقنع مرة أخرى، وأصبح قناعه رمزًا للاعتراض ورفض الظلم وتهديدًا لكل ظالم.

الفضل الأخير

(ملك من الجحيم)

مضت الأيام و الأسابيع لم تحدث فيهم جرائم اختطاف، و لم تظهر فيديوهات أخرى، انتهت قضية المقنع المنتقم، و اختفى دون أثر، لم يعلم أحد من خلف ذلك القناع، من زرع الرعب في القلوب، و تلاعب بالجميع حتى نال مراده، شغلت هوية المقنع عقل (هاشم)، لوقت ليس بالكثير، فقد استطاعت (ورد) سرقة أفكاره و عقلة بعد ما تزوجا، و استمتعا بشهر عسل كان أقرب لرحلة لعالم من الجمال، مليء باللعب و المرح و المحبة، قضايا أجمل لحظات حياتهما معًا بدون القلق أو التفكير في أي مسؤوليات، فقط كل ما يشغل عقلهما كيفية إسعاد الآخر، حتى بعد انتهاء شهر العسل، و عودتهما لأرض الواقع لم تنطفئ شعلة حبهما، أو تقل كما يحدث مع الناس، لم يشعر كلاهما بمرور سبعة أشهر معًا، فالأيام الجميلة تمضي لحظة عابرة.

انتهى (هاشم) من عمله مبكرًا جدًا على غير المعتاد، وفي طريق عودته توقف لشراء بعض المتطلبات من كشك صغير في الشارع، وعندما أراد أن يدفع ثمن متطلباته، رفضت السيدة العجوزة صاحبة الكشك أن تأخذ المال قائلة له:

- لقد فعلت الكثير معي وساعدتني، وأنا لا أستطيع شكرك بقدر المستطاع، فخذ ما تريد يا بني بدون مقابل.

- ألا تتذكرين أنك أنقذت حياتي من الموت، وهذا الكشك تعبير صغير عن شكري لك.

تجادلا قليلاً ولكن (هاشم) أصر على دفع المال دون أن يأخذ الباقي، وعاد لمنزله بلهفة لمفاجأة (ورد) بقدمه باكراً، وقد أحضر لها الشكولاتة التي تحبها، وقف أمام باب شقته والابتسامة على وجهه، يخرج مفاتيحه ويهم لفتح الباب، فجأة يسمع صوت (ورد) تقول بقلق:

- قلت لك لا تأتي إلى هنا مهما حدث، كيف سكون الحال إذا أتى (هاشم) وراك الآن.

تحطمت ابتسامة (هاشم) لما سمع، صدمة هزت كيانه بقوة، صراع داخلي عنيف، و فكرة واحدة تتردد بعقله:

- (ورد) تخونني؟! -

حاول (هاشم) عدم الاستماع لهواجسه المضطربة، حتى لا يظلم (ورد) ولا يتسرع في حكمه، و قرر أن يقف لينصت، فيسمع صوتًا آخر مألوفًا يقول:

- لم أستطع أن أتحمل الانتظار، منذ أن كلمتني في الهاتف وأخبرتني بهذا الأمر، ثم لا تقلقي (هاشم) لن يأتي مبكرًا اليوم، فهذه ليست مواعيده، لذا لدينا بعض الوقت معًا.

الكلمات نزلت على مسامع (هاشم) تطلق وحشًا أهوج، اقتحم الشقة بعنف جنوني، ليصيب الذعر كليهما فور اقتحامه، ورغم اقتحام (هاشم) العنيف المحمل بنوايا الشر، إلا أن دهشته لجمت جماحه وأوقفته، عندما رأى الشخص الجالس مع (ورد)، عاجزًا على فهم ما يحدث، (جلال) الرجل العجوز، و مساعد المقنع، جالس مع (ورد)، فيسأل (هاشم) في غضب:

- أتخونيني مع هذا القدر؟! -

ثم نظر (جلال) متوعدًا مهددًا:

- لقد جئت لموتك، و صدقتي لن أحرمك، ولن يستطيع ذلك المقنع إنقاذك هذه المرة.

تتمالك (ورد) نفسها من الذعر وتقول له بهدوء:

- لا تتسرع في حكمك، سأخبرك بالحقيقة.

(جلال) بفرع يصيح:

- لا يا (ورد) لا.

- كان لابد أن يعلم عاجلاً أو آجلاً، وأظن أن هذا أنسب وقت ليعلم الحقيقة.

صاح (هاشم):

- تسرعت في حكمي؟!... أرى زوجتي ومجرم معها وتقولين تسرعت، إذا أخبريني بالحقيقة، لكن لتعلمي مهما كانت الحقيقة سوف تندمين أشد الندم، وسأجعل حياتك جحيماً.

تبتسم (ورد) باستهزاء ثم تقول:

- دائماً متسرع في تصرفاتك، استمع وسنرى ماذا ستفعل في النهاية، سأحكي لك من البداية،...

أخذت (رود) شهيقاً عميقاً و زفرته بهدوء، ثم قالت بثبات و ثقة:

- هل تتذكر عندما بدأ (جلال) في رواية قصة (نور) ومعاناتها، وأنه كان معها في إحدى المولات يتناولون الطعام، ورأت هنالك شيئاً بسببه انتحرت.

- ما علاقة هذا بموضوعنا؟!

- استمع إن أردت معرفة الحقيقة.

زفر (هاشم) في ضيق شديد و عين متועدة:

- نعم أتذكر.

- في ذلك اليوم رأت (نور) خطيبها السابق، يتسوق في المول ومعه زوجته يداعب طفله، عاش حياته وتزوج وأنجب على حساب (نور)، التي اشترت له الشقة باسمه لأنه الرجل، وقامت بإنشاء شركته الخاصة على حسابها الشخصي، وبعد كل هذا تركها بأسوأ الطرق، وقال لها أسوأ الكلام، في أكثر الأوقات التي احتاجته بجوارها، وبسبب هذا قررت الانتحار، عادت لمنزلها وتناولت كما من الأدوية المختلفة لتلقى حتفها.

أتعلم (نور) كانت حياتها صعبة، انفصل والداها عندما كانت في الرابعة من عمرها، وليس بسبب خلاف كباقي الناس، ولكن لأن والدها كانت أعماله كثيرة، يغيب عن المنزل كثيرًا، فلم تتحمل والدتها ذلك وانفصلا، عاشت (نور) مع والدها وكانت هي المسؤولة في غيابه عن المنزل ومتطلباته مع دراستها بالطبع، تحملت المسؤولية باكراً، أما والدتها فقد تزوجت وكونت حياة جديدة لها، وأنجبت في حياتها الجديدة طفلة جميلة، كانت علاقة (نور) بوالدتها جيدة جداً، ولأن (نور) كانت وحيدة في حياتها، فكانت أمنيته الدائمة و الوحيدة وجود صديقة، رفيقة تشاركها أفراحها و أحزانها.

عندما أنجبت الأم طفلتها، غمرت (نور) سعادة فواحة، لأن هناك من ستلعب معه وتشاركه أوقاتها، ستكسر وحدتها المقيتة أخيراً، مرت السنوات و عاشت الأختان أجمل أوقاتها معاً، بين اللعب والمرح وأحلام الطفولة، إلى أن جاء يوم وتوفي زوج أم (نور) ووالد أختها، كانت وفاته ضربة موجعة لهم حينها.

كان حلم أخت (نور) بناء أكبر مؤسسة خيرية لمساعدة الناس، ولتكون مأوى للفقراء والمحتاجين، وما يوقفها عن تنفيذ حلمها صغر سنها، فهي مازالت تدرس وغير متفرغة، فقررت (نور) أن تبدأ هي وتقوم بعمل المؤسسة، ومشاركتها حلم أختها حتى

تنتهي دراستها وتنطلق معها، نجحت (نور) في إنشاء المؤسسة وتطويرها، ونجحت نجاحًا باهرًا في وقت قصير، وازدادت أعمال (نور) الخيرية وازداد عدد المتطوعين لفعل الخير في المؤسسة، وبدأ الحلم يكبر يومًا بعد يوم.

لكن السعادة لا تدوم، ولا تسير الأمور كما نلحم، وحدث ما حدث وتحطمت الأحلام والآمال في غمضة عين، لتنتبث شوكة الظلم والألم في القلب، يسقيها الناس بالكذب والخداع والقسوة، لتكبر تلك الشوكة في القلب أكثر وأكثر، قاتلة أي مظهر من مظاهر الروح الجميلة داخل الإنسان.

فقدت (نور) كل شيء، محطمة بائسة ترغب في الانتحار بشدة، لكن أختها كانت بجوارها، لم تتركها للحظة لألمها، ساعدتها حتى تحسنت قليلاً، كانت أختها ضوء الأمل في نفق مظلم لا نهاية له. إلى أن رأت (نور) خطيبها السابق وهو يعبر من أمامها مع زوجته وابنه يضحكون ويمرحون، اعتصر قلبها من شدة الحزن، فتلك كانت حياتها التي قدرت لها فيما مضى، فهذه الضحكات كانت ستكون ضحكاتهما معه، وهذا الابن كان سيوكون ابنهما، هذه الحياة برمتها سلبت منها، لتغرق وحيدة في وادي الحزن والألم، وخطيبها السابق ينعم بما أعطته له مع زوجته وابنه.

أقدمت (نور) على الانتحار بدون تفكير، لكن والدها أنقذها في اللحظة الأخيرة، لتكتب الحياة (لنور) من جديد، فتستيقظ في المستشفى في إرهاق و تعب، كانت قادرة على المشي قليلاً، خرجت من غرفتها لتجد والدها ووالدتها يبكيان، تخبرهما بالأخبار يبكيان، و أنها لحظة شيطان لن تتكرر مرة أخرى، لكن والدتها تتابع البكاء بشدة، فيخبرها والدها في أسى أن أختها عندما علمت بمحاولة الانتحار أسرعت بسيارتها إلى المستشفى، و لم تنتبه لطريقها جيداً، فاصطدمت بسيارة أخرى في حادث مروع، و نقلت هي و من صدمته إلى العمليات، و هما الآن بالعناية المركزة، في حالة حرجة.

صرخات (نور) تعالت في المستشفى، تركض مترنحة في تعب شديد للعناية المركزة، لا يجول في عقلها إلا أنها خسرت كل شيء، ولا تريد أن تخسر أختها الوحيدة التي ساعدتها على الحياة في حين تخلى عنها الجميع، ركضت (نور) و هي تتذكر كل لحظة بينها و بين أختها، من ضحكات و لعب و حلم، دموعها تتمنى من الله أن ينجي أختها، تسأل (نور) الممرضة عن مكان أختها، لتعلم أن الاثنان المصابان في الحادث مقيمان في آخر غرفتين في الممر، تتابع (نور) ركضها مسرعة نحو غرفة أختها، حاولت الممرضات منع (نور) من دخول قسم العناية المركزة، لكنها رغم ذلك وصلت لغرفة أختها لترآها

من خلال الزجاج خارج الغرفة بين الحياة والموت، محاطة بأجهزة تكافح لتبقيها حية، وجهها مليء بالجروح، ونصف جسدها في الضمادات والجبس، ساكنة لا تفتح عينها.

انهارت (نور) بالبكاء والصراخ والاعتذار لأختها، تضرب الزجاج بيدها أملة أن تفتح أختها عينها لتتنظر لها لكن دون جدوى، بكيت (نور) بألم وحسرة، ظنا منها أنها كانت السبب فيما حدث لأختها، تحاول الممرضات ابعاد (نور)، و هي تقاومهم بما تبقى لها من قوة، تعيد الممرضات (نور) إلى غرفتها، و يعطونها حقنة مهدئة لتنام وسط ألامها و بكائها، اللذين لم يتركاها كثيرًا لتنام، فتستيقظ في جوف الليل المعتم، لتخرج من غرفتها متوجهة إلى غرفة أختها، في ترنج و ضعف، من أثار الحقنة المهدئة، بالكاد تستطيع الوقوف، تدخل قسم العناية المركزة دون انتباه الممرضات، تعبر أمام غرفة الشخص الذي اصطدمت سيارته بسيارة أختها، و كان باب غرفته مفتوحًا، فنظرت (نور) لمن الغرفة، لا تعلم لماذا و لكن كان هنالك فضول مفاجئ داخلها لترى من اصطدمت به أختها.

دخلت الغرفة بهدوء، ورأت الشخص النائم في السرير، جسده مكسر ملفوف بالضمادات مكبل بالأجهزة، صدمت (نور) لمفاجأة القدر تلك، فقد كان هو نفس الشخص الذي قام بالاعتداء

عليها، (سالم سعد إسماعيل)، الذي دمر حياتها وسلب منها أحلامها وأمالها، نفس الشخص الذي صدم أختها بسيارته وتسبب في معاناتها في المستشفى، في تلك اللحظة تملك الغضب والظلام من (نور)، أصبحت الشوكة السوداء التي نبتت في قلبها شجرة كبيرة سوداء، تنمو بالغضب والكره لتثمر شرًا.

فتحت (نور) بابها للشيطان، ليتملك منها ويلوث روحها، ينزع معاني الإنسانية والرحمة، يغرز مكانها الكره والانتقام، في لحظات أغلقت (نور) باب الغرفة ووقفت أمامه مباشرة، عيناها مليئتان جاحظتان بما يفيض به قلبها، شعرت بمجيء إحدى الممرضات للغرفة، لكن فجأة صوت صافرة ما يُسمع في المستشفى، لتركض جميع الممرضات بتجاه الصافرة مبتعدين عنها، لتطمئن (نور) أنه لن يزعجها أحد لبضع دقائق.

تنظر له و تتمنى أن يستيقظ، ليرى على يد من ستنتهي حياته، أمسكت الوسادة بقوة لتضعها على وجهه، فجأة استيقظ (سالم) وفتح عينيه، سعدت (نور) بهذا وقالت بنظرات الشر وصوت جاف بلا مشاعر:

- أتعلم من أنا؟

نظر لها بذعر يهز رأسه بلا، لتردف (نور) بحده:

- أنا الفتاة التي سلبتها روحها، وعذبتها ودمرت حياتها وأحلامها.

انهمرت دموع (سالم)، يهز رأسه رافضاً لنهايته، راغباً في الحياة، يقول بصوت ضعيف خافت بالكاد يسمع:

- أرى... جوكي... أنا... أسف.. أرح... وكي.. لا لدي... طفل.

تضرع بكلماته مرارًا و تكرارًا عسى أن ينال الرحمة، لكن نظرات الشيطان التي يراها لا تدل على وجود رحمة له، وضعت (نور) الوسادة على وجهه وضغطت بقوة شديدة، حتى لا يتمكن من التنفس، تتحرك يديه في جميع الاتجاهات محاولاً التشبث بشيء، يجاهد لنزع الوسادة و التشبث بالحياة، لكن دون جدوى، ظلت (نور) تضغط بقوة أكبر وأكبر، حتى توقفت يديه عن الحركة وارتختا تدريجياً إلى أن توقفتا تمامًا، تُسمع تلك الصافرة التي تعلن مفارقتة الحياة.

خرجت (نور) من غرفته سريعًا، بداخلها يدور صراع عنيف بين عدت مشاعر متخبطة، سعادة و خزن، خوف و قلق، طمأنينة و لذة غريبة، يديها ترتجفان مما ارتكبتا، فإحساس القتل لأول مرة مخيف و له رهبة، تتنازل فيه عن انسانيته، لكن إحساس الانتقام أيضًا له لذة و نشوة، و رغم ذلك الصراع

لم تندم (نور) على ما اقترفت، تماكنت نفسها و سارت بخطى مترنحة لغرفة أختها، وعند اقترابها من الغرفة رأت الممرضات والطبيب يخرجون من غرفتها، برؤوس منكسة، والحزن متملك وجوههم، فزعت (نور) تسأل عن سبب هذا الحزن، في خوف من الإجابة، لم يجيبها أحد ثم ركضوا جميعًا بتجاه الصافرة، التي سمعوها من الغرفة المجاورة تاركين (نور) وحيدة.

بخطوات بطيئة مترددة تحركت (نور) و دخلت غرفة أختها، لتجد أختها مغطاة الوجه وجميع الأجهزة من حولها مطفأة، اقتربت من أختها ودموعها لا تتوقف، في كل خطوة تخطوها تتذكر كلمات أختها، أوقاتهم السعيدة، ضحكتهما و لعبهما وقت الصغر، تتذكر أحلامهما وطموحهما في الحياة، و كل لحظة من حياتها مع أختها، قلبها يرتجف وعيناها ورمتا من كثرة البكاء، احتضنتها (نور) بصراخ عميق ملاً صداه المستشفى بأسرها.

مات كل شيء لدى (نور)، أحلامها وحبها وكيانها وحياتها وأختها، لم يكن (نور) سبب للعيش في هذه الحياة القاسية، تركت نفسها للشيطان، الذي استحوذ عليها قلبًا و عقلاً وروحًا، وأعطاهما خطة من أعماق الجحيم، وأمرها بتنفيذها إن كانت

تريد الانتقام من كل من ظلمها، أُعجبت (نور) بهذه الخطة جدًا وبدأت بها.

كانت أول خطوة قامت بها هي إعطاء الرشاوي للمشفى، ليتم تسجيل أن من ماتت هي (نور)، وأن أختها ما تزال حية، واستغلت منصب والدها ومعارفه وماله لتبديل شخصيتها بشخصية أختها في كل الأوراق الرسمية، حتى أصبحت رسميًا أختها التي ماتت هي (نور) و(نور) أصبحت أختها، ثم قامت بعمليات جراحية عدى لتتخلص من جميع آثار الماضي من إصابات و غيره، فكل شيء بالمال ممكن فالمال كالسحر، يصنع ما لا يُصنع.

صممت (ورد) لبرهة تتأمل قسمات (هاشم) ثم ردت بابتسامة مأكرة:

- أتعلم يا (هاشم) ماذا كان اسم أخت (نور)؟

(هاشم) في توتر يسألها:

- ماذا كان اسم أختها؟

- (ورد)... أخت (نور) هي (ورد).

تلك كانت الإجابة القاتلة (لهاشم)، صدمة عجز لسانه عن الحديث بعدها، لم يقل إلا بصوت يرتجف:

- إذا أ..أ.. أنتِ (نور)؟!!

- كنت (نور) في السابق، أما الآن فأنا (ورد).

(هاشم) غير مصدق، عاجز عن التفكير، يسألها عن سبب فعلها لذلك، ليتلقى الإجابة:

- لأنفذ خطتي دون أن يشك بي أحد، وأنتقم من جميع من أدوني.

تتبدل (ورد) فجأة، تصبح نظراتها حادة ماهرة جدًا، و تتحول ابتسامتها، لابتسامة عريضة مليئة بخبث شيطاني، لم يراها (هاشم) قط منها من قبل، و ردت بهدوء وثبات، في صوت عميق غير مطمئن، تفوح منه نبرات الشر:

- أنا هي المقنع المنتقم الحقيقي، أنا من دبر كل هذا، أنا من وضعت الخطط لكل شيء، أنا من صور الفيديوهات، أنا من خطفت الأطفال، أنا هي المقنع المنتقم الحقيقي الذي تبحث عنه.

صدمة تأتيها صدمة أشد تبعًا، لم يعد (هاشم) قادرًا على استيعاب الأمر، لا يستطيع تصديقها، ملامح الصدمة على وجهه لا تزول بل تزداد أكثر و أكثر، شلَّ عقله عن العمل، ولم يخطر له إلا فكرة واحدة، فضحك ضحكة هزيلة ضعيفة مهزوزة قائلاً:

- لا... لا لا تقولي هذا الكلام، أنا أسامحك على وجود هذا الرجل الغريب، لكن لا تختلقي القصة السخيفة أرجوكي.

بصوت مرتفع وجاد صاحت (ورد) بغلظة:

- أنا لا أخلق شيئًا، هذا الرجل هو والدي، فكما قلت لك لقد كنت في السابق (نور)، أعلم أن الموضوع صعب التصديق، لكن تلك الحقيقة، و ستكون أنت أول شخص يعلم الحقيقة الكاملة.

انطلقت (ورد) تسترسل في كشف ما وراء الستار بثبات و ثقة:

- في بادئ الأمر أردت فعل شيء يصدر ضجة إعلامية كبيرة، ومن هنا أتت فكرة خطف أطفال الضباط، احتجت إلى من يساعدني في خطتي، لذلك قررت جمع المعلومات عن أسر قد ظلمت من الضباط، و بداخلها شعلة انتقام تحتاج من يقودها، حتى أضمن مساعدة تلك الاسر لي و ولاءهم.

أتعلم من ضمن مميزات المؤسسات الخيرية هي أنها تطوعية، تساعدك على التعرف على أناس جدد باستمرار، سواء كانوا متطوعين أو محتاجين، و من هنا تعرفت على الحج زكريا و علمت كل شيء عنه و عن أولاده، بينما كان الضابط (حازم) أحد المتطوعين للعمل لفترة قصيرة في المؤسسة، كان رجلاً شهماً طيباً دائم التحدث عن الحق و مساعدة الغير، بعد ما حدث لهما، تحدثت إلى أهل كل واحد فيهما لأقنعهم بأن يساعدوني و ننتقم لأحبتنا، جميعهم رفضوا في بادئ الأمر، و لكني أقنعتهم في النهاية بمساعدتي، بعد ان عرضت لهم خططتي و طمأنتهم بأنه لن يتأذى أحد.

احتجت للأدوات و كنت أعلم أن ما سأستخدمه سوف يعثر عليه، وفي نفس الوقت أردت طعمًا ليركض خلفه رجال الشرطة لفترة وجيزة، فبحثت عن المعتدي الثاني (عصام) الذي عمل لدى (سعد) مقابل صمته وكتابة اسمه منفردًا في القضية، جمعت جميع المعلومات عنه، ثم قمت باختطاف ولده، وكانت تلك أول جريمة اختطاف قمت بها، هددته وطلبت منه سيارته وكل ما كنت أستخدمه، و بعد أن انتهيت من الأدوات أعيدتها له ليبقيها بفلته، ليكون أمامكم هو المجرم المقنع، ويضللکم لفترة عني.

بعد ذلك كل ما تبقى هو القناع والملابس، فكانت الملابس سوداء تدل على مدى الحزن على فراق أحبتنا، أما قناع السيدة فهو رمز للإلهة ماعت، إلهة العدل عند المصريين القدماء، و الريشة البيضاء هي المعيار الذي كان يقاس به قلب المذنب على ميزان.

تابعت حياة الضباط الثلاثة بدقة أحل كل تفصيله بها، علمت كل شيء عن حياتهم وأسرهم، ومن هنا بدأت بأول عملية هي اختطاف ابن (حسن)، مستعينة بأولاد الحج زكريا الثلاثة، بعدها أمرتهم أن يتابعوا حياتهم بشكل تقليدي وكأن شيئاً لم يحدث، حتى لا يشك بهم رجال الشرطة أو المحيطين بهم.

عملية الاختطاف الثانية كنت أنا ووالدي، و ببساطة حددنا هدفنا وهي طفلة (مسعود)، و وسط الزحام و الحركة الكثيفة خدرنا الطفلة، و وضعناها داخل حقيبة سفر عادية، و هربنا دون أن ينتبه لنا احد.

أما في العملية الثالثة كانت تنفذها زوجة (حازم) ووالدي، لقد كانت زوجة (حازم) في حمام السيدات، مستعدة لاختطاف ابنة (أشرف)، و والدي كان تمويهها، و قمنا بإعطاء المال لصبي المطعم، ليضع مادة مسببة برغبة

لدخول الحمام في مشروب الطفلة، واستخدم والذي جسده ليغطي على فتى المطعم، ليضع المادة دون أن تراه الكاميرات، وليكون سببًا بالأ تشكوا بالصبي.

لقد احتجت أن يتم معرفة قصصنا، و أن تصل للمجتمع، ليعرف كيف تم ظلمنا، و أيضًا أردت أن يصبح اسم المقنع مشهورًا حتى أصل لمن أريد، فباشرت برفع الفيديوهات على الإنترنت، و انتشر سريعًا و ازداد المتابعين بشكل كبير، ثم راسلت الإعلامية (نورهان)، و أرسلت كل المعلومات و ما قمت بتنفيذه، و أخبرتها أن شهرتها ستضعاف، و ستكون الإعلامية الأولى على التلفاز، فوافقت بالحديث عن القضية دون أي اعتراض، و عندما لاقت نجاحًا كبيرًا أرادت المزيد من المعلومات عن المقنع المنتقم، لتقوم بعمل المزيد من الحلقات، طلبت وجودك في البرنامج، لأستعرض قوة المقنع و تأثيره، و لكي أقنعك بالحضور طلبت من (عصام) أن يذهب لمنزلك في وقت عودتك، حتى تقابله و يكون أول لقاء لك مع المقنع المنتقم، و يكون دافعًا لك لحضور الحلقة، ثم أمرت أولاد زكريا أن يذهبوا لأماكن مختلفة، و كل منهم معه تسجيل بصوت الضحايا و ريشة و بطاقة كتب بها ما هو مطلوب، ليكفر المذنبون عن خطاياهم، أما الجمهور فقد اتفقت معهم

(نورهان) على ارتداء القناع كنوع من العرض التلفازي المنظم، لأنبت للجميع أن الشرطة عاجزة أمام المقنع المنتقم، ليقلق المجتمع أكثر ويصبح اسم المقنع المنتقم علامة للخوف والرعب لا تستطيع الشرطة إيقافه.

كما تعلم كنت معك في يوم إذاعة الحلقة، ولكن كنت بجوار فريق الإعداد، وعندما جاء دوري قمت بالتسلل بعيداً دون شعور أحد، وحدثتك على أنني المقنع المنتقم، تحديثك أمام الجميع بأنني سأختطف حفيد (سعد)، ثم قمت بفصل الكهرباء حتى يرتدي الجمهور الأقنعة وتضع (نورهان) البطاقة.

لم أترك ثغرة للفشل، و سار كل شيء كما خططت، فقد قمتم بالتأمينات و الحراسة في فيلة (سعد)، فاتفقت مع (نورهان) أن تذهب للتصوير و تخبرني بكل التفاصيل عن الخطة الأمنية، و أيضاً كنت أعلم بموعد عيد ميلاد حفيده لم تكن مصادفة، و كان هو اليوم المراد من بادئ الأمر، لأن (سعد) كل سنة يقوم بحفلة كبيرة لأجل سعادة حفيده، و دائماً يأتي بالساحر، و في يوم الحفل ذهبت أنا و أولاد زكريا و أخت الضابط (حازم) للساحر و معاونيه، و قيدناهم و قمنا بالتنكر في أزياء المهرجين، ثم أخذنا سيارتهم و عدتهم و ذهبنا للفيلة.

في هذا اليوم لا يتم تفتيش الحضور لأنهم كبار رجال الدولة، فلا يجوز تفتيشهم قد يخسر (سعد) بعض علاقاته المهمة، وهذا ما يسر دخولنا، أنشأنا المسرح في مكان بعيد عن كاميرات المراقبة، واختبأ اثنين منا في صناديق التحضير حتى لا يراهما أحد أثناء الدخول، ثم اختبأ تحت المسرح ومعهما ابن (بهجت)، وتمت عملية الاستبدال وخطف حفيد (سعد) بنجاح، كنت قد احتجت إلى طعام، وكان (بهجت) هذا الطعام، اختطفت ابنه لأستبدله بحفيد (سعد) وأمرته أن يقوم بتضليلكم، وأعطيته سترة واقية من الرصاص حتى لا يصاب بأذى وبذلك نجحت الخطة.

بعد ذلك قمت بتنفيذ وعدي (لنورهان) بإعطائها حلقة قوية، أعطيتك كل المكالمات التي بيني وبينها، وأنت قمت بما هو مطلوب على أكمل وجه، وتم القبض عليها على الهواء مباشرة، ... كانت تلك أسوء لحظاتها وأسعد لحظاتي.

لقد كان لديها معلومات خطيرة عن (سعد)، وعندما علم (سعد) بمكان المعلومات، قام بأخذها لكي يتخلص منها ومن (مسعود)، الذي كان يطلب من (سعد) مساعدته في إيجاد ابنته، و قد بدأ يهدده بأنه سيفشي الأمر برمته، فقام (سعد) بالتخلص من الإثنين بإرسال (مسعود) (لنورهان) في حبسها في وقت متأخر ليستجوبها، وأمر معاونيه في السجن

بتعطيل كاميرات المراقبة، وقتل (نورهان)، ليلصق التهمة (بمسعود).

كنت أعلم أن (عصام) سيُقبض عليه في كل الأحوال، فقد أرسلت كل شيء استخدمته إلى فيلته كدليل إدانة عليه، و بعد أن قبض عليه علمت أيضاً أنها بضع ساعات و ستأتون إلي، فأخذت حفيد (سعد) و خدرته ووضعتة في تابوت، و معه أسطوانة أكسجين ليتنفس و لا يموت، فأنا لن ألوث يدي و أقتل طفلاً بريئاً، و لكن لتهديد (سعد) جيداً، ليعترف بما ارتكب من جرائم، أتيتم للفيلة و هنا كان دور والدي، الذي جعل (سعد) يتكلم و يعترف بما فعله، أمام الكاميرات التي وضعتها لتسجيل كل ثانية، حتى اعترف (سعد) على مكان المعلومات المهمة التي تدينه، و سارعت بأخذها و انتهى الأمر بالقبض على والدي.

لم أترك مجالاً للفشل أو الحظ في خطوة واحدة، قبل البدئ في كل هذا كنت أبحث عن ضباط الشرطة جيداً، لأعلم أهم و أكبر الضباط الذين قد يكلفوا بحل قضية المقنع، حتى أعلم كيفية التعامل معهم، و وجدت أن جميعهم لهم نقاط ضعف مختلفة، إما زوجة أو أطفال أو أحد أفراد عائلاتهم، إلا أنت كنت بلا نقاط ضعف لا زوجة ولا طفل و ووالديك متوفيان، كنت الضابط الذي يتولى القضايا الصعبة و المعقدة، كنت

أكبر عائق لي، لذلك قمت بخلق نقطة ضعف لك، بحثت كثيرًا عنك و عن ما تحبه و تمارسه، و ما هي نظرتك لفتاة أحلامك و ما هي الأماكن التي تحبها.

فعلت كل ما تحبه و تمارسه و أقلمت نفسي عليه، ثم قابلتك في ندوة شعرية كنت أعلم مسبقًا أنك ستحضرها، فقد علمت مدى حبك للشعر، تعلمت كتابته و حفظت الكثير من أبيات الشعر للشعراء الذين تحبهم، وبدأت بلفت انتباهك إلي بكلامي وثقافتني فيما تحبه، وطبعًا ساعدني على ذلك جمالي، حتى أحببتني و قمت بخطبتي.

لم أكن أفكر في الزواج، لكن صدق أو لا بعد معرفتك علمت كم أنت رجل طيب و تحترم القانون الضال و العدالة المصطنعة التي يربونكم عليها، لقد أثر حبك و صدق مشاعرك بي، لذلك أحببتك بقلبي و أصبح الأمر من مجرد خدعة إلى حقيقة.

المهم لقد أصبحت أنا بذلك نقطة ضعفك، واستغللتها ضدك لتخرج والدي من الحبس و تلصق التهمة (بعضام) كما فعلوا سابقًا، و من بعدها رفعت آخر فيديو للمقنع المنتقم، لأخبر العالم أن رجل الأعمال الكبير (سعد إسماعيل) ليس إلا رجل فساد و خراب، و قمت بكشف كل جرائمه بالأوراق

والمستندات، لذلك قتلته الناس ذو السلطة الحقيقية، قتله من صنعوه عندما صار يشكل خطرًا عليهم، وبذلك انتهت مهمة المقنع المنتقم.

الوحيد غيرك الذي يعلم بجزء من الحقيقة، و ليست الحقيقة كلها هو الضابط (أحمد)، و هذا لأنه كان معي في المؤسسة الخيرية حينها، و هو من وجدني بعد الاعتداء و أخذني للمستشفى، و أيضًا كان يعلم بأنني (نور) و لست (ورد)، هو من ساعدني في تبديل هويتي بهوية (ورد)، و قد فعل ذلك لأنني أخبرته أنني أريد حياة أخرى و أن أبدأ من جديد، لكن لم يعلم بأمر مخططي، ساعدني في جمع المعلومات عن الضباط و عنك بالتحديد، بحجة أنني أريد أن أتزوج من ضابط و أنني أريد الماضي قدمًا في حياتي، كان سعيدًا بخطبتنا نحن الإثنين معًا، و لا تشك بأمره هو لم يساعدني في أي شيء آخر، لم يعلم بأنني المقنع المنتقم أو أنني خلف كل هذا، و لكنه شك قليلًا عندما ذكرت قصة (نور)، قام باستجابي إذا كان لي علاقة بهذا، أو أعرف من قد يكون المقنع المنتقم لكنني أنكرت، و بعد انتهاء القضية و خروج والدي من الحبس، قابلته في المصعد أثناء عودتي للمنزل، تفاجأت قليلًا لوجوده، كنت أرى في عينيه الحزن الشديد.

صمتت (ورد) قليلًا و هي تتذكر لقاءها مع (أحمد).

اندهشت (ورد) عندما رأَت (أحمد) يخرج بوجهه الحزين من
المصعد ينظر لها بمرارة، فتسأله (ورد) بسذاجة عن حاله
ليسأل (أحمد):

- كنت انتِ المقنع المنتقم طوال الوقت.

تستمر (ورد) في ادعاء البلاهة قائلة:

- بالطبع لا لست المقن...!

صاح (أحمد) بأعلى صوته مقاطعًا اياها:

- بلى كنت أنتِ يا (ورد)، أم أقول يا (نور).

نزعت (ورد) قناع البراءة، ليظهر وجهها الحاد الجاف و هي
تقول:

- أجل أنا هي المقنع، أنا خلف كل ما حدث، ماذا أستقبض
علي؟

- لماذا؟!... لماذا لم تنسى الماضي و تمضي قدمًا في حياة
جديدة؟!... لماذا سببتي الأذى للجم...

تقاطععه (ورد) بغلظة:

- كيف أنسى الماضي و أنا أسيرة فيه، كيف تريدني ترك
من عذبوني يحيون بسعادة و انا كل يوم أموت ألف مرة، ...
كان يجب أن أنتقم من الجميع لكي أتحزر.

بأساً شديد قال (أحمد) بصوت متحشرج:

- اعذريني يا (ورد)، لكن يجب أن أقبض عليك.

مدت (ورد) ذراعاها امامها و هي تقول:

- و أنا لن أوقفك، نفذ ما تراه عادلاً.

تقدم (أحمد) بخطوات متباطئة مترددة ليقبض عليها، في حين
قالت (ورد) مع كل خطوة يخطوها (أحمد):

- هل ما تفعله الآن هو العدل المرجو؟... هل حقاً القانون
يضمن العدل للجميع، أم لأصحاب النفوذ فقط؟... هل انت
العدل أم أنك أداة بيد العدل، أو ربما أنت و العدل أداة بيد
أحدهم؟... لم أرك تقبض على أحد ممن أنوني، لكنني أراك
تهم لتقبض علي، هل هذا عدل أيضاً؟

كلمات كانت وسواسًا في عقل (أحمد)، لكن (ورد) أكدتها
لنتثير عقله و تنشر الفوضى في مبادئه، وقف (أحمد) امام
يدي (ورد) الممدودتين إليه، مهتز الكيان ضعيف الإرادة
مذبذب الفكر، يهيم بحزن ليضع القيود بيدها، فتطرح (ورد)
سؤالها الأخير:

- ما هو العدل؟

انفكت عين (أحمد) بالدمع يقول باستسلام:

- لا أعلم لا أعلم،... لا أجد الصواب في ما أفعل.

تركها (أحمد) همًّا للرحيل مترنحًا منكس الرأس، و عند مخرج
العمارة التفت لها بعينين تائهتين قائلاً بحزن:

- (نور) أنا أحب...

قاطعته (ورد) بغلظة و عدائية:

- ما لم يُقَل في وقته المناسب لا يقال.

(أحمد) بحزن محاولاً التماس الرحمة بقلبها:

- لكن...

لم تعطه (ورد) المجال للحديث قائلة بحدة و شكل قاطع:

- لقد ماتت (نور).

رحل (أحمد) حطامًا لا يدري أين الصواب و الخطأ تائهًا بلا طريق او هدف.

تتابع (ورد) حديثها، (لهاشم) بحدة:

- حاول القبض علي لينفذ عدالة القانون، لكن عدالة قلبه الفطرية منعتة، فما كان منه إلا الفرار حزينًا غير مصدق لما قلته، عاجزًا عن الكلام.

(هاشم) غير مصدق لما سمع و رأى، فمه و عيناه مفتوحين على مصرعيهما من الصدمة، يقول بارتجاف و صوت خافت ضعيف:

- أكل هذا للانتقام من (سعد)؟! ... ألا يكفيكي قتلك لولده؟!!

- بل للانتقام من الجميع بمن فيهم (سعد)، فالإعلامية التي شوهدت سمعتي واسمي وشرفي، وقالت إن مؤسستي كانت بغرض الأعمال المخلة والغير أخلاقية، كانت (نور هان) بعد

أن قَبِلت الرشوة من (سعد) ووعوده لها بأنه سيجعلها أكبر إعلامية، وكما قامت بفضحي أمام الناس بالكذب، قمت أيضاً بفضحها أمام الناس ولكن ليس بالكذب وإنما بحقيقتها الفذرة.

أما الضابط (مسعود) فهو من مسح الدلائل وغير المحضر مقابل أيضاً رشوة، و(بهجت)...

صمتت (ورد) قليلاً و يبدو على وجهها الاستحفار و الاشمنزاز، ثم ردفتم ببغض:

- (بهجت) كان خطيبي،... لقد أحببته من كل أعماق قلبي، وصدقت كلامه المعسول، حاملة باليوم الذي سنصير به معاً،... عشت معه أجمل اللحظات، اشتريت المنزل باسمه و أنشأت له شركته، و كل رغبتني أن أكون زوجته لنعيش سوياً حياة هانئة و سعيدة، فلا عيب في مساندة شريك حياتي، لكن الشدائد تظهر معدن الإنسان الحقيقي، لقد كان يخدعني و يستغلني، و يكذب علي متلاعباً بقلبي و حبي له، ففي أكثر لحظات حياتي ضعفاً و احتياجاً له بجانبني، لا أجد له للتخفيف عني و مآزرتي و الوقوف لجانبي، بل تركني متعمداً على الارض أتألم و أستنجده ليكون أمني و عوني، لكنه لا يبالي، ولا يكفي بذلك بل يقتلني بكلماته قائلاً كم أنا فذرة و أنه يشمنز مني.

لقد كان أكثر شخص تمنيت موته في ذلك الوقت، لا يختلف في شيء عن من اعتدوا علي، بل هو أسوأ منهم، لقد خانني و استغلني، لذلك قمت باختطاف ابنه لأذيقه المرار و أعاقبه على ما فعله معي.

أما (سعد إسماعيل) فكان هو الشيطان الكبير، لذلك احتجت لتلك الخطة حتى أتمكن من قطع رأسه والخلص منه ومن شروره، فهو لم يظلمني أنا فقط بل ظلم الكثيرين من قبلي ومن بعدي.

تهداً (ورد)، يتملكها الحزن، و بأعيني بانسة قالت:

- أتعلم ما معنى عشر سنوات من الألم و العذاب؟... لقد كرهت الناس و الحياة، رغبت في الموت بشدة و حاولت الانتحار، كنت أعيش في وادي أسود صنع من الآلام و الأحزان، تنبت به أشواك سوداء اللون من الكره و الحقد، تروى بدموع المظلوم و الأمامه، لا تُسمع به إلا أصوات الأنين و النحيب و البكاء، صرخات من حولك يستتجدون بأي أحد ليساعدهم، لكن لا يسمعهم أحد، بل يلقون نظرات الناس الساخطة، التي تقول بأعلى صوتها لماذا ما زلتم أحياء، حتى لا يبقى للمظلومين إلا حل وحيد وهو الموت في ذلك الوادي المتعفن.

لن نفهم بما كنت أشعر،... عشر سنوات أنا حزينة وهم سعداء، عشر سنوات أنا أبكي وهم يضحكون، عشر سنوات أفقد فيها حياتي وأخسر أعز الناس على قلبي وهم ينجحون ويتزوجون وينجبون ويعيشون في رخاء، لذلك كان يجيب أن يذوقوا من نفس كأس العذاب، وانتهى حال كل منهم بما صنع في حياته، تبدلت الأحوال وتحسنت حياتي وحصلت على ما أستحق، وحصلوا هم على ما يستحقون.

تكاد عينا (هاشم) تسقط من شدة الصدمة، يقول بضعف وارتجاف والدمعة في عينيه بالكاد يكبحها:

- ح... حتى ل..لو كنتي زوجتي س... سأقبض عليك.

انفجرت (ورد) بالضحك كما لو أنها سمعة فكاهة جيدة، تماكت نفسها وقالت وسط ضحكاتهما:

- يبدو أن الحقيقة صدمتك بقوة وأثرت على تفكيرك، ولكن لا تقلق بضعث أيام وستعتاد على الحياة، والتكيف مع هذه الحقيقة، أحقا ستقبض على زوجتك حبيبتيك؟!... أستقبض على شريكك في اقتراف كل هذا...

(هاشم) بفزع شديد:

- ماذا؟! !!

ضحكت (ورد) بثقة قائلة:

- قال أحدهم ذات مرة أن الحقيقة تتطلب تضحية.

نظر لها (هاشم) بأعين ترتجف لا يقوى الكلام فردفت (ورد) بثقة:

- نعم يا حبيبي شريكك، أنت من أخبرتني بتفاصيل حياة الضباط، وساعدتني في خطف أولادهم، وأنت من أمرتني بتسجيل مكالمات (نورهان)، وأخذتها مني وعرضتها على الجميع، وأخبرتهم أنها نتيجة تحرياتك لتبعد الشبهات عنك، وفي النهاية قبضت على (نورهان)، وأثبت قدرتك كضابط شرطة، أنت من جلبتني لاستوديو (نورهان) لأحضر الحلقة الخاصة وأحدث جلبة تخيف المشاهدين، وأيضًا ساعدتني في اختطاف حفيد (سعد إسماعيل) في الفيلة، ووفرت لي الوقت للهروب، وقبضت على (بهجت) الذي أذى زوجتك في الماضي، لفقت له تهمة لم يرتكبها لتنتقم منه و لتثبت للجميع أن تحرياتك تثمر بشكل إيجابي، ولا تنسى يا حبيبي أنك خرقت القانون وأخرجت والدي من السجن، وغيرت المحضر وألصقت التهم جميعها (بعصام) من أجلي.

تضع (ورد) يدها على بطنها و تردف ببسمات خبيثة:

- ثم أستقبض علي أنا وابنك.

عجزت قدما (هاشم) على حملها، فقدت القوة، لينهار (هاشم) على ركبتيه محطماً، تنهمر دموع القهرة من عينيه لما سمع، غير مصدق قائلاً:

- م...م...ماذا ق...ق...قولتي...!...!...! ابني!!!

- أجل ابنك يا (هاشم)، فسبب مجيء والدي اليوم وعدم تحمله الانتظار هو ليبارك لي على حملي، فأنا حامل في الشهر الرابع بولدنا، أليس خبراً مفرحاً، سأصير أمّاً وأنت ستصير أباً.

حرك (هاشم) رأسه يساراً ويميناً غير مصدق رافضاً لما سمع قائلاً بحسرة:

- م...م...مستحيل مستحيل مستحيل مستحيل.

يعيدها أكثر من مرة والدموع تنهمر من عينيه بغزارة.

تبتسم (ورد) ابتسامتها الرقيقة التي أحبها (هاشم) فيما مضى، واضعة يدها على بطنها تقول:

- أتذكر يا حبيبي عندما قلت لي ماذا أحب أن أسمى وردة حياتنا؟

يعجز (هاشم) عن الرد من شدة الصدمة، ويكتفي بالنظر لها في ذهول و عيناه تفيضان بالدموع، فتدرف (ورد) ببشاشة:

- حسنًا لقد اخترت الاسم أخيرًا، فإذا كان المولود ولدًا أو بنتًا سيكون اسمه (نور).

ظل (هاشم) على ركبتيه منهارًا لا يقوى الوقوف، ينظر لوجه (ورد) متذكرًا ألام (حسن) و(مسعود) و(أشرف) وبكائهما، يتأمل ابتسامتها متذكرًا كلمات (نورهان) الأخيرة، وتذلل (بهجت) له ورغبة (عصام) في استعادة ابنه، يتأمل وجه (ورد) الرقيق متذكرًا خضوع وذل رجل الأعمال الكبير (سعد إسماعيل)، ينظر لسعادة (ورد) الغامرة، لأنها انتقمت من الجميع وأذاقتهم المرارة، ثم يتذكر كلمات المقنع وهو يقول:

"سأنفذ كل ما أخطط له وأمام عينيك بل وستساعدني في الوصول لما أريد"

يتذكر كل لحظة بينه وبين (ورد)، ضحكاتها ومرحهما وخوفه عليها، وأجمل الأوقات التي مرا بها، لقد كان كل ذلك

مجرد كذبة، جزء من مخطط كبير تنفذه، يتساءل في أعماقه، كيف لذلك الجمال البريء أن يكون قناعاً لشيطان لعين.

ظل (هاشم) ناظرًا لوجه (ورد) المبتسمة، في صدمة يعجز فيها عن التفكير أو قول أو فعل أي شيء، لا يسمع إلا ضحكات المقنع المنتقم تتردد في أذانه، وكأنه يضحك سعيدًا ويقول له بصوته الغليظ المهيب:

- لقد حققت عدالتي.

(عالم النفاق الذي أنتم فيه لا يصلح لقلبي الطاهر النقي، سأرحل عن عالمكم، لأرض السلام الحقيقي، و لتعلموا أنني ضحية ماتت تحت أقدامكم، أحرقت جثتها بنيران كلماتكم،... لكنني أقسم على أن أعود لكم، من الجحيم الذي ألقيتموني فيه، و سأذيقكم عذاب ما صنعتكم، و سأحرق قلوبكم جميعًا، سأذفنكم أحياء بلا رحمة، سأجعل من اسمي رعبًا لكم، و سأكتب عدالتي بدمانكم)

"رسالة وداع نور جلال"

تمت بحمد الله

(المصيبة ليست في ظلم الأشرار، بل
في صمت الأخيار)

مارتن لوثر كينج

"شكراً لك عزيزي القارئ على إتمام هذا العمل"